

الخطب المهمة

لعمامة الأمة

جمع وترتيب

الشيخ الدكتور / أحمد بن حسن الفقيه

الجزء الأول

الطبعة الثانية: ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن هذا الكتاب- الخطب المهمة الجزء الأول- قد وضع بطريقة صالحة للإلقاء المباشر بدون رجوع إلى غيره.

كما تصلح موضوعاته أن تلقى محاضرة، أو يجتزأ منه موعظة بعد الصلوات أو في المجالس .. وغيرها.

وقد حرصت على إخراجه بطريقة سهلة تناسب مع جميع طبقات المجتمع وفاته.

وقد جمعت كثيراً من معلوماته من موقع المنبر وموقع زاد الخطيب.. وغيرها. كما استفدت من خطب الشيخ/ صالح بن حميد والشيخ/ محمد الأحمد والشيخ/ عائض القرني، والشيخ/ خالد المصلح وغيرهم، غير أنني في كثير من الموضوعات أعيد صياغتها وأضيف عليها وأخرج أحاديثها، ولربما أقررتها مع قليل من التعديل، ولربما استفدت فقط من العنوان الموجود فألفت على غراره.

هذا والله أسأل أن يجعل العمل خالصاً لوجهه وأن يجزي الجميع خير الجزاء، والله موفق وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى الله تعالى

أحمد بن حسن الفقيه

١٤٢٩ / ٧ / ٢٦ هـ

الإخلاص

ملخص الخطبة

- ١- لا يقبل الله العمل إلا إذا كان خالصاً.
- ٢- ما هو الإخلاص.
- ٣- النية مع العادة تجعلها عبادة.
- ٤- تفاضل الأعمال بعمل القلوب.
- ٥- خوف السلف الصالح من الرياء.
- ٦- الأخفاء بصالح العمل.
- ٧- المسمعون بأعمالهم.
- ٨- مسائل دقيقة في الرياء والإخلاص.

الإخلاص

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن الإخلاص هو حقيقة الدين ومفتاح دعوة المرسلين قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ} [النساء: ١٢٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه» [رواه مسلم].

وقال: «من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة (يعني ريحها) يوم القيامة» [رواه أبو داود].

أيها المسلمون: لقد تنوعت تعاريف العلماء للإخلاص ولكنها تصب في معين واحد ألا وهو أن يكون قصد الإنسان في حركاته وسكناته وعباداته الظاهرة والباطنة، خالصة لوجه الله تعالى، لا يريد بها شيئاً من حطام الدنيا أو ثناء الناس.

قال الفضل بن زياد سألت أبا عبد الله يعني الإمام أحمد بن حنبل عن النية في العمل، قلت كيف النية: قال يعالج نفسه، إذا أراد عملاً لا يريد به الناس.
قال أحد العلماء: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا التفسير [أن تكون حركته وسكونه في سره وعلايته لله تعالى لا يمازجه نفسٌ ولا هوىٌ ولا دنياً].

أيها المسلمون: إن شأن الإخلاص مع العبادات بل مع جميع الأعمال حتى المباحة لعجيب جداً، فبالإخلاص يعطي الله على القليل الكثير وبالرياء وترك الإخلاص لا يعطي الله على الكثير شيئاً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر الذنوب كما في حديث البطاقة، وحديث البطاقة كما أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر، ثم يقال: أتكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقال: أفلك عذر أو حسنة فيها؟ فيقول الرجل: لا، فيقال: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» وصححه الألباني في الجامع الصحيح برقم (٨٠٩٥).

قال ابن القيم رحمه الله: فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض. قال: وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة ويقابلها تسعة

وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر تثقل البطاقة وتطيش السجلات، فلا يعذب. ومعلوم أن كل موحد له هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار بذنوبه.

ومن هذا أيضاً ما ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فتزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي قد بلغ مني، فتزل البئر فملاً خفه ماءً ثم أمسكه بفيه حتى رقى فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر» وفي رواية البخاري: «فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذا سقى الكلب بإيمان خالص كان في قلبه فغفر له، وإلا فليس كل بغي سقى كلباً يغفر له، فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإجلال.

ومن هذا ما ورد عن عبد الله بن عمرو أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين» وفي رواية: «مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة» رواه مسلم.

أيها الأخوة المسلمون: اعلمون أن أداء الطاعة بدون إخلاص وصدق مع الله، لا قيمة لها ولا ثواب فيها، بل صاحبها معرض للوعيد الشديد، وإن كانت هذه الطاعة من الأعمال العظام كالإنفاق في وجوه الخير، وقتال الكفار، وطلب العلم الشرعي.

كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الناس يُقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به، فعرفه نعمته فعرفها قال:

فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت ليقال: جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به يعرفه نعمه فعرفها، قال فما عملت؟ قال تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار.

ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من صنوف المال فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ألا أنفقت فيها قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار) رواه مسلم.

أيها الأخوة في الله: ولذلك فقد كان سلفنا الصالح رحمهم الله أشد الناس خوفاً على أعمالهم من أن يخالطه الرياء أو تشوبها شائبة الشرك. فكانوا رحمهم الله يجاهدون أنفسهم في أعمالهم وأقوالهم كي تكون خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى . ولذلك لما حدث يزيد بن هارون بحديث عمر (إنما الأعمال بالنيات) والإمام أحمد جالس، فقال الإمام أحمد ليزيد: يا أبا خالد هذا الخناق.

وكان سفيان الثوري يقول: ما عاجلت شيئاً أشد عليّ من نيتي لأنها تتقلب. وقال يوسف بن أسباط: "تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد".

وقال بعض السلف: "من سره أن يكمل له عمله، فليحسن نيته، فإن الله عز وجل يأجر العبد إذا أحسن نيته حتى باللقمة".

قال سهل بن عبد الله التستري: "ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب".

وقال ابن عيينة: "كان من دعاء مطرف بن عبد الله: اللهم إني استغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت".

وهذا خالد بن معدان كان رحمه الله إذا عظمت حلقتة من الطلاب قام خوف الشهرة.

وهذا محمد بن المنكدر يقول: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. وهذا أيوب السخيتاني كان يقوم الليل كله فإذا جاء الصبح (أي الفجر) رفع صوته كأنه قام الآن.

وكان رحمه الله إذا حدث بحديث النبي ﷺ يشتد عليه البكاء (هو في حلقتة) فكان يشد العمامة على عينه ويقول: ما أشد الزكام ما أشد الزكام.

وهذا عبد الواحد بن زيد يخبرنا بحدث عجيب حصل لأيوب، وقد عاهده ألا يخبر إلا أن يموت أيوب إذ لا رياء حينئذ، قال عبد الواحد كنت مع أيوب فعطشنا عطشاً شديداً حتى كادوا يهلكون، فقال أيوب: تستر عليّ؟ فقلت: نعم إلا أن تموت.

قال عبد الواحد فغمز أيوب برجله على حرّاء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي.

وقال أبو حازم: لا يحسن عبد فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد، ولا يُعور ما بينه وبين الله إلا أعور الله ما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها.

وهذا داود بن أبي هند يصوم أربعين سنة لا يعلم به أهله، كان له دكان يأخذ طعامه في الصباح فيتصدق به فإذا جاء الغداء أخذ غداءه فتصدق به فإذا جاء العشاء تعشى مع أهله.

وكان رحمه الله يقوم الليل أكثر من عشرين سنة ولم تعلم به زوجته، سبحان الله انظر كيف ربّوا أنفسهم على الإخلاص وحملوها على إخفاء الأعمال الصالحة، فهذا زوجته تضاجعه وينام معها ومع ذلك يقوم عشرين سنة أو أكثر ولم تعلم به، أي إخفاء للعمل كهذا وأي إخلاص كهذا .

عباد الله: إن تربية النفس على الأعمال الصالحة التي لا يطلع عليها أحد هو أبعد لها عن الرياء وأكمل لها في الإخلاص. وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله يضحك في النهار حتى تدمع عينه، فإذا جاء الليل قطعه بالبكاء والصلاة.

اللهم ارزقنا الإخلاص في أقوالنا وأعمالنا، واجعلها خالصة لك، صواباً على سنة رسولك الأمين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

أيها المسلمون: اعلّموا أن الإخلاص ينافيه عدّة أمورٍ من حب الدنيا والشهرة والشرف والرياء، والسمعة والعجب.

والرياء هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس فيحمدوا صاحبها، فهو يقصد التعظيم والمدح والرغبة أو الرهبة فيمن يرائيه. وأما السمعة فهي العمل لأجل سماع الناس.

وأما العجب فهو قرين الرياء، والعجب أن يعجب الإنسان بعبادته ويرى نفسه بعين الإعجاب وكل هذه من مهلكات الأعمال.

وهناك أيها الأخوة مسالك دقيقة جداً من مسالك الرياء يوقع الشيطان فيها العبد المؤمن من حيث يشعر أو لا يشعر، وسأذكر لكم بعضها لأن الحديث عن الرياء والعجب وغيرهما مما ينافي الإخلاص حديث طويل جداً، ولكن حسبي في هذا المقام أن أورد لك ثلاثة من تلك المسالك الدقيقة للرياء، وهذه المسالك غالباً يقع فيها الصالحون إلا من رحمه الله.

أولها: ما ذكره أبو حامد الغزالي في أثناء ذكره للرياء: "وأخفى من ذلك أن يختفي العامل بطاعته، بحيث لا يريد الإطلاع، ولا يسرّ بظهور طاعته، ولكنه مع ذلك إذا رأى الناس أحب أن يبدأوه بالسلام، وأن يقابلوه بالبشاشة والتوقير وأن يثنوا عليه، وأن ينشطوا في قضاء حوائجه، وأن يسامحوه في البيع والشراء وأن يوسعوا له في المكان فإن قصر فيه مقصر ثقل ذلك على قلبه.

ووجد لذلك استبعاداً في نفسه، كأنه يتقاضى الاحترام مع الطاعة التي أخفاها مع أنه لم يطلع عليه، ولو لم يكن قد سبق من تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه. وكل ذلك يوشك أن يجبط الأجر ولا يسلم منه إلا الصديقون".

وأما ثانيها: فهو أن يجعل الإخلاص لله وسيلة لا غاية، فيجعل الإخلاص وسيلة لأحد المطالب الدنيوية.

وقد نبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على تلك الآفة الخفية فكان مما قال رحمه الله: - "حكى أن أبا حامد الغزالي بلغه أن من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه قال: فأخلصت أربعين يوماً فلم يتفجر شيء، فذكرت ذلك لبعض العارفين فقال لي: إنك إنما أخلصت للحكمة ولم تخلص لله". وهذا مسلك خطير كما سمعت وقليل من يتفطن له.

والأمثلة عليه كثيرة من الواقع، فتجد بعض الناس يكثر من الأعمال الصالحة في أيام الاختبارات مثلاً كصيام النوافل وقيام الليل وكثرة الصلاة والخشوع، وقلبه منعقد على أنه إذا أكثر من العبادات سيوفق في اختباره أو سيفوز بوظيفة ما، فهذا بالحقيقة إنما أخلص للاختبارات وذلك أخلص للوظيفة.

ومن ذلك أيضاً أن بعض الناس يذهب إلى المسجد ماشياً أو يحج كل سنة أو غير ذلك من العبادات التي فيها رياضة.

ويكون قد انعقد في قلبه أنه يفعل ذلك لينشط جسمه أو يحرك الدورة الدموية كما يقولون.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "فإن خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء، مثل أخذ أجره للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكيله. أهـ.

بل اجعل مشيك للمسجد وحجك وعبادتك خالصة لله تعالى، وهذه الأشياء تحصل حتماً دون أن تعقد عليها قلبك.

وأما ثالث هذه المسالك الدقيقة وهو ما أشار إليه الحافظ ابن رجب رحمه الله بقوله: "ههنا نكتة دقيقة، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يري الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء، وقد نبه عليه السلف الصالح. أسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء .. ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحيتنا.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الصبر

ملخص الخطبة

- ١- أهمية الصبر وتعريفه.
- ٢- أقسام الصبر وأنواعه.
- ٣- ثمار الصبر.
- ٤- قصص في الصبر.

الصَّبْرُ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فإن من أعظم أخلاق الإسلام خلق الصبر وهو: حبس النفس على فعل شيء أَرَادَهُ اللهُ أَوْ عَنْ فِعْلِ شَيْءٍ نَهَى اللهُ عَنْهُ وَأَنْ يَتَقَبَلَ بِنَفْسٍ رَاضِيَةٍ مَا يَصِيبُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ.

أهمية الصبر

١- الصبر خلق الأنبياء: فقد ضرب أنبياء الله -صلوات الله عليهم- أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى من أجل الدعوة إلى الله، وقد تحمل رسول الله ﷺ المشاق في سبيل نشر الإسلام، وكان أهل قريش يرفضون دعوته للإسلام ويسبونونه، ويؤذونه، فلا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن صبر الرسول ﷺ وتحمله للأذى: "كأني أنظر رسول الله ﷺ يحكي (يُشْبِهُه) نبياً من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-

ضربه قومه فأدموه «أصابوه وجرحوه»، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» [متفق عليه].

وقد وصف الله تعالى كثيراً من أنبيائه بالصبر، فقال: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الأنبياء: ٨٥-٨٦]. وقال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٥] وأولو العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ومحمد -عليهم صلوات الله وسلامه. وقال تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام: ٣٤].

٢- امتدح الله الصابرين فقال: {وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} [البقرة: ١٧٧].

٣- جعل الله الصبر نور لأصحابه، قال النبي ﷺ: «والصبر ضياء» رواه مسلم وذلك لأنه شاق، ويحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه فكان ضياء.

أقسام الصبر

ينقسم الصبر إلى قسمين:

أولاً: صبر محمود.

ثانياً: صبر مذموم.

فالصبر المذموم والمكروه هو الصبر الذي يؤدي إلى الذل والهوان أو يؤدي إلى التفريط في الدين أو تضييع بعض فرائضه أو بلاء قادر على دفعه أو رفعه أو كان فيه ضرر بالشرع فصبره حينئذ مذموماً، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء: ٩٧].

أما الصبر المحمود فهو الصبر على بلاء لا يقدر الإنسان على إزالته أو التخلص منه، أو بلاء ليس فيه ضرر بالشرع.

وهو ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الصبر على الطاعة، وهو الصبر على أدائها على الوجه المطلوب شرعاً؛ لأنها تحتاج إلى جهد وعزيمة لتأديتها في أوقاتها على خير وجه، والمحافظة عليها. يقول الله تعالى لنبية ﷺ: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الكهف: ٢٨]. ويقول: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} [مريم: ٦٥] وقال سبحانه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا} [طه: ١٣٢].

النوع الثاني: الصبر عن المعصية، ويكون بترك المنكرات والمغريات التي تزين له المعصية، وهذا يحتاج إلى صبر عظيم وإرادة قوية، يقول رسول الله ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» متفق عليه. وقال ﷺ في السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله» متفق عليه، ففي هذا الحديث صبر عن معصية الله تعالى فكان الجزاء عظيماً.

النوع الثالث: الصبر على البلاء كالمرض والمصائب، والفقر والأذى. فإذا صبر المسلم عليها كافأه الله تعالى بأحسن الجزاء، قال ﷺ: «ما يصيب المسلم من نصبٍ (تعب) ولا وصبٍ (مرض) ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يُشاكها إلا كفرَّ الله بها من خطاياها» متفق عليه.

وعن عطاء قال: قال لي ابنُ عباسٍ ألا أريك امرأة من أهل الجنة قلتُ بلى. قال هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ قالت إني أُصرعُ وإني أتكشَّفُ فادعُ الله لي. قال: «إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنةُ وإن شئتِ دعوتُ الله أن يُعافيكِ. قالتُ أصبرُ. قالتُ فإني أتكشَّفُ فادعُ الله أن لا أتكشَّفُ. فدعا لها» [متفق عليه]. وفي الحديث: «إذا ابتليتُ عبدي بحبيتيه (عينيه) فصبر، عوضتهُ منهُما الجنة» رواه البخاري.

وقال الإمام علي عليه السلام: إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور وإن
جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور (عليك وزر وذنوب).

وأما الصبر على ضيق الحياة، فالسيدة عائشة رضي الله عنها تحكي أنه كان
يمر الشهران الكاملان دون أن يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار، وكانوا يعيشون
على التمر والماء. متفق عليه.

وأما الصبر على أذى الناس: فقد قال صلى الله عليه وسلم: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر
على أذاهم أفضل من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» رواه الترمذي وابن ماجه
وصححه الألباني.

وأما ثمار الصبر فهي:

١- الرحمة والمغفرة والهداية للصابرين، يقول تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ *
الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ
رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

٢- الأجر العظيم لقوله تعالى: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]. ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما أُعْطِيَ أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر» [متفق عليه].

٣- تكفير الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: «ما يصيب المسلم من نصب (تعب) ولا
وصب (مرض) ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها» [متفق عليه]. ولا يكون هذا الأجر إلا إذا صبر ابتغاء وجه الله.

٤- دخول الجنة، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي
جزاء إذا قبضتُ صَفِيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة» رواه البخاري.

٥- الصبر هو الطريق إلى "الحظ العظيم" قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ
وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت: ٣٤، ٣٥]. أي

ادفع السيئة إذا جاءتك من المسيء بأحسن ما يمكن دفعهاً به الحسنات ومنه مقابلة الإساءة بالإحسان والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والإغضاء عن الهفوات، والاحتمال للمكروهات.

قال مجاهد وعطاء: بالتي هي أحسن: يعني بالسلام إذا لقي من يعاديه، وقيل بالمصافحة عند التلاقي {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} هذه هي الفائدة الحاصلة من الدفع بالتي هي أحسن، والمعنى: انك إذا فعلت ذلك صار العدو كالصديق. {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} قال الزجاج: "ما يلقي هذه الفعلة وهذه الحالة، وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على كظم الغيظ واحتمال المكروه {وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} في الثواب والخير" وقال قتادة: الحظ العظيم الجنة فتح القدير.

٦- دفاع الملائكة عن الصابر على ما يكره من سب الناس، لما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً شتم أبا بكر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم جالس يتعجب ويتسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت فقلت، فقال صلى الله عليه وسلم: «كان معك ملك يرد عليه فلما رددت عليه وقع الشيطان ثم قال: يا أبا بكر ثلاث كلهن حق: ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله عز وجل إلا أعز الله بها نصره، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلة» رواه أحمد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مبرأة من النفاق والارتياب، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله والأصحاب. أما بعد:

فإن الله قد ضرب لنا أمثلة في الصبر عن أنبيائه ورسوله كما وردت قصص في الصبر عن خير الخلق محمد ﷺ وعن أصحابه خير الأمة بعده فمن ذلك: ما ورد في المتفق عليه أن النبي ﷺ مرَّ ذات يوم على قبر، فرأى امرأة جالسة إلى جواره وهي تبكي على ولدها الذي مات، فقال لها النبي ﷺ: «اتقي الله واصبري». فقالت المرأة: إليك عني، فإنك لم تُصَبْ بمصيبي. فانصرف النبي ﷺ، ولم تكن المرأة تعرفه، فقال لها الناس: إنه رسول الله ﷺ، فأسرعت المرأة إلى بيت النبي ﷺ تعتذر إليه وتقول: لم أعرفك، فقال لها النبي ﷺ: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» رواه مسلم. أي يصبر من بداية المصيبة.

قال تعالى عن نبيه أيوب: {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ٤٤]، فقد كان أيوب - عليه السلام - رجلاً كثير المال والأهل فابتلاه الله واختبره في ذلك كله، فأصابته الأمراض، وظل ملازماً لفراش المرض سنوات طويلة، وفقد ماله وأولاده، ولم يبقَ له إلا زوجته التي وقفت بجانبه صابرة محتسبة وفيه له.

وكان أيوب مثلاً عظيماً في الصبر، فقد كان مؤمناً بأن ذلك قضاء الله، وظل لسانه ذاكراً، وقلبه شاكراً، فأمره الله أن يضرب الأرض برجله ففعل، فأخرج الله له عين ماء باردة، وأمره أن يغتسل ويشرب منها، ففعل، فأذهب الله عنه الألم

والأذى والمرض وأبدله صحة وجمالاً ومالاً كثيراً، وعوّضه بأولاد صالحين جزاءً له على صبره، قال تعالى: {وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِبُأُولِي الْأَلْبَابِ} [ص: ٤٣].

ومرّت أعرابية على بعض الناس ، فوجدتهم يصرخون، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان. فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرمون (يضيقون)، وعن ثوابه يرغبون (يبتعدون).

وأسلم عمار بن ياسر وأبوه ياسر وأمه سمية- رضي الله عنهم- وعلم الكفار بإسلامهم، فأخذوهم جميعاً، وظلّوا يعذبونهم عذاباً شديداً، فلما مرّ عليهم الرسول ﷺ قال لهم: «صبراً آل ياسر! فإن موعدكم الجنة» [رواه الحاكم. وصبر آل ياسر، وتحملوا ما أصابهم من العذاب، حتى مات ياسر وزوجته من شدة العذاب.

الأسباب التي تعين على الصبر:

- ١- معرفة أن الحياة الدنيا زائلة لا دوام فيها.
- ٢- معرفة الإنسان أنه مملوكٌ لله أولاً وأخيراً، وأن مصيره إلى الله تعالى.
- ٣- اليقين بحسن الجزاء عند الله، وأن الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله، قال تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٦].
- ٤- اليقين بأن نصر الله قريب، وأن فرجه آتٍ، وأن بعد الضيق سعة وأن بعد العسر يسراً، وأن ما وعد الله به المبتلين من الجزاء لا بد أن يتحقق. قال تعالى: {فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا} [الشرح: ٥-٦].
- ٥- الاستعانة بالله واللجوء إلى حماه ، فيشعر المسلم الصابر بأن الله معه، وأنه في رعايته، قال الله تعالى: {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].
- ٦- الاقتداء بأهل الصبر والعزائم، والتأمل في سير الصابرين وما لاقوه من ألوان البلاء والشدائد، وبخاصة أنبياء الله ورسله.

٧- الإيمان بقدر الله، وأن قضاءه نافذ لا محالة، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه. قال تعالى: { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [الحديد: ٢٢-٢٣].

٨- الابتعاد عن الاستعجال والغضب وشدة الحزن والضيق واليأس من رحمة الله؛ لأن كل ذلك يضعف من الصبر والمثابرة.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحييتنا

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

خلقُ العفو والصفح

ملخص الخطبة

- ١- سلامة صدر المرء من الضغينة من صفات المؤمنين.
- ٢- العفو والصفح من أسباب العزة.
- ٣- العفو شعار الصالحين ، وهو معنى الشدة.
- ٤- الله عفوٌ يجب العفو.
- ٥- العفو من صفات النبي ﷺ.
- ٦- العفو من أسباب حب الله للعبد والتجاوز عنه في الآخرة.
- ٧- العفو يقرب المؤمن من تقوى الله سبحانه.

العفو والصفح

الخطبة الأولى

الحمد لله القوي الحليم، يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يُطاع فيشكر، ويُعصى فيغفر، له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون .

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله : إنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثة بدعة، وكلُّ بدعة ضلالة.

ألا فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أنَّما هذه الحياة الدنيا متاع، وأنَّ الآخرة هي دار القرار، {فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ١٠٠].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} .

أما بعد:

فإن سلامة صدر المرء من الضغينة، وخُلُوِّ نفسه من نزعة الانتصار لها هي سمة المؤمن الصالح الهين اللين الذي لا غلَّ فيه ولا حسد، يؤثر حقَّ الآخرين على حقِّه، ويعلم أن الحياة دارٌ ممرٌّ وليست دار مَقَرٌّ.

عباد الله: اعلّموا أن من مصادر العزة وسبلها العفو والصفح والتسامح والمغفرة، فطيبُ النفس وحسنُ الظنِّ بالآخرين وقبول الاعتذار وإقالة العثرة وكظم الغيظ والعفو عن الناس.

مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صِفَتُهُ فَهُوَ خَلِيقٌ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِزَّةِ وَالرَّفْعَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَفِي لَفْظٍ لِأَحْمَدَ وَحَسَنَهُ الْأَرْنَؤُوطُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ ظَلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِبِي عَنْهَا اللَّهُ إِلَّا أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا وَنَصَرَهُ».

كَمَا أَنَّ الْعَفْوَ وَالصَّفْحَ مُوصِلٌ إِلَى دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤، ١٣٣].

وَالْكَاطِمُونَ الْغَيْظَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُعْمَلُونَ غَضَبَهُمْ فِي النَّاسِ، بَلْ يَكْفُونَ عَنْهُمْ شَرَّهُمْ، وَيَحْتَسِبُونَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، أَمَّا الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ فَهُمُ الَّذِينَ يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ فَلَا يَبْقَى فِي أَنْفُسِهِمْ شَيْءٌ عَلَى أَحَدٍ. وَمَنْ كَانَتْ هَذِهِ سَجِيَّتَهُ فَلْيَبْشِرْ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ حَيْثُ بَلَغَ مَقَامًا مِنْ مَقَامَاتِ الْإِحْسَانِ، {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.
أَلَا إِنَّ مَنْ أَحْسَنَ فَقَدْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ غَفَرَ لَهُ وَرَحِمَهُ، {إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦].

كَمَا أَنَّ الْعَفْوَ شِعَارُ الصَّالِحِينَ الْأَنْقِيَاءِ ذَوِي الْحِلْمِ وَالْأَنَاةِ وَالنَّفْسِ الرَضِيَّةِ؛ لِأَنَّ التَّنَازُلَ عَنِ الْحَقِّ نَوْعٌ إِثَارٌ لِلْأَجْلِ عَلَى الْعَاجِلِ وَبَسْطٌ لِّخُلُقٍ نَقِيٍّ تَقِيٍّ يَنْفُذُ بِقُوَّةٍ إِلَى شِعَافِ قُلُوبِ الْآخَرِينَ، فَلَا يَمْلِكُونَ أَمَامَهُ إِلَّا إِبْدَاءَ نَظَرَةٍ إِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ لِمَنْ هَذِهِ صِفَتُهُ وَهَذَا دَيْدُونُهُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ الْعَفْوَ عَنِ الْآخَرِينَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّئِ؛ إِذْ لَهُ فِي النَّفْسِ ثِقَلٌ لَا يَتِمُّ التَّغْلُبُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمِصَارَعَةٍ حَبِّ الْإِنْتِصَارِ وَالْإِنْتِقَامِ لِلنَّفْسِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لِلْأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ اسْتَعَصَوْا عَلَى حِظْوِظِ النَّفْسِ وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا لَهُمْ يَجُوزُ لَهُمْ إِمْضَاؤُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ} [الشورى: ٤١]

غير أن التنازل عن الحقّ وملكّة النفس عن إنفاذه هو دليلٌ على تجاوزِ المألوفِ وخرقِ العادات.

ومن هنا يأتي التميّز عن العموم، وهذا هو الشّدِيد الممدوحُ الذي يملك نفسه عند الغضب لما ورد عن النبي ﷺ قال: «ليس الشّدِيد بالصرعة، إنما الشّدِيد الذي يملك نفسه عند الغضب» متفق عليه. وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده قولَ النبي ﷺ: «من كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن ينفذه دعاه الله على رؤوسِ الخلائق حتى يخيره من أيّ الحور شاء» ورواه ابن ماجه، وقال الألباني حديث حسن .

أيها المسلمون، إنّ شريعتنا الغراء قد حصّت المسلمين على التخلّق بخلقِ العفو والتجاوز ولم تقصر هذا الحضّ في نطاق ضيق أو دائرة مغلّقة، بل جعلت الأمر فيه موسّعًا ليشمل جوانبَ كثيرةً من شؤونِ التعاملِ العامّ والخاصّ، كما يشمل أهلِ الولاية العظمى؛ لأنّ تمثّل القيادة بصفة العفو والتسامح أمانة من أمارات القائد الناجح كما أمر الله نبيه ﷺ في قوله: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩].

والعفو هنا هو التجاوز على أحدِ التفسيرين، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: ١٥٥].

ولقد تعدّى الحضّ على العفو إلى أبوابِ الدماء والقصاص كما في قوله تعالى: {فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة: ٥٤].

كما رغب الله الزوجين إلى العفو في مسألة الصداق في الطلاق قبل الدخول حيث قال سبحانه: {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة: ٢٣٧]، بل إنّ الحضّ على العفو قد تعدّى إلى ما يخصّ تباع الناس

وشراءهم وغيرها فقد قال النبي ﷺ: «من أقال مسلماً بيعته أقال الله عثرته» رواه أبو داود وابن ماجه.

وقال ﷺ: «كان تاجرٌ يداين الناس، فإذا رأى معسراً قال لفتيانه: تجاوزوا عنه لعلَّ الله أن يتجاوز عنا، فتجاوز الله عنه» رواه البخاري ومسلم.

كما حضَّ الشارع على العفو في التعامل مع الآخرين بسؤال الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كم نعو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «اعفوا عنه في كلِّ يومٍ سبعين مرة» رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني.

عباد الله: إنَّ العفو والتجاوز لا يقتضي الدلَّة والضعف، بل إنه قمة الشجاعة والامتنان وغلبة الهوى، لا سيما إذا كان العفو عند المقدرة على الانتصار، فقد بوب البخاري رحمه الله في صحيحه باباً عن الانتصار من الظالم لقوله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [الشورى: ٣٩].

قال إبراهيم النخعي: "كانوا يكرهون أن يُستذلَّوا، فإذا قدروا عفوًا".
وقال الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما: "لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبِلتُ عذره".
وقال جعفر الصادق رحمه الله: "لأن أندم على العفو عشرين مرة أحبُّ إليَّ من أندم على العقوبة مرة واحدة".

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلاً فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عزَّ وجلَّ فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلب الأمور؛ لأنَّ الفتوة هي العفو عن الإخوان".

عباد الله: إنَّ بعض الناس قد بلغ من القسوة ما لا يمكن معها أن يعفوَ لأحد أو يتجاوز عنه، يغضبه الجرمُ الخفيُّ، ولا يرضيه العذرُ الجليُّ، حتى إنَّه ليرى الذنبَ وهو أضيْقُ من ظلِّ الرمح، ويعمى عن العذرِ وهو أبيضُ من وضَحِ النهار. وقد كان هديه ﷺ كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قطَّ بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهدَ في سبيل الله، وما نيل منه شيء قطَّ فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل» رواه مسلم.

ألا إنَّ الانتصارَ للنفس من الظلمِ لحقٍّ، ولكنَّ العفوَ هو الكمالُ والتَّقوى، {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى: ٤٠].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، قد قلت ما قلت، إن صواباً فمن الله، وإن خطأً فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله إنَّه كان غفَّاراً.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فأتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنَّ الشريعة على العفوِّ لم يكن مقتصرًا على العفو في الظاهر دون الباطن، بل إنَّ التحضيضَ عمَّ الظاهر والباطن معاً، فأطلق على الظاهر لفظَ العفو، وأطلق على الباطن لفظَ الصَّفح، والعفوُّ والصفح بينهما تقارُبٌ في الجملة، إلا أنَّ الصَّفحَ أبلغ من العفو؛ لأنَّ الصَّفحَ تجاوزٌ عن الذنبِ بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أمَّا العفوُ فإنَّه يقتضي إسقاطَ اللومِ الظاهر

دون الباطن ولذا أمر الله نبيه ﷺ به فقال: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٨٥]، وهو الذي لا عتاب معه.

وقد جاءت الآيات متضافرةً في ذكر الصفح والجمع بينه وبين العفو كما في قوله تعالى: {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وقوله: {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [البقرة: ١٠٩]، وقوله سبحانه: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ٢٢].
وقوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التغابن: ١٤].

عباد الله: إن العفو من صفات الكريم سبحانه، فقد سمي نفسه بأنه العفو، وكان من دعائه ﷺ: «اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعفُ عني» [الترمذي].
كما أن العفو والصفح هما خلق النبي ﷺ، فأين المشمرُّون المقتدون؟! أين من يغالبهم حبُّ الانتصار والانتقام؟! أين هم من خلق سيِّد المرسلين ﷺ؟! سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: «لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح». رواه أحمد والترمذي وأصله في الصحيحين.

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى: ٣٧]. وقال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } {الأعراف: ١٩٩}.

فهذه الآية توجيه من الله لرسوله ﷺ ولكل مؤمن بالتحلي بثلاثة أخلاق حميدة هي:

أولاً: أخذ العفو عن إساءة المسيء.

ثانياً: أمر المسيء بالعرف وهو المعروف وهو ضد المنكر.

ثالثاً: الإعراض عن المسيء إذا كان من الجاهلين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراي غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذده بردائه جبذة شديدة فنظرت إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء» متفق عليه.

وعندما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة منتصراً، جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد، والمشركون ينظرون إليه، وقلوبهم مرتجفة خشية أن ينتقم منهم، أو يأخذ بالثأر قصاصاً عما صنعوا به وبأصحابه. فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟». قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» [سيرة ابن هشام].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء -صلوات الله وتسليماته عليهم- ضربه قومه، فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «رب اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون» [متفق عليه].

كما أن التحلي بصفة العفو يجعل المسلم من أحباب الله المحسنين كما قال سبحانه: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران].

كما أن العفو من علامات الاقتراب من الله تعالى وتقواه ، كما قال سبحانه: {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة: ٢٣٧]، قال الشيخ السعدي في تفسير الآية: رغب الله سبحانه في العفو وأن من عفا كان أقرب لتقواه لكونه إحساناً موجبا لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة .

اللهم اغفر ذنوبنا واقض ديوننا واشف مرضانا وانصر إخواننا المسلمين في كل مكان واحذل أعداء الإسلام أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء .. ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحيتنا.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

الأمانة

ملخص الخطبة :

- ١- فضل أداء الأمانة.
- ٢- تضییع الأمانة من أشراط الساعة.
- ٣- وجوب إعطاء الوظائف للأكفاء.
- ٤- أسباب التفريط بالأمانة.
- ٥- عموم الأمانة لجميع جوانب الحياة.
- ٦- الحيانة من صفات المنافقین.

الأمانة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنكم ملاقوه ولن تعجزوه، فمن الأرض خلقكم وفيها يعيدكم ومنها يخرجكم تارة أخرى، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

معاشر المسلمين: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة. فقال ﷺ: «إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: وكيف إضاعتها؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» رواه البخاري.

وهذا يشير إلى أن كل شيء لا بد وأن يوضع في مكانه المناسب، فلا يسند العمل ولا المنصب إلا لصاحبه الجدير به، والأحق به من غيره، دون محاباة لأحد، وإلا فقد ضاعت الأمانة واقتربت الساعة.

وضياع الأمانة دليل على ضياع الإيمان ونقص الدين، لحديث أنس رضي الله عنه قَالَ: قَلَّمَا خَطَبْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَالَ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» رواه الإمام أحمد والبيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع.

فالأمانة من الأخلاق الفاضلة وهي أصل من أصول الديانات، وعملة نادرة في هذه الأزمنة، وهي ضرورة للمجتمع الإنساني، لا فرق فيها بين حاكم ومحكوم وصانع وتاجر، وعامل وزارع، ولا بين غني وفقير، ولا كبير وصغير، ولا معلم وتلميذ، فهي شرف للجميع، ورأس مال الإنسان، وسرُّ نجاحه، ومفتاح كل تقدم وسبب لكل سعادة.

وليست الأمانة محصورة في مكانها الضيق الذي يعتقده كثير من الناس، فالأمانة ليست مقصورة على أداء الواجبات التي تؤمن عند الناس، بل هي أشمل من ذلك بكثير فالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها من شعائر الدين أمانة من فرط في شيء منها أو أحل به فهو مفرط فيما ائتمنه عليه ربه تبارك وتعالى،

وتشمل الأمانة كذلك كل عضو من جسد الإنسان، فاليد والرجل والفرج والبطن وغير ذلك أمانة عندك، فلا تأتي الحرام من قبل ذلك، وإلا أصبحت مفرطاً فيما ائتمنت عليه، واحذر أن تكون هذه الجوارح شاهدة عليك يوم القيامة إن فرطت فيها، يقول الحق تبارك وتعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور: ٢٤].

ومن معاني الأمانة وضع كل فيما يحسن، قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله: ألا تستعملني - يعني ألا تجعلني والياً أو أميراً أو رئيساً لك على إحدى المدن - قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها» أخرجه مسلم.

أيها المسلمون: أمر الأمانة عظيم، وخطرها كبير، فلقد استهان كثير من الناس اليوم بأمر الأمانة حتى أضحوا لا يلقون لها بالاً، ولا يقيمون لها وزناً، وذلك ناتج عن سوء فهم لمعنى الأمانة وما يترتب على تضييعها والتفريط فيها من العذاب والعقاب. ومن أسباب التفريط في الأمانة

١- ضعف الوازع الديني لدى كثير من الناس، فلو كان هناك وازع من الدين يردع صاحبه ويزجره كلما هم بالتفريط فيما أوكل إليه من أمانة لعاشت الأمة في خير عظيم وأمن وارف.

٢- دافع الانتقام سواء من رئيس أو صاحب عمل، ولا شك أن هذا الأمر لن يضر أولاً وآخرًا إلا من فرط في الأمانة لعظم قدرها وكبير خطرها، فمهما حصل من سوء تفاهم بين الرئيس والمرعوس، والعامل وصاحب العمل، والزوجة وزوجها، فليس معنى ذلك أن يفرط هذا أو ذاك فيما أنيط به من أمانة ومسؤولية، فليحذر المسلم من عاقبة ذلك فالعاقبة وخيمة والحاقمة سيئة والعياذ بالله.

عباد الله: إن من أعظم الأمانة الأمانة التي أنيطت بالزعماء والمسؤولين ويتمثل ذلك في حسن المعاملة مع من هم تحت إمرته وسلطته ومن هم تحت ولايته وكفالاته أو يعملون لديه، وليتق الله تعالى في العدل بينهم دون محاباة لأحد دون الآخر، فالمؤمنون إخوة، ولا فرق بين أحد منهم إلا بالتقوى والعمل الصالح والإخلاص في عمله كما يجرم على صاحب العمل أن يؤخر رواتب العمال عن موعد استحقاقها، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصَمْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ» رواه البخاري.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْفُهُ» رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيحرم بجنس الناس حقوقهم من أجل خلافات يمكن أن تزول وتذهب وتضمحل، فالإنسان لا ينتقم لنفسه بقدر ما ينتقم ويتمعر وجهه إذ انتهكت محارم الله.

أيها المسلمون: وإن مما يتعلق بأمانة المسؤول، أمانة تولية المسؤولية لمن هو أهل لها من أهل الخير والصلاح والاستقامة ومن الناس المشهود لهم بحسن السيرة والإخلاص في العمل، حتى تنهياً فرص الإنتاج المثلى التي يستفيد منها الفرد والمجتمع وليحذر المسؤول أن يولي زمام الأمور لمن ليس بأهل لها إما محاباة لأحد، أو لأجل حصول منفعة دنيوية ما تلبث أن تزول ثم يقاسي أتعابها وآلامها، ولهذا قال ﷺ: «ما من أمير يلي أمور المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح لهم إلا لم يدخل معهم الجنة» وقال ﷺ: «من غشنا فليس منا» أخرجهما مسلم.

فتلك الأعمال من خيانة المسلمين، وهي من صفات اليهود والنصارى الحاقدين وليست والله من الإسلام في شيء، فالإسلام دين التزاهة والأمانة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧].

فأمانة المسؤول أمانة عظيمة، لاختيار الأصلح لكل عمل، دون مراعاة لأحد، ولا محاباة لفرد من الأفراد، ودون تقدير لشعور قريب أو صديق، فلن يجادل عن المفرط أحد يوم القيامة، بل سيقاسي ألوان العذاب بسبب تفريطه في الأمانة وتضييعه لها، وسيكون جلساؤه خصماؤه، وشهداء عليه لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «وَيْلٌ لِلْأُمَرَاءِ لِيَتَمَنَّيَنَّ أَقْوَامٌ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعَلَّقِينَ بِذَوَائِبِهِمْ بِالثُّرَيَّا وَأَنْتُمْ لَمْ يَكُونُوا وَكُوا شَيْئاً قَطُّ» رواه ابن حبان وصححه الألباني في السلسلة.

فتفكروا رحمكم الله في حال المسلمين اليوم، والواقع الأليم الذي تعيشه الأمة في هذا الزمن، من توسيد الأمر لغير أهله من العصاة والفسقة والجرمين والظالمين،

والمنافقين العلمانيين، والرافضة، بل وحتى من الكفرة الفجرة، الذين يستغلون مناصبهم لنشر أفكارهم بين المسلمين، وأهل الخير والصلاح من أهل القرآن والسنة أهل الله وخاصته لا يقام لهم وزن، ولا يُقدر لهم قدر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. لقد انقلبت الأمور، وانتكست المفاهيم وتغيرت الأوضاع ونكست الطباع فأين العزة والفلاح، وأين الرفعة والصلاح التي ينشدها المسلمون في كل مكان مع هذا التفريط في الأمانة.

أيها الأخوة الفضلاء: على الموظف والمرعوس، وعلى العامل، أن يؤدي كل منهم، ولا بد أن يستنفد كل وقته، وكل جهده في إكمال عمله وتحسينه، أما من فرط في أداء عمله المنوط به، كمن يسرق من مال غيره، أو يبيع سلعة رخيصة بثمان باهض، ويأخذ الباقي دون علم صاحب العمل، أو من يقوم باستخدام آلات العمل وأجهزته ومعداته من أجل مصالحه الشخصية، أو من يأخذ شيئاً من عمله لبيته أو لغيره دون إذن مسبق أو يسرق آلات الحرب ومعداته من عمله، أو يؤخر معاملات المسلمين من أجل حفنة قدرة من أوساخ الدنيا، فتلك الأعمال وغيرها من السرقة والغلول والعياذ بالله قال تعالى: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [آل عمران: ١٦١].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ، فَكَتَمْنَا مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَسْوَدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْبِلْ عَنِّي عَمَلِكَ قَالَ وَمَا لَكَ قَالَ سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا قَالَ وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَلْيَجِيءْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ وَمَا نُهِيَ عَنْهُ أَنْتَهَى» أخرجه مسلم.

عباد الله: ومن أعظم الغش، وأضره على الإنسان والمجتمعات والبيوت، التفريط في أمانة الأسرة من زوجة وأولاد، فهذه هي الخيانة التي حذر منها الشرع،

وهذا هو الغش المحرم الذي أشار إليه الدين، ولهذا قال ﷺ: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة» متفق عليه.

فكم هم الأولياء الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم وهم يعلمون وذلك بإدخال وسائل الفساد إلى بيوتهم، فالويل للأولياء من رب الأرض والسماء قال ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يعرف به فيقال هذه غدرة فلان» رواه البخاري.

فاتقوا الله أيها الآباء في أمانة الأبناء والبنات والزوجات فأنتم عنهم مسئولون وبشأنهم يوم القيامة موقوفون، قال تعالى: {وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْتُولُونَ} [الصفات: ٢٤] فاحذر أيها الأب العاقل أن تتفاجأ يوم القيامة بأن أهلك خصماً أو ك، ألم تسمع قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} [التغابن: ١٤]، فسيقفون خصماً ونداً لك يوم القيامة، إذا وقفت بين يدي الجبار سبحانه، يقولون: لم يأمرنا ولم ينهنا، ولم يمنعنا، فماذا عساك تقول في لحن القول، وبماذا سترد في يوم تنكشف فيه الأستار والسرائر.

أيها المسلمون: وإن من أعظم الأمانة، هي التي تكون بين الرجل وزوجته فلا تفشي له سراً، ولا يطلع لها مخفياً، قال ﷺ: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر سرها» رواه مسلم.

فيحرم على الزوج والزوجة أن ينشرا سرهما وما يجري بينهما من علاقات زوجية لغيرهما ولو على سبيل المزاح. فقد سد الشارع الكريم هذا الباب، درءاً لما قد يحصل فيه من شرور وفتن، وبلاياً ومحن.

معاشر المسلمين: ألا وإن من أعظم الأمانة تلك التي أنيطت بالقضاة والمعلمين من القيام بها على أكمل وجه، ورعايتها أعظم رعاية، فالخصوم أمانة في أعناق

القضاة، والطلاب أمانة في رقاب المعلمين، فليرع كل أمانته، وليحذر من الخيانة، أو الغدر والنكوص على الأعقاب فالويل لمن فرط في أمانته.

فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى الْقَاضِيِ الْعَدْلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَاعَةً يَتَمَنَّى أَنَّهُ لَمْ يَقْضِ بَيْنَ اثْنَيْنِ فِي تَمْرَةٍ قَطُّ» فاعدلوا بين الخصوم، وارعوا حقوق الطلاب بكل صدق وأمانة، فالأمر أخطر مما يتصور، وأفظع مما يتوقع.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ناصر المستضعفين، وقاهر الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولي المؤمنين الصادقين، ولا عدوان إلا على المجرمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر المحجلين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، فنوح وهود وصالح ولوط وشعيب يخبرنا الله عز وجل في سورة الشعراء أن كل واحد منهم قد قال لقومه: {إني لكم رسول أمين}، ورسولنا محمد ﷺ أمين الله في الأرض على الرسالة، فهو الذي يبلغ عن ربه هذا الدين العظيم، وقد كان مشهوراً بالأمانة في قومه قبل الرسالة، فقد كانوا يلقبونه (محمد الأمين)، وجبريل عليه السلام أمين وحي السماء، فقد وصفه الله بذلك في قوله تعالى: {وإنه لنتيرل رب العالمين} * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين {

فأمر الأمانة عظيم، وخطر التفريط فيها جسيم لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان» رواه البخاري ومسلم.

فأي فوز، وأي نجاة، وأي نصر يرجوه المسلم عندما يتعامل مع إخوانه المسلمين، بالخيانة والكذب والغش والتدليس والسرقة.

إن التفريط في الأمانة، وصمة عار في جبين المفرط، ووسام ذل وخيانة، يحيط بعنقه، وأي خسارة أعظم من أن يكون المسلم في عداد المنافقين، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} [النساء: ١٤٥]

فاحذروا عباد الله من سوء العاقبة، وخطر الخيانة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك» رواه أبو داود وصححه الأرناؤوط.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء ومرافقة الأنبياء اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحييتنا

عباد الله: ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}، اللهم صل وسلم على رسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه وعن سائر الآل والصحابة ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين وانصر الإسلام والمسلمين واخذل الكفرة والمشركين، أعداءك أعداء الدين والحمد لله رب العالمين.

عواقب الذنوب والمعاصي

ملخص الخطبة

- ١- المصائب عقوبة الله لنا على ذنوبنا وتقصيرنا.
- ٢- مصارع الأمم السابقة بسبب ذنوبها.
- ٣- في حوادث ومصائب الأمم المجاورة عظة وعبرة لنا.
- ٤- مسؤولية كل في بابه وعمله.
- ٥- فشو المنكرات سبب في حلول العقوبة الإلهية.

عواقب الذنوب والمعاصي

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن المصائب لا تقع إلا بإذن الله، قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [التغابن: ١١].

وإن المصائب بمثابة الإشارات والتنبيهات من الله لعباده المخالفين، وهي آيات للتخويف أيضاً، قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا} [الإسراء: ٥٩].

لذا يجب على العباد الرجوع والاستقامة قبل فوات الأوان، قال تعالى: {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [السجدة: ٢١].

وإن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً يجلبه، وآفة تذهبها، فطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ سبب لجلب النعم المفقودة، وحفظ النعم الموجودة، أما المعاصي فهي سبب لذهاب النعم، وحلول النقم، قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠].

أيها المسلمون: إن المعاصي والذنوب خطرهما على الأبدان والقلوب وانظروا وتفكروا في ظهور أثرها على الأوطان والشعوب، فإنها سلاّبة للنعم جلاّبة للنقم، تورث أنواعاً عظيمة من الفساد، وتحل أنواعاً من الشرور والفتن والمصائب في البلاد قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

إن ضرر المعاصي على الأفراد والمجتمعات أشد وأنكى من ضرر السموم على الأجسام، إنها لتخلق في نفوس أهلها التباغض والعداء وتترل في قلوبهم وحشة وقلقا لا يجتمع معها أنس ولا راحة، قال تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: ٦٥].

أيها المسلمون: إن المعاصي والذنوب هي أصل كل بلاء، ومصدر كل شقاء ومنبع كل غضب وانتقام، فما نفرت النعم ولا حلت النقم ولا تسلط الخصوم والأعداء، ولا حلت الأدواء، ولا هجمت المصائب والنكبات إلا بشؤم الرذائل والمنكرات لما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس خصال إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله تعالى ويتخيروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» رواه البزار والبيهقي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

عباد الله: ليس في الدنيا ولا في الآخرة شر، ولا داء، ولا بلاء، إلا وسببه الذنوب والمعاصي، وما عذبت أمة من الأمم إلا بذنوبها، ففي كل آية عبرة، وفي كل مثل من الأمم السابقة بلاغ وذكرى، {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} [ق: ٣٧] وقال تعالى مبيناً سبب أخذ المهلكين وعقابهم: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [العنكبوت: ٤٠].

كل هذا كان فيمن قبلنا لكن الذنوب هي التي تهلك الأمم اللاحقة أيضاً فقال تعالى: {أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ} [المرسلات: ١٦-١٨] ما ظهرت المعاصي في ديار إلا أهلكتها، ولا فشت في أمة إلا أذلتها، بها تزول النعم، وتحل النقم، وتتحول العافية، ويستجلب سخط الله.

أيها المسلمون: ما نزل بالأمم والشعوب من ذل وهوان، وآلام وعقوبات وفتن وزلازل وما سُلط الأشرار وسيطر الفجار وغلت الأسعار وشحت الوظائف، وكثرت الجرائم، إلا بسبب الذنوب والمعاصي، والمجاهرة بذلك من الداني والقاصي وترك الأوامر والنواهي، فاعتبروا يا أولي الأبصار. قال تعالى: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} [الأنعام: ٦].

فما الذي سبب إخراج الأبوين عليهما الصلاة والسلام من الجنة دار اللذة والنعيم إلى هذه الدنيا دار الآلام والأحزان؟ وما الذي سبب إخراج إبليس من ملكوت السماء وصيره طريداً لعيناً مصدراً لكل بلاء في الإنسانية؟ لماذا عم الغرق قوم نوح حتى على الماء رؤوس الجبال؟

ولماذا سُلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم كأنهم أعجاز نجل خاوية؟ وما السبب في إرسال الصيحة على ثمود حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم؟ ولماذا قلب قري قوم لوط بهم فجعل عاليها سافلها وأتبعهم بحجارة من سجيل؟ وما الذي أغرق فرعون وقومه، وحسف بقارون الأرض، وما الذي هد عروشا في ماضي هذه الأمة وحضرها طالما حُميت. إنها الذنوب والمعاصي.

أيها المسلمون: اعتبروا بالمصائب التي تحصل في معظم الأوطان من الفيضانات والأعاصير التي تهلك الحرث والنسل في بعض الجهات والجدب والجفاف وكثرة المجاعات وانتشار الأوبئة والأمراض في كثير من المجتمعات، وحوادث السيارات والقطارات المهلكة والبواخر المغرقة والطائرات المحرقة، والزلازل المروعة التي تأتي على البنيان من القواعد. {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}

كل ذلك يا عباد الله بسبب كفر النعم والظلم وكسب السيئات قال تعالى: {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ} [الزمر: ٥١].

وقال تعالى: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وقال سبحانه مبيناً عاقبة الظالمين الذين يكفرون نعم الله ولا يشكرونها قال تعالى: {وَوَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٩]. وقال تعالى مبيناً للذين شاهدوا المصائب أن يأخذوا العبرة من ذلك: {وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [العنكبوت: ٣٥].

أيها المسلمون: إن معصية الله تعالى والمجاهرة بذلك كفر بالنعم، وإن الكفر بالنعم سبب للعذاب والعقاب، قال الله عز وجل: ولئن كفرتم إن عذابي لشديد. وقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]. وقال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

أيها المسلمون: إن المصائب والأحداث ما هي إلا نذر للمسلمين لكي يعودوا ويرجعوا إلى تصحيح أعمالهم ورفع المظالم وإقامة العدل في بلادهم، فالظلم والبعد عن شرع الله تعالى سبب للهلاك، قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} [القصص: ٥٩].

وقد وعد سبحانه ووعد الحق أن لا يعذب المستغفرين، فقال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]. فاتقوا الله أيها المسلمون وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

أيها المسلمون يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} [الرعد: ١١].

فعلى المسلم والمسلمة أن يتقي الله تعالى ويسعى للإصلاح وأن يحفظ الثغر الموكل إليه حتى لا يتسرب الفساد من بين يديه، وكل بحسبه، فالسلطان في البلاد على ثغر من ثغور المسلمين، فلا يجوز له أن يسمح للفساد أن يدخل سلطانه، والوزير على ثغر من ثغور الإسلام، فلا يجوز له أن يترك الفساد يتسرب إلى أجهزة وزارته، ومدير المكتب أو الجامعة أو المدرسة كلهم على ثغور من ثغور الإسلام، فلا يجوز لهم أن يسمحوا للفساد أن ينتشر في صفوف منسوبيهم أو تلاميذهم. قال ﷺ: {كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته فالإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته والرجل في أهله راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيته والخادم في مال سيده راعٍ وهو مسؤولٌ عن رعيته} متفق عليه. أيها المسلمون: إذا تخلى المسلم عن مسؤوليته وألقى باللائمة على غيره عندها يدب الفساد، ويتسلط الأعداء على البلاد، وتحل النقم وتسلب النعم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها المسلمون: إن حصول المصائب لا تكون إلا بسبب ما تكسبه أيدي الناس من المعاصي والمخالفات، والتي منها أكل السحت والربا وانتشار الفواحش، والزنا، وإكرام الكفار والفجار، وإهانة الصالحين والأخيار، ونبد الأحكام الشرعية وتضييع الصلاة ومنع الزكاة، واتباع الشهوات وارتكاب المنكرات، ومعاداة أولياء الله وانتشار الغش والظلم، لقد كثر أكل الحرام، وتنوعت فيه الحيل شهدادات باطلة وأيمان فاجرة، وخصومات ظالمة، لقد ارتفعت أصوات المعازف والغناء المحرم، ودخل أغلب البيوت، وتربى الصغار والكبار على ما تبثه وسائل الإعلام، ولقد فشت رذائل الأخلاق، ومستقبح العادات في البنين والبنات تسكعت النساء في الشوارع والأسواق، كثرت المنكرات والمعاصي والمخالفات، التي لا عد لها ولا حصر في سائر مجتمعات المسلمين، التي لا يكاد يسلم منها مجتمع، فيألى متى الغفلة

عن سنن الله، نعوذ بالله من الأمن من مكر الله، {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الأنفال: ٥٣].

إن المجتمعات حين تغفل عن سنن الله، فتغرق في شهواتها، وتضل طريقها، وتتكب عن شريعة ربها، إنها لا تلوم بعد ذلك إلا نفسها، إنها سنة الله، حين تفشوا المنكرات وتقوم الحياة على الذنوب والآثام.

إن المعاصي تفقد الأمة قوتها وعناصر بقائها، فتهلك وتطوى صفحاتها، نعم إن الاستمرار في محادة أمر الله وشرعه والاستمرار على الذنوب والخطايا وعدم الإقلاع ليهدم الأركان ويقوض الأساس ويزيل النعم وينقص المال وترتفع الأسعار وتغلو المعيشة، وتحل الهزائم الحربية، وقبلها الهزائم المعنوية. قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله» حديث حسن رواه الحاكم.

وقال ﷺ: «ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسح وذلك إذا شربوا الخمر واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف» وقال الألباني صحيح بمجموع طرقه.

فاتقوا الله تعالى واحذورا مكره وبأسه قال تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَأَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا} [الأعراف: ٩٧ - ١٠١].

عباد الله: لا يحملنكم انتشار الفساد على ترك الدعوة والنصح والإصلاح، ادعوا إلى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تياسوا، وأحسنوا الظن بالله،

فإنه ناصر دينه ولو كره المشركون، اجتهدوا في جبر ما انكسر، وتقويه ما ضعف، وإصلاح ما فسد من عقائد الناس وعباداتهم وأخلاقهم وعاداتهم، فإن ذلك من أحسن الأقوال وأفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٣ - ٣٥].

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه، اللهم احشرونا في زمرة من وإن قصرت آمالنا وأخلاقنا عنهم. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعز فيها أوليائك، ويذل فيها أعدائك.

اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك. اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك. يا ذا الجلال والإكرام. ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين. والحمد لله رب العالمين.

عوامل القوة في حياة المسلمين

ملخص الخطبة

- ١- شرف المسلم وعزه في تمسكه بالقرآن والسنة.
- ٢- قصة ابن أم مكتوم مع النبي .
- ٣- زواج جلييب ومقتله.
- ٤- عطاء بن رباح مفتي الحج.
- ٥- عمر في بلاد الشام.
- ٦- ربعي في بلاط رستم.
- ٧- التأسى بالساقطين والساقطات ومهازيل الأمم.

عوامل القوة في حياة المسلم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون: إن من مبادئنا الأصيلة، ومن تعاليمنا الجليلة، أن نفتخر بهذا الدين وأن نتشرف بأن جعلنا الله مسلمين، فمن لم يتشرف بالدين ومن لم يفتخر بكونه من المسلمين، ففي قلبه شك وقلّة يقين، يقول الله في محكم التنزيل، مخاطباً رسوله ﷺ: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: ٤٤].

أي: شرف لك، وشرف لقومك، وشرف لأتباعك إلى يوم القيامة.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنًا غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرُّسلِ كنا أكرم الأممِ

ولذلك يقول الله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

[آل عمران: ١٣٩].

قال سيد قطب في هذه الآية: الأعلون سنداً، والأعلون مبادئاً، والأعلون منهجاً، فمبدؤكم المبدأ الأصيل، وقرآنكم القرآن الجليل، وسندكم الربُّ الفضيل، فكيف يَهِنُ من كان الله سنده، وكيف يَهِنُ من كان الله ربه ومولاه، وكيف يَهِنُ من كان رسوله وقدوته محمداً ﷺ وكيف يَهِنُ من كان دينه الإسلام.

ولذلك كان إزاماً علينا أن نفخر وأن نشعر بالشرف والجلالة والنبيل، يوم أن جعلنا الله مسلمين؛ لأن بعض الناس قد ينجل أن يلتفت إلى السنّة، أو أن تظهر عليه معالم السنّة، وهذا خطأ كبير وانهمزام نفسي فاحش.

كيف ينجل المؤمن من السنّة، ونجاته يوم القيامة موقوفة على اتباعها. ويظن بعض هؤلاء أن الغرب بما وصل إليه من تقدم علمي هم أهدي سبيلاً من أهل الإيمان والإسلام !!

ومما زادني شرفاً وفخراً وكدتُ بأخمصي أطأُ الثرياً
دخولي تحت قولك "يا عبادي" وأن صيرتُ أحمد لي نبياً

اعلموا أن الله يرُدُّ على الذين ظنوا أن مبادئ الشرف ومبادئ الرِّفعة في تحصيل الأموال وامتلاك الدنيا فقال: {وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ * أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} [الزخرف: ٣١-٣٢].

الشرف كل الشرف ليس في الدور، ولا القصور، ولا في الأموال ولا في الأولاد، ولا في الهيئات، الشرف أن تكون عبداً لرب الأرض والسموات، الشرف أن تكون من أولياء الله، الذين يعملون الصالحات، ويجتنبون المحرمات.

جاء عبد الله ابن أم مكتوم، الضرير المسكين إلى المصطفى ﷺ يسأله في بعض الأمور، والرسول ﷺ مشغول بكفار قريش وساداتهم ويريد أن يهديهم إلى صراط الله المستقيم، فلما دخل عليه قال: "يا رسول الله، أريد كذا وكذا فأعرض عنه ﷺ؛ لأنه لا يريد أن تفوته الفرصة مع هؤلاء الكبار، فعاتبه ربه من فوق سبع سماوات في أمر هذا المسكين الضرير، يقول الله له: [عبس] فخاطبه بخطاب العيية، ولم يقل (عَبَسْتَ) وإنما يقول عبس أي تغير وجهه واكفهر، عبس هذا الرسول، عبس هذا النبي، عبس هذا الداعية في وجه الرجل الصالح عبس وتولى. أي أعرض عنه {عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى} [عبس: ١-٢]. ولم يُسَمَّه باسمه إنما ذكره بصفته أن جاءه الأعمى ثم قال له: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس: ٣].

من أخبرك بحاله لعله أراد أن يتطهر بالعلم النافع أراد منك أن تُفقهه بالدين، أراد منك أن تقوده إلى رب العالمين، أو يذكركُ فتنفعه الذكرى {أَمَّا مَنْ اسْتَعْنَى} [عبس: ٥].

أما الكافر الذي استغنى عن الرسالة والرسول، وعن القرآن والسنة، وعن الهداية والنور أما من استغنى {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} [عبس: ٦]. تستقبله، وتهش وتبش في وجهه، وتلين له في الخطاب.

هؤلاء الجبابرة الذيت أتوك تستقبلهم، أما هذا الأعمى، فتعرض عنه؟! فأنت له تَصَدَّى {وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} [عبس: ٧].

ليس عليك حسابهم، ذرهم يموتوا بكفرهم، وجبنهم، وعنادهم وجبروتهم، فالنار مثواهم. وما عليك ألا يزكى {وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس: ٧-١٠]. لا، لا تفعل.

فأتى عبد الله ابن أم مكتوم مرة ثانية، فقام له ﷺ وعانقه، وفرش له رداءه، وقال له: «مرحبًا بالذي عاتبني فيه ربي» الدرّ المنشور.

وبالفعل كانت النتيجة؛ أن من مات من هؤلاء الأشراف ماتوا على الكفر ودخلوا ناراً تلظى وأما عبد الله ابن أم مكتوم، فأسلم واستمر على إسلامه ووفائه. ولما أتى داعي الهداية وداعي الكفاح، وداعي الجهاد، وارتفعت راية الإسلام في يد عمر رضي الله عنه ونادى بالنفير إلى القادسية، إلى معركة فاصلة، مع آل كسرى، وآل رستم، كان من المجاهدين عبد الله ابن أم مكتوم.

قال له الصحابة: إنك معذور، أنت أعمى، قال: لا والله، الله يقول: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة: ٤١]. فلما حضر المعركة، سلموه الراية، فوقف مكانه حتى قتل، فكان قبره تحت قدميه، رضي الله عنه وأرضاه.

سلام على ذلك الصديق المخلص، وسلام على ذلك المنيب، الذي تشرف بالإسلام فكان قلعة من قلاع الحق، استقبلت نور السماء فوزعته على البشرية، والرسول صلوات الله وسلامه عليه كما قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها: "ما أعجب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط، إلا ذو تقى" أخرجه أحمد.

وقال عبد الرحمن بن عوف: "والله ما رأيت متقياً لله إلا وددت أني في مسلاخه". جاء جلييب إلى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه فتبسم عليه الصلاة والسلام لما رآه، وقال وهو يناصحه: «يا جلييب أتريد الزواج؟ فقال يا رسول الله: من يزوجني، ولا أسرة عندي، ولا مال، ولا دار، ولا شيء من متاع الدنيا.

فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار فأقرئهم مني السلام، وقل لهم: إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يأمركم أن تزوجوني»، فذهب وطرق عليهم الباب وكانوا من سادات الأسر ومن كبريات العشائر في الأنصار، فخرج رب البيت، ورأى جلييباً وهيئته وفقره وعوزه، فقال له ماذا تريد؟ فأخبره الخبر، فعاد إلى زوجته فشاورها، ثم قالوا: ليته غير جلييب؛ لا نسب، ولا مال، ولا دار، فشاوروا تلك البنت الصالحة، التي تربت في مدرسة التوحيد، فقالت: وهل نردُّ النبي صلوات الله وسلامه عليه

فتزوج بها، وعمر بيته الذي أسسه على تقوى الله - عز وجل - ورضوانه، ترفرف عليه المسكنة، ويزينه التكبير والتهليل والتحميد، وتظله الصلاة في المهجير، والصيام في شدة الحر. رواه أحمد.

وحضر النبي ﷺ معركة من المعارك، فلما انتهت بالنصر، قال ﷺ لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً. ثم قال ﷺ: «هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نعم، فلاناً وفلاناً وفلاناً. ثم قال ﷺ: «هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا. قال ﷺ: «لكني أفقد جليبيماً فاطلبوه» فطلب في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتى النبي ﷺ فوقف عليه، فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه. هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه، ثم وضع ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ ثم حفر له، ووضع في قبره» أخرجه مسلم.

لقد كانت عظمة هؤلاء يوم اتصلوا بالواحد الأحد، وعرفوا الله عز وجل، فعرفهم الله عز وجل على منازل الصديقين.

دخل سليمان بن عبد الملك الحرم، ومعه الوزراء والأمراء والحاشية، والجيش، فقال: من عالم مكة؟ قالوا: عطاء بن أبي رباح، قال: أروني عطاء هذا، فأشرف عليه، فوجده عبداً، كأن رأسه زبيبة مشلولاً نصفه، أزرق العينين، مفلفل الشعر، لا يملك من الدنيا درهماً ولا ديناراً، فقال سليمان: أنت عطاء بن أبي رباح الذي طوق ذكرك الدنيا؟ قال: يقولون ذلك، قال بماذا حصلت على هذا العلم، قال: بترك فراشي في المسجد الحرام ثلاثين سنة، ما خرجت منه، حتى تعلمت العلم، قال سليمان: يا أيها الحجاج لا يفتي في المناسك إلا عطاء.

وحدث ان اختلف سليمان وأبناؤه في مسألة من مسائل الحج، فقال: دلوني على عطاء بن أبي رباح، فأخذه إلى عطاء وهو في الحرم والناس عليه كالغمام، فأراد أن يجتاز الصفوف، ويتقدم إليه وهو الخليفة، فقال عطاء: يا أمير المؤمنين،

خذ مكانك، ولا تتقدم الناس؛ فإن الناس سبقوك إلى هذا المكان، فلما أتى دوره سأله المسألة فأجابته، فقال سليمان لأبنائه: يا أبنائي، عليكم بتقوى الله والتفقه في الدين، فو الله ما ذلت في حياتي إلا لهذا العبد؛ لأن الله يرفع من يشاء بطاعته، وإن كان عبداً حبشياً، لا مال ولا نسب، ويذل من يشاء بمعصيته، وإن كان ذا نسب وشرف.

جاء هشام بن عبد الملك الخليفة، أخو سليمان، فحج البيت الحرام، فلما كان في الطواف، رأى سالم بن عبد الله بن عمر، الزاهد العالم العارف، وهو يطوف، وحذاؤه في يديه، وعليه عمامة وثياب، لا تساوي ثلاثة عشر درهماً، فقال له هشام: يا سالم: أتريد حاجة أقضيها لك اليوم، قال سالم: أما تستحي من الله، تعرض عليّ الحوائج، وأنا في بيت من لا يُعوزني إلى غيره، فاحمر وجه الخليفة، فلما خرج من الحرم، قال: هل تريد شيئاً؟ قال: أمّن حوائج الدنيا، أم من حوائج الآخرة؟ قال: أما حوائج الآخرة فلا أملكها لكن من حوائج الدنيا، قال سالم: والله الذي لا إله إلا هو، ما سألت حوائج الدنيا من الذي يملكها تبارك وتعالى، فكيف أسألها منك؟!.

إنهم عظماء لأنهم عاشوا في مدرسة النبي ﷺ التي أخرجت خير أمة للناس، يرون الذهب والفضة للكفار، فيهدمونها ويطأونها بالأقدام، فيقول لهم المستعمر والكافر: خذوا هذا الذهب، واتركوا بلادنا، قالوا: لا والله، دارنا وبلادنا، جنة عرضها السماوات والأرض.

ومن الذي باع الحياة رخيصةً ورأى رضاك أعزّ شيء فاشترى

أم من رأى نار الجوس فأطفئت وأبان وجه الصبح أبيض نيراً

إنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

يخرج عمر رضي الله عنه لاستلام مفاتيح بيت المقدس، فيخرج له الناس، ويستعرض الجيش المسلم، بقيادة أمراءه الأربعة تحت راية أبي عبيدة المقدم الهمام؛ يستعرضون له في الجابية، فلما أشرف عليهم قال: لا إله إلا الله، ثم قال: نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، ثم أمر الكتائب والجيش أن تتفرق؛ فيدخل مسكنه في تواضع وفي هدوء، فلما اقترب الأمراء منه قال: تفرقوا عني، أين أخي أبو عبيدة عامر بن الجراح، فتقدم أبو عبيدة، فعانقه وبكى طويلاً، فقال عمر: يا أبا عبيدة، كيف بنا إذا سألنا الله يوم القيامة، ماذا فعلنا بعد رسولنا صلوات الله عليه قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، تعال نتباكى، ولا يرانا الناس فانحرفا عن الطريق، والجيش تنظر إليهما، والأمراء والقساوسة والرهبان، والنصارى، فأتجها إلى شجرة، ثم توقفا بيكيان طويلاً.

رضي الله عنكم أيها السلف الصالح، يوم عرفتم أن الحياة بسنينها وأعوامها، ينبغي أن تصرف في مرضاة الله سبحانه وتعالى.

يقول رستم قائد فارس، وتحت يديه مائتان وثمانون ألفاً من الجنود الكفرة، يقول لسعد بن أبي وقاص القائد المسلم. أرسل إليّ من جنودك رسولاً أكلمه، فأرسل له سعد رضي الله عنه ربعي بن عامر وعمره ثلاثون سنة، من فقراء الصحابة.

قال سعد: اذهب ولا تغير من مظهرك شيئاً، لأننا قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فخرج ربعي بفرسه الهزيل، وثيابه الرثة ورمحه البسيط، فلما سمع رستم أن وافد المسلمين سوف يدخل عليه، جمع حوله الأسرة الحاكمة، والوزراء، والجنود، واستعدوا لأن يرهبوا هذا الوافد، علّه يتلعثم، فلا يستطيع الكلام، فلما جلس رستم قال: أدخلوه عليّ، فدخل يقود فرسه، واعتمد برمحه على بسطهم فخرقها وأفسدها؛ ليظهر لهم أن الدنيا حقيرة، وأنها رخيصة، وأنها لا تساوي عند الله شيئاً، ومن علامات رخصها أن أعطاهما هذا الكفرة.

فلما وقف أمامه قالوا: اجلس، قال ربعي: ما أتيتك ضيفاً، وإنما أتيتك وافداً، فقال رستم: - والترجمان بينهما- مالكم أيها العرب ما علمنا قوماً أذل ولا أقل منكم. للرومان حضارة ولفارس حضارة ولليونان حضارة، وللهنود حضارة، أما أنتم، فأهل جعلان تطاردون الأغنام والإبل في الصحراء، فماذا أتى بكم؟ قال ربعي: نعم، أيها الملك كنا كما قلت وزيادة، كنا أهل جهالة، نعبد الأصنام، يقتل القريب قريبه على مورد الشاة، لا نعرف نظاماً ومبدأً، ولا حضارة - أو كما قال - ثم انتفض، ورفع صوته كأنه الصاعقة في مجلسه قائلاً: ولكن الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا، إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان، إلى عدل الإسلام، فغضب رستم وقال: والله لا تخرج، حتى تحمل تراباً من بساطي، فحملته على رأسه، فقال ربعي: هذه الغنيمة إن شاء الله؛ تسليم أرضك وديارك. (حياة الصحابة)، {فَقَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٤٥].

فلما أشرف على سعد، قال: ماذا على رأسك يا ربعي؟ فقال: تراب من تراب أرض رستم وكسرى، فكبر المسلمون حتى اهتز مخيمهم وقالوا: هو النصر، تسليم أرضهم بإذن الله.

وفي الصباح الباكر، يوم أشرقت الشمس بأشعة النصر على الدنيا كان سعد رضي الله عنه في أول الصفوف، والتقى الجمعان، وبرزت الفئتان وتبدى الرحمن لحزبه - سبحانه وتعالى- وفي ثلاثة أيام، تُسحق كتائب الضلالة والعمالة، وتداس الجماجم التي ما عرفت لا إله إلا الله، وتضرب الرؤوس التي ما دخل فيها نور لا إله إلا الله، ويدخل سعد في اليوم الرابع إيوان كسرى، الذي حكم الدنيا ألف سنة فيراه مموهاً بالذهب، ويرى الياقوت والزبرجد والمرجان، فيكي سعد ويقول: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ

وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ {
[الدخان: ٢٥-٢٩].

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع أسـمك فوق هاماتِ النجومِ منارا
كنا جبلاً في الجبالِ وربما صرنا على موج البحارِ بحارا
كنا نرى الأصنام من ذهبٍ فنهـدمُها ونهدمُ فوقها الكفارا
لو كان غير المسلمين لصاغها حلياً وحاز الكنزَ والدينارا
أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه
وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة
والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وحجة الله على الناس أجمعين صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.
أيها الناس:

إن مما يجب على المسلم الذي يريد أن يؤسس بيته على تعاليم الإسلام
وشرائعه؛ أن يُعرِّف بيته وأبناءه بالإسلام، وأن يعظم شعائر الله في قلوبهم، وأن
يعظم الحدود التي أمر الله بحفظها، فيكون بيته معظماً لله سبحانه، ومعنى ذلك أن
تربي في نفس ابنك تعظيم الله، فلا يكون أحدٌ في قلبه أعظم من الله، ولا أجل من
الله، ولا أحب من الله، واستقامة البيت المسلم وهداية الأبناء تحصل بأمور منها:
أولاً: أن تعظم في قلب ابنك اسم الله سبحانه وتعالى. وأن تعرفه على
الواحد الأحد، فلا يتلفظ بلفظ الجلالة إلا في مكارم الأمور وفي أشرف المناسبات.
وأن تعلمه أين هو الله تبارك وتعالى في علوه، وتعرفه على صفات الواحد
الأحد وكرمه وحلمه وبره تبارك وتعالى، وتريه آثار القدرة في أسمائه وصفاته.

يأكل الطعام فتقول له: هذا من فضل الله؛ ليحب الله، يلبس اللباس فتقول له: هذا من جود الله، فيتعرف على الله، يدخل البيت فتقول له: هذا من عطاء الله وفضله، فيتحبب إلى الله تعالى.

ثانياً: تعظيم كتاب الله، فتحبب إليه القرآن وتعظم مبدأ القرآن في قلبه، وتجعل القرآن من أعظم اهتماماته في الحياة فإن وجدت قصاصة من المصحف رفعتها وقبلتها وطببتها وهو يراك، فإن هذا السلوك أعظم من مائة محاضرة، تحاضر فيها عن عظمة القرآن.

ترى شيئاً من حديث المصطفى فترفعه، يُذكر لك الرسول ﷺ في المجلس فتصلي وتسلم عليه فتعظم في قلبه رسول الهدى وتعظم في نفسه جهوده وجهاده.

ثالثاً: تعظم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحابة أجمعين، حتى يكون هؤلاء الأخيار هم النجوم عند أبنائنا، لا نجوم الفن ولا نجوم الغناء؛ لأن كثيراً من الأطفال تربوا على أن العظماء هم المغنون والمغنيات الأحياء منهم والأموات، فيرى أن هذا المغني قد شق طريق المجد، وقد صعد إلى القمة، وقد نال من الفخر ما لم ينله أحد من العالمين.

ويظن بعض الأطفال أن هؤلاء الفنانين والفنانات رزقوا من العقول ومن الذكاء ما لم يرزقه أحد من الناس، لا لشيء إلا لأن الطفل يصبح ويمسي على صوت هذا المغني وهذا الفنان، أما ذكر محمد ﷺ فَقَلَّ أَنْ يَسْمَعَهُ فِي بَيْتِهِ.

وطائفة من الناس، ثقافتهم آثمة، دخيلة، عميلة، ضالة؛ رأوا أن نجوم المجد ماركس، ولينين وهرتزل ونابليون، وهتلر، أعداء الإنسانية، وشرذمة البشرية، إنهم يقرأون كتبهم ويحفظون كلماتهم، وهؤلاء- والذي لا إله إلا هو- لا يساوون غبار نعليه ولا يساوون التراب الذي وطئه ولا يساوون حذاء أبي بكر أو عمر، أو عثمان، أو علي. {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ} [الأنعام: ٩٠].

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ الجامعُ
أولئك الذين ركبوا متن التاريخ وأسمعوا أذن الزمن، وامتطوا بحار المجد،
يرفعون لا إله إلا الله.

أولئك الذي علم الله الإنسانية بهم العدالة، وأفنى الله بهم الضلالة، ومحق الله
بهم العمالة. أولئك الذين كان كل منهم قرآناً يمشي على الأرض، يتعاملون بتعاليم
القرآن، وينامون على تلاوة القرآن، ويستيقظون على صوت القرآن.

أولئك الذين نظر الله إلى قلوبهم فرضي عنهم ورضوا عنه؛ يكلم شهداءهم
كفاحاً، ويرضى عن مواقفهم، ويثني عليهم وهم في الحياة الدنيا.

يجتمعون تحت شجرة، فيترل جبريل بكلام الله سبحانه وتعالى: {لَقَدْ رَضِيَ
اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [سورة الفتح: ١٨].

ويجتمعون في الصباح الباكر فيترل جبريل بقوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} [الفتح: ٢٩].

أما أولئك الذين دخلوا علينا في المجالات الخليعة، وفي الكتب الظالمة الغاشمة،
وفي الأفكار الإلحادية الضالة، أولئك أبجس خلق الله ولا أبالغ إذا قلت: إن الكلاب
أطهر منهم وإن الحمير أنزه منهم؛ لأنها مخلوقة بلا عقول ولا تكليف أما هم فكلفوا
بعقول، ثم ألدوا، وكفروا، وأعرضوا فهم أضل منها سبيلاً {أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ
إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً
فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ} [الحاثية: ٢٣].

نعم إن الذي لا يؤمن بالله، تطارده لعنة الله في الدنيا والآخرة، كما قال
تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ* خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ} [البقرة: ١٦١-١٦٢].

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يحفظ علينا إسلامنا، ذلك الإسلام الذي أتى به رسول الله ﷺ فأخرج به الدنيا من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان.

إن البرية يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فبدل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه، اللهم احشرونا في زمركم وإن قصرت
آمالنا وأخلاقنا عنهم. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعز فيها أولياؤك ويذل فيها أعداؤك.
اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك.

اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك
يا ذا الجلال والإكرام، لك الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لك الحمد حتى
ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

عباد الله: صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال:
{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليماً} [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل على نبيك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

السعادة المنشودة

ملخص الخطبة

- ١- السعادة مطب الجميع.
- ٢- السعادة هبة من الله يعطيها لمن أطاعه .
- ٣- الهم والحزن والأرق من جند الله يسلمها الله على من شاء .
- ٤- السعادة ليست كما يتصورها البعض مالا وقصوراً .
- ٥- السعادة كما عرف طريقها النبي ﷺ والسلف الكرام .
- ٦- أبواب الشقاء وعدم السعادة كثيرة منها الغناء والنفاق والذنوب.

السعادة المنشودة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون، لا يُعرف مفقودٌ، تواطأ الناس على البحث عنه والإعياء في طلبه، وهم مع ذلك يسيرون في غير مساره ويلتمسونه في غير مظانه، مثل السعادة والطمأنينة والبال الرخي فله ما أقل عارفيها! وما أقل في أولئك العارفين من يقدرها ويغالي بها ويعيش لها!

بل لو غلغل النظر في بعض عارفيها، لما وجد إلا حق قليل، يكتنفه باطل كثيف، حق يعرف في خفوت كأنه نجمة توشك أن تنطفئ في أعماء الليل، وما أكثر العواصف التي تهب علينا وتملأ آفاقنا بالغيوم المرعدة! وكم يواجه المرء منا بما يكره، ويحرم ما يشتهي، وهنا يجيء دور السعادة التي تطارد الجزع، والرضا الذي ينفي السخط.

السعادة التي تسير مع الإنسان حيث استقلت ركائبه، وتترل إن نزل وتدفن في قبره السعادة التي يعبر عنها شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله في أوج إحساسه بها: "ما يفعل بي أعدائي؟ إن سجنني خلوة، وإن قتلي شهادة، وإن تشريدي سياحة في سبيل الله".

إن الحديث عن السعادة والشقاء، سيظل باقيا ما دام في الدنيا حياة وأحياء، وإن كل إنسان على الأرض ليبحث عنها جاهدا ويود الوصول إليها والحصول عليها، ولو كلفه ذلك كل ما يملك، ألا وإن جمعا من الواهمن يعرفون السعادة بأنها لا حقيقة لها، وأنها خيال يتدعه الوهم ويكذبه الواقع.

والحق — عباد الله — أن هؤلاء جاهلون أو مخادعون؛ لأنه لا يعقل ألبتة أن يخلقنا الله ثم يريد لنا أن نشقى جميعا، كيف ذلك؟ والله يقول لنبيه: {طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ} [طه: ١، ٢]. ويقول: {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ} [طه: ١٢٣].

السعادة هي جنة الأحلام، التي ينشدها كل البشر، من المثقف المتعلم في قمة تفكيره وتجريده، إلى العامي في قاع سداجته وبساطته، ومن السلطان في قصره المشيد، إلى الصعلوك في كوخه الصغير يعيش على تراب الإملاق، ولا نحسب أحدا منهم يبحث عمدا عن الشقاء لنفسه أو يرضى بتعاستها.

أيها المسلمون، إن العبد بغير إيمان مخلوق ضعيف، وإن من ضعفه أنه إذا أصابه شر جزع، وإذا أصابه خير منع، {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج: ١٩-٢٢].

إن فقدان السعادة من قلب المرء، يعني بدهاة، حلول القلق والاضطراب النفسي في شخصه، فتجتمع عليه السباع الأربعة، التي تهدم البدن وتوهنه، فضلا عن كونها تحلق سعادته وتقصر اطمئنانه، ألا وهي الهم والحزن والأرق والسهر.

ولا أشد من وقوع الهم في حياة العبد ، إذ هو جند من جنود الله — عز وجل — سلطه على من يشاء من عباده ممن كان ضعيف الصلة بالله ، خوي الروح، مرتعا للمعاصي والذنوب {وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح: ٧].

ولقد سئل علي بن أبي طالب عليه السلام وأرضاه: من أشد جند الله؟ قال: (الجبال، الجبال يقطعها الحديد؛ فالحديد أقوى، والنار تذيب الحديد؛ فالنار أقوى، الماء يطفئ النار؛ فالماء أقوى، السحاب يحمل الماء؛ فالسحاب أقوى، والريح تعبت بالسحاب، فالريح أقوى والإنسان يتكفأ الريح بيده وثوبه؛ فالإنسان أقوى، والنوم يغلب الإنسان؛ فالنوم أقوى، والهم يغلب النوم؛ فأقوى جند الله هو الهم يسلمه الله على من يشاء من عباده.

فالمفهوم إذاً — عباد الله — أن السعادة والطمأنينة عطاء من الله ورحمة، كما أن الهم والقلق والضيق غضب من الله ومحنة، فقد يلتقي الملتقيان يتواجهان النفس بالنفس، وبينهما من الفوارق كما بين السماء والأرض، بل وفي أحلك الظروف، وحين تدلهم الخطوب يظهر البون شاسعا بين موفق سعيد يغبط، وبين هلع جزع يتعوذ بالله من حاله، ولقد ذكر الله مثل هذا في كتابه الحكيم عن غزوة أحد حينما ألقى النوم والنعاس على المؤمنين، في حين أن القتال قائم بعد سويقات {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنْكُمْ} [آل عمران: ١٥٤].

النعاس في هذه الحال دليل على الأمن والأمان، لمن كانوا جازمين بأن الله سينصر رسوله وينجز له مأموله، ولهذا قال عن الطائفة الأخرى {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ} [آل عمران: ١٥٤] أي من القلق والجزع والخوف، وهذا شأن أهل الريب والشك، يعيشون بين (لو) المتندمة و(ليت) المتحسرة.

عباد الله، إن السعادة عبارة يتوهم معظم الناس في تفسيرها ولا يتفقدون عليها، يجلبون بخيلهم ورجلهم على ما يتوهمونه، ثم يعودون بخفي حنين وكأنهم خرف يكلم الأشباح، أو يطعن في الرياح، فصاروا كطالب اللؤلؤ في الفلاة، مجهود البدن كسير النفس خائب الرجاء. فظن الغني منهم أن سعادته كامنة في صحته وعمارة قصره، وتوهمها الفقير في الثروة والملبس الحسن، وأكد السياسي أنها في تحقق الأهداف، والمهارة في جعل الجور عدلا والقوة شرا، وجزم العاشق على أنها في الوصال، والتيم بمعشوقه، وعند فلان كذا وعند فلان هي ذا...

ولكن المنصف الملهم حينما يبرق بعيني بصيرته، ليعلم يقينا سخر التخمين وسحق الهوة التي يقع فيها أصحاب الأوهام المعلولة؛ فإذا بالغني يرى أن قصره المشيد قد شاطره السعادة الموهومة فيه، خدمه وحشمه بل وكلب حراسته وفيله، فتأكد له جيدا، أن السعادة لا تتمثل في بناء الدور وتشيد القصور.

وإذا بالفقير المرهق، ينظر إلى أصحاب الثروة واللباس الفاخر ملتائين بطيف سعادة إنما هي رجع ضوء منعكس على سحابة عما قريب ستنتشع؛ فيقول في قرارة نفسه: هذا القطن الذي يلبسونه، كان في الغابة على الأشجار، والحرير الذي يباهون به في بطن دودة تعيش في الأوكار، أما الحلبي الذي يلبسونه فقد كان وسط أحجار ينقلها بغل أو حمار، فيتيقن حينئذ أن السعادة الحققة، قد تمثلت في مثل شخص الفاروق في حين إن البردة تكسوه مرقعة، والزيت أدم له والكوخ مأواه، ومع ذلك يهتز كسرى على كرسيه فرقا من خوفه وملوك الروم تخشاه.

فالسعادة إذاً — رعاكم الله — ليست في وفرة المال ولا سطوة الجاه ولا كثرة الولد، ولا حسن السياسة، السعادة أمر لا يقاس بالكم ولا يشتري بالدنانير، لا يملك بشر أن يعطيها، كما أنه لا يملك أن ينتزعها ممن أوتيتها.

السعادة دين يتبعه عمل، ويصعبه حمل النفس على المكاره وجبلها على تحمل المشاق والمتاعب، وتوطئتها لملاقاة البلاء بالصبر، والشدائد بالجلد، والسعيد من أثر الباقي على لفاني {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} [مريم: ٩٦]. {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: ٣٢].

السعادة — أيها المسلمون — هي الرضا بالله والقناعة بالمقسوم والثقة بالله واستمداد المعونة منه، من ذاق طعم الإيمان ذاق طعم السعادة، قال رسول الله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا» رواه مسلم. ولذا فإن من أضع نعمه الرضا، أصابه سُعار الحرص والجشع فهو يطمع ولا يقنع ويجمع ولا يدفع، يأكل كما تأكل الأنعام، ويشرب كما تشرب الهيم، ولقد صدق رسول الله ﷺ؛ حيث يقول: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله» رواه الترمذي.

ولقد كتب الفاروق إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما - يقول له: "أما بعد، فإن الخير كله في الرضى، فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر". إذا يا عباد الله، لا تحش غمًّا ولا تشكُّ همًّا، ولا يصبك قلق مادام أمرك متعلقاً بقول الله - جل وعلا - في الحديث القدسي: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» رواه البخاري ومسلم.

بهذا الحديث وأمثاله بدت السعادة في وجوه السعداء، والتي يعبر عنها من أحس بنشوتها من أئمة الإسلام فيقول: "إننا نحس بسعادة لو علم بها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بجد سيوفهم".

السعادة التي يمثلها من يغدو في خمائلها ويقول: "إنه لتمر علي ساعات أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه الآن لكانوا إذاً في عيش طيب".

إن أمثال هؤلاء هم الذين ابتسموا للحياة حينما كشرت عن أنيابها، واستقبلوا الآلام بالرضى والتسليم، اللذين يحولانها إلى نعمة تستحق الشكر والحمد، على حين أنها عند غيرهم مصائب تستوجب الصراخ والعيويل.

فإذا كانت السعادة شجرة منبتها النفس البشرية، فإن الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، هو ماؤها وغذاؤها وهواؤها وضيائها {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ} [الرعد: ٢٨، ٢٩].

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن العلم الذي يبصر ويهدي، والهمة التي تحفز وترقي، هما مفتاح السعادة والفلاح، وإنما تفوت هذه المراتب العبد من هاتين الجهتين أو من إحداهما، فإما أن لا يكون له علم بها، فلا يتحرك في طلبها، أو يكون له علم بها ولا تنهض همته إليها.

ألا فاعلموا عباد الله أن السعادة تفقد بأمور، منها: الغناء؛ مزار الشيطان، ورقية الزنا، الذي ينبت النفاق والقلق كما ينبت الماء الكلاء، يقول الله فيه: {وَمَنْ أَلَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [لقمان: ٦]. ولقد أقسم ابن مسعود ثلاثاً على أنه الغناء.

كما أن من مهلكات السعادة، جعل البيت المسلم محلا لمردة الجن وبعد الملائكة، وذلك بنشر الصور التي حرمها الشارع على جدرانها وفي فنائها، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة» فما بال الكثيرين يغلقون أبوابهم في وجوه الملائكة ويستدعون أسباب الشقاء والقلق ثم هم ينشدون السعادة بعد ذلك؟!!

عباد الله: وإن من أبواب الشقاء: الذنوب والمعاصي التي قال عنها المصطفى: «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» رواه أحمد وصححه الألباني.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله في مسنده: "وجد في خزائن بني أمية حنطة، الحبة بقدر نواة التمر وهي في صرة مكتوب عليها: هذا كان ينبت في زمن العدل". ولذا عباد الله فإن سعادة القلب المثمرة بركة الرزق منوطة بالطاعة والتقوى، ولقد جاء عند مسلم في صحيحه في وصف المهدي المنتظر الحديث وفيه: «ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله، وتخرج الأرض بركتها وتعود كما كانت، حتى إن العصابة من الناس ليأكلون الرمانه ويستظلون بقحفها - أي قشرها - ويكون العنقود من العنب حمل بعير..» رواه مسلم.

ومن أسباب القلق: التهاونُ بشأن الصلاة أو التقليل منها، ورسول الله ﷺ يقول: «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» رواه أحمد والنسائي وهو حديث صحيح.

وورد في الحديث الحسن عند أحمد وغيره: «كان ﷺ إذا حزبه أمر قام إلى الصلاة» رواه أحمد وأبو داود وهو حديث حسن كما قال الألباني.

ثم إن ترك الذكر والدعاء والاستغفار، محل للشقاء والحزن، ولذا كان لزاما على من ينشد السعادة ألا يغفل هذا الأمر المهم، بل عليه أن يمسك بزمامه ويعضّ عليه بالنواجذ، وليستحضر قوله ﷺ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أُمَّتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ

فِي قَضَائِكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ بَصَرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» رواه ابن حبان وصححه الألباني في الصحيحة.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحيينا واجعله اللهم الوارث منا.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعن الصحابة والتابعين،
ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين . والحمد لله رب العالمين.

النار إهلها وإهلها

ملخص الخطبة

- ١- التآوف من النار .
- ٢- صفة النار .
- ٣- عذاب أهلها .
- ٤- عذاب المرأفن .
- ٥- عذاب الظلمة .
- ٦- عذاب آكل الربا .
- ٧- طعام وشراب أهل النار .

النار أهلها وأهلها

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ} اتقوا يوماً الوقوف فيه طويل والحساب فيه ثقیل.

أيها الإخوة المسلمون، كل نفس لا تحمل إلا حملها، ولا تكسب إلا عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى، ولسوف تأتي كل نفس تجادل عن نفسها.

أهلكك كثيراً من الناس الأماني، إيمان بلا أثر، وقول بلا عمل، ترى فيهم رجالاً ولا ترى عقولاً، وتسمع حسيماً ولا ترى أنيساً، عرفوا ثم أنكروا، وحرموا ثم استحلوا. يقول الحسن البصري رحمه الله: أمؤمنون بيوم الحساب هؤلاء!!! كلا، كذبوا ومالك يوم الدين.

لا يدخل الجنة إلا من يرجوها، ولا يسلم من النار إلا من يخافها ورود النار متيقن: {وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} [مريم: ٧١].

ولكن هل الخروج منها متيقن؟! أين الخوف من هول ذلك المورد؟

يقول موسى بن سعد: كنا إذا جلسنا إلى سفیان كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه. قال تعالى: {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا عَدَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ} [الطور: ٢٦-٢٨] ويقول ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل». حقاً وصدقاً، إن هدى الله ورحمته للذين هم لربهم يرهبون.

أيها الإخوة في الله، وهذا حديث ذكرى وتذكير، وإنذار وتخويف عما أخبر به الكتاب وصحت به الأخبار عن رسولنا محمد ﷺ من الوعيد للمكذبين، والخوف على المقصرين، حديث عن النار وأهلها وأهوالها أعادنا الله منها بمنه وكرمه القائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم: ٦].

يقول الحسن البصري رحمه الله: والله ما صدق عبدٌ بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره ما صدق بها حتى يتجهم في دركها. والله ما أنذر العباد بشيء أدهى منها. {فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [الليل: ١٤-١٦].

إنها نار السعير، لا ينام هاربها، وجنة الفردوس لا ينام طالبها، الخوف من النار فلذ أكباد الصالحين: {إِنَّهَا لِإِحْدَى الْكُبْرِ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر: ٣٥-٣٧].

ألم تعملوا أن التخويف من النار نال الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين؟!
 اقرأوا في شأن الملائكة: { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٢٩].

واقرأوا في حق الأنبياء: { وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ
 مَلُومًا مَّدْحُورًا } [الإسراء: ٣٩].

أيها الناس، اتقوا النار، اتقوا النار ولو بشق تمرة اتقوا النار بكلمة طيبة.
 أكثروا من ذكرها، واعملوا للنجاة منها: { ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُ
 فَاتَّقُونِ } [الزمر: ١٦]. والنار شر دار، وعذابها شر عذاب، حرها شديد وقعرها بعيد
 ومقامها حديد، يهوي الحجر من شفيرها سبعين خريفاً ما يدرك قعرها.

مسالكها ضيقة، ومواردها مهلكة، يوقد فيها السعير، ويعلو فيها الشهيق
 والذفير، أبوابها مؤصدة، وعمدها ممددة، يرجع إليها غمها، ويزداد فيها حرها، هي
 غضب الجبار ورجزه، وسخطه ونقمته.

جثت الأمم على الركب، وتبين للظالمين سوء المنقلب، انطلق المكذبون إلى
 ظل ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب وأحاطت بهم نار ذات لهب،
 سمعوا الزفير والجرجرة، وعابنوا التغيظ والزمجرة، ونادتهم الزبانية: { فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ } [النحل: ٢٩].

الهاوية تجمعهم والزبانية تقمعهم، في مضايقتها يتجملحون وفي دركاتها
 يتحطمون { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ } [إبراهيم: ٤٩]، ترى
 المجرمين مقرنين في الأصفاد، سراويلهم من قطران، وتغشى وجوههم النار.

الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون وبالنواصي والأقدام يؤخذون، وفي
 الحميم ثم في النار يسجرون.

يصب من فوق رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد فوق رؤوسهم. تكوى جباههم وجنوبهم وظهورهم. [ذوقوا مس سقر] [القمر: ٤٨].

طعامهم الزقوم والضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع. شراهم الحميم والغساق والماء الصديد، يشوي الوجوه ويقطع الأمعاء، ويملاً البطون: {يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ} [إبراهيم: ١٧].

{وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} [فاطر: ٣٨]. {كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: ٥٦].

يتمنون الموت والهلاك، ولكن أين المفر؟ ومتى الفكاك: {وَنَادُوا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ لَتَقْدِرُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [الزخرف: ٧٧، ٧٨].

ثم يعلو شهيقهم، ويزداد زفيرهم، وقد حيل بينهم وبين ما يشتهون فيعظم يأسهم، ويرجعون إلى أنفسهم: {سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحِيصٍ} [إبراهيم: ٢١]. نعوذ بالله ربنا من غضبه وأليم عقابه وعذابه.

أيها الإخوة: هذه أخبار صدق عن جهنم ولظى، وأنباء حق عن السعير والحطمة، والله لتملأن والله لتملأن قال تعالى: {وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: ١٣]. فويل لكل مشرك ومشركة، وويل لكل خبيث وخبيثة ممن طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ولم يؤمن بيوم الحساب: {يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ} [الرحمن: ٤١]. وقال: {حَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: ١٠-١٣].

لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين، لم يكُ من المصلين، ولم يكُ يطعم المسكين، يخوض مع الخائضين، ويكذب بيوم الدين. هؤلاء هم أصحاب الجحيم عيادا بالله.

عباد الله، النار موعود بها مدمن الخمر وقاطع الرحم والمصدق بالسحر والمنان والنمام، «وما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار» أخرجه البخاري.

موعود بها الذين يكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، ومن أشد الناس عذاباً طائفتان: {المصورون الذين يضاهئون خلق الله} متفق عليه.

والذين يعذبون الناس في الدنيا. يا ترى ما حال المرأين من القراء والعلماء والمجاهدين؟! يأمرن بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، يقولون ما لا يفعلون إذا وعظوا عنفوا وإذا وعظوا أنفوا.

وأصناف من القضاة في النار، «ومن غش رعيته فهو في النار» متفق عليه. «ومن بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا فإن أعطاه منها وفي وإن لم يعط لم يف» متفق عليه. «ومن اقتطع مال أخيه بيمين فاجرة فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه «والذي يشرب في آنية الذهب والفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم» متفق عليه. والذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً.

وويل لأكلة الربا ثم ويل لأكلة الربا، و«كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» صحيح أخرجه أحمد، والترمذي.

«وصنفان من أهل النار: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، والكاسيات العاريات المائلات المميلات على رءوسهن كأسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» أخرجه مسلم. «والنائحة إذا لم تتب تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» أخرجه مسلم. «والمكر والخداع في النار» صحيح، أخرجه الطبراني وصححه الألباني.

«والفجور يهدي إلى النار» متفق عليه، «وشر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه» متفق عليه، وويل للذين يجنون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

أيها الأحبة، رحمني الله وإياكم ووقانا عذاب السموم: هذه ألوان من أهوال النار، وصنوف من أهلها؛ فاتقوا الله واتقوا النار، اتقوا النار بالبكاء من خشية الله؛ فلن يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، وعينان لا تمسهما النار؛ عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله. ومن صام يوماً زحزحه الله عن النار سبعين خريفاً.

تعوذوا بالله من النار؛ فهذا دأب الصالحين الذاكرين. «ملائكة الله السياحون يمشون بمجالس الذكر ثم يسألهم ربهم عن أحوال الذاكرين فيقول لهم وهو أعلم بهم: «مِمَّ يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول: وهل رأوها؟ قالوا: لا. والله ما رأوها. فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد منها مخافة؟ قال فيقول: إني أشهدكم أبي قد غفرت لهم» متفق عليه.

وجاء في خبر آخر: «ما سأل رجل مسلم الجنة ثلاثاً، إلا قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ولا استجار رجل مسلم من النار ثلاثاً، إلا قالت النار: اللهم أجره مني» أخرجه أحمد وصححه الألباني.

اللهم أجرنا من النار، اللهم أجرنا من النار، اللهم أجرنا من النار. {رَبَّنَا إِنَّنَا ءَامِنًا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٦]. {رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٦، ٦٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذِّكر الحكيم ونفعنا بهدي سيِّد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

أيها الناس أزعج ذكر النار قلوب الخائفين، وأطار النوم من عيون المتعبدين. أيها الإخوة، شاهدوا موقف القيامة بقلوبكم، وانظروا في منصرف الفريقين إلى الجنة والنار بهممكم.

أشعروا أفئدتكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها، وأطباقها ودركاتها ووقودها وحجارها السلاسل والأغلال والسعير والحميم والغساق والغسلين وسقر والهاوية.

اذكروا بعد القعر واشتداد الحر. ابكوا وتباكوا، اعرضوا على قلوبكم تقلب الظالمين بين أطباق النيران: {لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلٌّ} [الزمر: ١٦]. {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} [الإسراء: ٩٧].

{خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْحَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: ٣٠-٣٢] {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ} [الواقعة: ٤٢-٤٤].

إنها دار الذل والهوان، دار الشهيق والزفرات والأنين والعبرات، دار أهلها أهل البؤس والشقاء، والندامة والبكاء، والأغلال تجمع بين أيديهم وأعناقهم، والنار تضطرم من تحتهم ومن فوقهم، شراهم من حميم يصهروا به ما في بطونهم والجلود، وأكلهم شجر الزقوم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم يدعون على أنفسهم بال موت فلا يجابون، ويسألون ربهم الخروج منها فلا يكلمون.

كيف لو أبصرتم وهم يسحبون فيها على وجوههم وهم لا يبصرون، أم كيف لو سمعت صراخهم وعويلهم وهم لا يسمعون: {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥].

وحيثما يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح ، تزداد حسرة أهل النار وينقطع أملهم في الموت بعد أن كانوا في الدنيا لا يحبونه {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا يَا لَيْتَنِي لَمَّا اتَّخَذْتُ فُلَانًا خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٧-٢٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا، ولا يدخل النار أحده إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» رواه البخاري.

فتوضع الأغلال في أعناقهم ويجمع بعضهم إلى بعض نكاية لهم وزيادة في العذاب {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ} [الرعد: ٥] {وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} [إبراهيم: ٤٩].

ويلبسون ثيابا من نار وإن اشتهوا الماء فإنهم يسقون من ماء صديد يتجرعون ولا يكادون يسيغونه {هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَعَاخِرٌ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص: ٥٧، ٥٨].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يقرب إليه فيكرهه، فإذا أدبني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعائه حتى يخرج من دبره»، {وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا} [الكهف: ٢٩]، {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف: ٥٠].

وإذا جاعوا أكلوا من شجرة الزقوم التي لا أقبح ولا أبشع من منظرها مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع {فإنهم لا يكون منها فماتون منها أبطون} [الصفات: ٦٦]، {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يعلى فى أبطون كغلي الحميم} [الدخان: ٤٣-٤٥].

وقال ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف بمن يكون طعامه» أخرجه أحمد والترمذي واسناده ضعيف.

ومن هذا الطعام والشراب واللباس الذي هو من النار يصف الله تعالى شدة حرها: {كلاً إنَّها لظى نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُوًا مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ} [المعارج: ١٥-١٧]. أي إنها لشدة حرها تبري الجلد واللحم عن العظيم وتترعه ثم يبدل بعد ذلك وهي أيضا من شدة حرها: {لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ} [المدثر: ٢٨].

أي تأكل لحوم أصحابها وعروقهم وعصبتهم وجلودهم، قال ﷺ: «ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم» قيل: يا رسول الله إن كانت لكافية، قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها» متفق عليه.

يخلق الله الكافرين غلاظ الأجسام نكاية بهم، قال رسول الله ﷺ: «ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث» أخرجه مسلم، وقال ﷺ: «ما بين منكي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع» متفق عليه.

وتحيط به النار من كل مكان، فلا يستطيعون الفرار أو الاختباء: {لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ} [الزمر: ١٦].

{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصرون} [الأنبياء: ٣٩]. وقال ﷺ: «إن أهون أهل النار عذابا من له فعلان وشراكان من نار يغلي منها دماغه كما يغلي المرجل (القدر) ما يرى أن أحدا أشد عذابا منها وإنه لأهونهم عذابا» متفق عليه .

وقال ﷺ: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه النار إلى حجرته ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته» أخرجه مسلم. والحجزة: معقد الإزرار، والترقوة: العظم المشرف من النحر.

لقد صب عليهم العذاب صبا، وذاقوا مس سقر، وفي ذلك المكان المرعب المخيف ما لهم من ناصرين ولا صديق حميم،

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ أَصَلَوْهَا أَلْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [يس: ٦٣-٦٥].

اللهم ارحمنا وأجرنا من النار ، اللهم إنا نعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل و نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل
اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
ومرافقة الأنبياء ..

اللهم إنا نسألك من الخير كله ..عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله
عاجله وآجله

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

صفة الجنة

ملخص الخطبة

- ١- الناس في هذه الحياة فريقان.
- ٢- الإيمان باليوم الآخر.
- ٣- نعيم الجنة.
- ٤- عذاب النار.
- ٥- آخر من يدخل الجنة.
- ٦- وصف أزواج أهل الجنة.
- ٧- أسباب دخول الجنة.

صفة الجنة

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي جعل الفردوس لعباده المؤمنين نُزُلًا؛ فله الحمد أولاً وآخر وظاهراً وباطناً، يسر الأعمال الصالحة لعباده الصالحين فلم يسلكوا سواها سبلاً خلقها قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجد لهم، وحفها بالمكاره ليلوهم أيهم أحسن عملاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفوق ذلك، {خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة أدخرها لي ولكم إلى يوم المصير، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته وفضله ومنه وكرمه، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بمنه وكرمه ورحمته.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين. شرح الله به الصدور، وأنار به العقول، وفتح به أعينا عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً.

قَدْ كَانَ هَذَا الْكُونُ قَبْلَ وُصُولِهِ *** شُؤْمًا لظَالِمِهِ و لِلْمَظْلُومِ
لَمَّا أَطْلَعَ مُحَمَّدٌ زَكَتِ الرُّبَا *** وَاخْضَرَ فِي الْبُسْتَانِ كُلِّ هَشِيمِ

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، وسلم تسليماً كثيراً

أما بعد:

فيا عباد الله، طوبى لكم يوم جئتم إلى هذا البيت في ضيافة الرحمن لتنتفعوا
بذكر قد سمعتموه ولكن {وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}
فَأَكْثَرَ ذِكْرَهُ فِي الْأَرْضِ دَابًّا *** لِيُذَكَّرَ فِي السَّمَاءِ إِذَا ذُكِّرْتَا
وَنَاجِ إِذَا سَجَدَتْ لَهُ اعْتِرَافًا *** بِمَا نَادَاهُ ذُو النُّونِ بْنِ مَتَّى

تَفِتُّ فَوَادَكَ الْأَيَّامُ فِتْنًا *** وَتَنْحَتُ جَسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا
 وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دَعَاءَ صَدَقٍ *** أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أَرِيدُ أَنْتَ
 عِبَادَ اللَّهِ: يَقُولُ الْحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا
 تُرْجَعُونَ} * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ{.

لا إله إلا الله، لم يخلق الناس عبثاً ولم يتركهم سدى؛ بل خلقوا لأمر عظيم
 وخطب جسيم عُرض على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنه، وأشفقن
 منه وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه ظلماً وجهلاً فانقسم الحاملون له إلى
 فريقين:

فريق عطّل تفكيره، وانساق وراء شهواته وملذاته؛ كل همّه إرضاء نزواته
 وإشباع غرائزه. بشرٌ في مسلاخ دواب -أجار الله هذه الوجوه أن تكون من هذا
 الصنف- نظرتم قاصرة وعلمهم أقصر {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ
 الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} {نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

أما الفريق الآخر: وأرجو الله أن نكون منهم- فريق آمن بالله رباً وبالإسلام
 ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً. جعل خوف الله في قلبه، وجعل خشية الله نصب عينيه فأتمر
 بأمر الله وانتهى عن نهيه وراقبه حق المراقبة، وقال عند سماع أوامره {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}.

ومن كمال الألوهية لله سبحانه أن جعل للناس يوماً آخر إليه فيه يرجعون
 ويوفون ما اكتسبوه بالقسطاس المستقيم فيصدرون من أرض المحشر راضين بعدل
 الله المطلق {أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} بلى، فائزين يُزفون إلى الجنة {فَفِي
 رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

وآخرون خاسرون يساقون إلى النار فهم في العذاب محضرون، يبين ذلك
 قول الله جل وعلا. {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ
وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

أيها الأخوة في الله: إن الإيمان بيوم الجزاء وباليوم الآخر ركن هام من
أركان الإيمان؛ من لم يؤمن به لم يؤمن بالله -جل وعلا- لا يتم إيمان عبد حتى
يؤمن باليوم الآخر، وعرض الجنة والنار ونعيمهما وجحيمهما أسلوب ناجح
لإصلاح النفوس ولهدايتها ولتهذيبها ولكسر كبريائها أحيانا فمن الناس من ينفعه
الترغيب، ومن الناس من ينفعه الترهيب، ومن الناس من ينتفع بالاثنتين معاً، وكل
ذلك ورد في كلام الله الذي {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}.

ومن فضل الله أن جلى لنا أمر الجنة، ووصف نعيمها، وأكد خلودها
وكمالها من غير نكد ولا تنغيص ولا نقص، لا حر ولا برد، لا تعب ولا صخب
ولا نصب، لا عجز ولا هرم. غمسة في الجنة تنسي كل شقاء في هذه الحياة.

ثم أظهر في الجانب الآخر حقيقة النار وعذابها؛ لhib يتصاعد، وصراخ
مفزع وخوف وحميم وزقوم وتقرير وتوبيخ وأهوال وشهيق وزفير، غمسة فيها
تنسى كل نعيم في هذه الحياة، نسأل الله أن يجير هذه الوجوه، ذلك كله لماذا يا
عباد الله؟

ليسعى المؤمنون إلى الجنة بلهفة وشوق مشرئين إلى نعيمها ورياضها
وقصورها، ذلك كله -أيضاً- لينأى الخلق عن النار بحذر وخوف، كل ذلك
{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ} كل ذلك {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ
مِنَ الطَّيِّبِ}. أما وقفنا اليوم فوقفه مع الجنة ترغيباً لا ترهيباً، وحفزاً للهمم لتطلب
ما عند الله وتدفع الثمن، ولو كان الدماء والأوقات والأموال وكل شيء، فحيا
كم يا عباد الله إلى الجنة ورياضها وقصورها ودورها وحورها لتتعرف عليها علناً
أن نكون من أهلها، ولنعرف من هم أهلها؛ علناً أن نكون متشبهين بهم إن التشبه

بالكرام فلاح، ونعرف السبل الموصلة إليها فنسلكها لنكون مع الذين أنعم الله عليهم، ففي رياضها نعيش وما راءٍ يا عباد الله كمن سمع، وما مخبر كمعادين، أسكننا الله وإياكم فردوسها الأعلى برحمته ومنه وكرمه.

الجنة.. ما الجنة، والفردوس ما الفردوس، لا خطر لها، لا مثل لها، ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتر، وقصر مشيد، ونهر مضطرب، وثمره نضيحة، وحلل كثيرة، وزوجة حسناء جميلة، وفاكهة وخضرة، وحبيرة ونعمة، في محلة عالية بهية، في جنة عدن عند ملك مقتدر.

بناها الله تعالى: لعباده المتقين أحسن بناء وملاها من كرامته ورحمته ورضوانه فبناؤها أحسن بناء وأجمل بناء وأتم بناء وأكمل بناء كيف لا يكون ذلك. وهي لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ملاطها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت والجوهر، وتراها الزعفران، وسقفها عرش الرحمن - لا إله إلا هو -، غرفها مبنية يرى ظاهرها من باطنها، ويرى باطنها من ظاهرها، من دخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه.

أما أشجارها، فما من شجرة إلا ولها ساق من ذهب، ولها ساق من فضة. أما ثمارها فألين من الزبد، وأحلى من العسل. وأما ورقها - فلا إله إلا الله - أحسن وأرق من رقائق الحلل .

أما تصفيق الرياح لذوائب أغصان أشجار الجنة، فيستفز من لا يطرب بالطرب، و ظل الشجرة يسير الراكب فيه مائة عام لا يقطعها؛ فأسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا وإياكم ممن يستظل بظلال أشجارها، إنه غفور رحيم.

أما أنهارها فمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وفوق ذلك ظلها ممدود، وطلحها منضود، تعلمون - يا عباد الله - أن الطلح له شوك، يقول أحد الأعراب للنبي ﷺ ذكر في

الجنة شجرة ما نعرف منها إلا الأذى، يقصد شوكتها، قال: ألم تسمع لقول الله تعالى: (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ) نضد هذا الشوك فأثبت مكان كل شوكة ثمرة ألين من الزبد، وأحلى من العسل، فضلا من الله ومِنَّة.

أما ماؤها - يا عباد الله - فمسكوب، حدائق وأعناب وكواعب أتراب.

أما طعام أهلها - فلا إله إلا الله - فاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، شراهم التسنيم والزنجبيل والكافور،

أما آنيتهم فالذهب والفضة في صفاء القوارير، وأجملُ بتلك الآنية! فيها ما تشتهيهِ الأنفس، وتلذُّ الأعين، وفوق ذلك: مَنْ دخلها يخلد فيها أبداً، فيها روح وريحان ورب راضٍ غير غضبان.

قد ذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا، يتكئ أهلها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، ولا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلاً سلاماً سلاماً.

فيها مائة درجة، والناس في الجنة على درجات؛ منهم من يبلغ أعلى الجنة، ومنهم من هو في وسط الجنة، ومنهم من هو في ربض الجنة، لو أن العالمين اجتمعوا في درجة واحدة لوسعتهم؛ سعة أبوابها ما بين المصراعين مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام فأسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يزاحم على تلك المصاريع .

أما ما للمؤمن فيها؟ فللمؤمن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوّفة طولها في السماء ستون ميلاً، له أهلون يطوف على بعضهم فلا يرى بعضهم بعضاً، فضلاً من الله ونعمة.

أما لباس أهلها فلا تسَل عن لباسهم؛ حرّم عليهم الحرير والذهب في هذه الحياة وجعل لباسهم هناك من الحرير والذهب، وأنعم بذاك اللباس!

وأما صورتهم فأهلها جميعاً على صورة القمر ليلة البدر؛ فلا إله إلا الله، أي جمال يكون ذاك الجمال؟

حليهم وأساورهم من ذهب وفضة ولؤلؤ وزبرجد وياقوت، من لذة إلى لذة إلى لذة، لا يجوعون ولا يظمئون، ولا ينصبون، ولا يشبعون، ولا يتعبون، وإنما لذات فوق لذات {فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

(يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ) (إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا).

أما أسنان أهل الجنة فأبناء ثلاث وثلاثين في سن الشباب، وما أجمل هذا السن يا عباد الله!، أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون {خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ} في سعادة أبدية .

أما أمشاطهم فالذهب، وأما رشحهم فالمسك، وأما مجامرهم فالألوة، وهو أفضل الطيب أفضل العود. وأما أزواجهم فالحور العين .

وأما أدنى أهلها فيسير في ملكه وقصوره مسيرة ألفي عام؛ فما بالكم بأعلى أهل الجنة، إذا كان أدناهم كذلك؟

واسمعوا ما ورد صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سأل موسى ﷺ ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال الحكيم سبحانه: رجل يأتي بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيخيل إليه أنها ملاءى، فيقول الله -عز وجل- له ادخل الجنة، فيقول: يا رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فيقول الله -عز وجل-: ادخل الجنة، قال: كيف وقد أخذوا منازلهم، وأخذوا أخذاتهم، وأخذوا نعيمهم -يخيل إليه أنها ملاءى- فيقول الله -عز وجل- له: ألا ترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ ألا ترضى أن يكون لك مثل ملك مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ قال: بلى يا رب، وكيف لا أرضى بذلك؟! قال: فإن لك

ذلك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله حتى بلغ الخامسة، فقال هذا العبد: يا رب رضيت رضيت، قال فإن لك ذلك، ولك عشرة أمثاله، ولك ما اشتهدت عينك، ولذت نفسك، وأنت فيها خالد» {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

وفي الحديث الآخر الذي روي في الصحيحين: "أن الله -عز وجل- بعد أن يقضي بين العباد، يبقى رجل مقبل بوجهه على النار، قد نجا منها، ولكنه لم يدخل الجنة، ولم يقدم إلى باب الجنة، فيقف، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، يا رب برحمتك اصرف وجهي عن النار، فقد خشبني ريحها آذاني وسمي، وأحرقني ذكاؤها ولهبها، فيدعو ما شاء الله -عز وجل- أن يدعو، فيقول الله عز وجل له، فيقول: هل عسيت إن صرفت وجهك عن النار ألا تسألني غير ذلك؟

قال: وعزتك وجلالك لا أسألك غير ذلك، فاصرف وجهي عن النار، فيصرف الله الرحيم الحليم الغفور وجهه عن النار، فيبقى ما شاء الله أن يبقى ساكتا ثم يسأل الله مرة أخرى،

فيقول: يا رب برحمتك قدمني إلى باب الجنة، يا رب برحمتك قدمني إلى باب الجنة فيقول الله: ويلك يا ابن آدم ما أغدرك، وما أظلمك، ألم تُعطِ العهود والمواثيق ألا تسألني غير ذلك؟

قال: يا رب برحمتك قدمني إلى باب الجنة، قال: هل عسيت إن أعطيتك ما سألت ألا تسألني غير ذلك؟ قال: وعزتك وجلالك لا أسألك غير ذلك، فيقدمه الله -عز وجل- إلى باب الجنة، فيبقى هناك، ويسكت ما شاء الله أن يسكت، ثم تنفلق له الجنة، فيرى حورها، ويرى قصورها، ويرى رياضها، ويرى نعيمها، فيقول: يا رب برحمتك أدخلني الجنة، فيقول الله: ويلك يا ابن آدم، ما أغدرك! ما أظلمك! ألم تُعطِ العهود والمواثيق ألا تسألني غير ذلك؟

قال: يا رب برحمتك أدخلني الجنة برحمتك، أدخلني الجنة، قال: هل عسيت إن أدخلتكم ألا تسألني غير ذلك؟

قال: وعزتك وجلالك لا أسأل غير ذلك، قال الله عز وجل ادخل الجنة برحمته وكرمه ومنه فيدخل الجنة، فيكفيه هذا، فيقول الله له: تمنّ يا عبد، تمنّ يا عبد، فيتمنى، ثم يتمنى، ثم يذكره الله عز وجل رحمة منه وفضلا بالأمان التي يتمناها حتى تنقطع به الأمان، ثم يقول له- تمنّ، قال: لا أريد شيئاً يا رب قال: فإن لك ما أخذت، ولك عشرة أمثاله، ولك ما اشتهدت نفسك، ولذت عينك، وأنت فيها خالد" {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

قال في آخرها: فما أعلاهم منزلة؟ يقول موسى في الحديث الأول: فما أعلاهم منزلة؟ هذا أدناهم، قال: أولئك الذين غرزت كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر" {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فلا إله إلا الله ما أرحم الله! وما ألطف الله! وما أحلم الله! ما أرحم الله! نسأله برحمته التي وسعت كل شيء أن يرحمنا برحمته، سبحانه وبحمده.

سُبْحَانَ مَنْ يَعْفُو، وَنَهْفُو دَائِمًا *** ولا يزل مهما هفا العبد عفاً

يعطي الذي يخطى ولا يمنعه *** جلاله عن العطا لذي الخطا

خلق الله الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، ثم أنزل إلى الأرض رحمة واحدة أو جزءاً واحداً؛ فيه يتراحم الخلق كلهم، إنسهم وجنهم وعجماواتهم ودوابهم وبهائمهم؛ فإذا كان يوم القيامة رفع الله هذه الرحمة إلى التسع والتسعين عنده جل جلاله، فيتناول إبليس وهو في الموقف بعنقه يظن أن رحمة الله ستسعه في ذلك اليوم، فيا من رحمته وسعت كل شيء -ارحمنا برحمتك-.

والله لو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة، ولعمل للجنة،
ووالله لو يعلم المؤمن ما أعد الله من العذاب للكافرين لم يأمن النار أبدًا حتى يضع
أول قدم من أقدامه في الجنة.

اخوتي في الله: هذا أدنى أهل الجنة وأعلاهم، كأني بكم تقولون: ما
أزواجهم؟ وأقول لكم: لا إله إلا الله، ماذا يصف الواصفون في أزواج أهل الجنة،
إنهن الحور، والحور ما الحور يا عباد الله؟

كواعب أتراب، لهن حدود كالورد والتفاح ونهود كالرمان، وثغور كاللؤلؤ
المنظوم، فيا له من نعيم، وأي نعيم لمن فاز بجوريات أهل الجنة!، قد رُقَّ حصر
الواحدة منهن، وحاجبها وأنفها، وطال قوامها وعنقها وشعرها، تجري الشمس من
محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت
زوجها، فقل ما تشاء في تقابل الشمس والقمر، إن حدثت فما ظنك بمحادثة
المحبين، وإن ضمها فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدّها، ويرى
مخ ساقها من وراء لحمها وعظمها وجلدها وعصبتها وحلّلها، لو طلعت على أهل
الدنيا لمألت ما بين السماوات والأرض ريحًا، ولا استنطقت أفواه الخلائق تسييحًا
وتهليلًا وتكبيرًا

لو طلعت لقالوا: لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، لو
طلعت لتزخرف لها ما بين السماوات والأرض، ولأغمضت عن غيرها كل عين،
ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهر
الأرض بالله الحي القيوم، حمارها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، نصيفها على
رأسها خير من الدنيا وما فيها، لا تزداد على طول الدهور والأحقاب إلا حسنًا
وجماليًا، مبرأة من الحمل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق
والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، لا يُمل طيب

وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها؛ فهن قاصرات الطرف، لا تطمح لأحد سوى زوجها.

إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته، لم يطمثها قلبه إنس ولا جان، كلما نظرت إليه ملأت قلبه سروراً، وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً، وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً، هن الخيرات الحسان، هن العُرض المتحبات إلى الأزواج.

لكن هناك حوراً من نساء أهل الدنيا قمن بالتكاليف؛ صمن، وصلين، ووحدن وتصدقن، وقمن بالتكاليف كلها يكنن في الجنة أفضل من حوريات أهل الجنة، فضلاً من الله ونعمة لنساء أهل الدنيا، فطوبى لامرأة غضت بصرها عن محارم الله، وطوبى لامرأة اتجهت إلى الله لتكون أفضل من حوريات أهل الجنة الذين أنشأهم الله في الجنة إنشاءً.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من النفاق والارتياب، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله والأصحاب.

أما بعد: فيا عباد الله: استمع ومثل نفسك في روضات الجنة يوم يأتي المنادي ينادي أنت وأهل الجنة: يا أهل الجنة إن ربكم يستزيركم، فحي على زيارته.

لا إله إلا الله من السائل جل جلاله، وتقدست أسماؤه، سبحانه لا إله إلا الله، يقولون: سمعاً وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، وإذ بالنجائب أعدت لهم يستوون على ظهورها، وينهضون، فيستوون إلى الوادي الأفيح المبارك على كثران المسك التي جعلت لهم موعداً، ثم يأمر الرب -تبارك وتعالى- بكرسيه، فيُنصب، ثم يأمر بمنابر لأهل الجنة منابر متنوعة على قدر الأعمال؛ من ذهب، من فضة، من لؤلؤ، من نور، من ياقوت من زبرجد، وأدناهم -وما فيهم ديني- على كثران المسك؛ فلا إله إلا الله.

ما أعظم نعيم الله في الجنة! حتى إذا استقروا في مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، نادى المنادي مرة: يا أهل الجنة إن لكم موعداً عند الله يريد أن يُنجزكموه، يريد أن يعطيكم موعداً، فيقولون -وقد رضوا بما أتاهم من النعيم-: ألم يثقل موازيننا سبحانه وبحمده؟ ألم يزحزحنا عن النار؟ ألم يدخلنا الجنة؟ ألم يبيض وجوهنا؟

فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرفت له الجنة، ورفعوا رءوسهم؛ فإذا الجبار -جل جلاله وتقدست أسماؤه- قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فيردون بصوت واحد: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم يضحك الله لهم.

يقول أحد الأعراب: لا نُعدَم خيراً من رب يضحك، ثم يقول: يا أهل الجنة، يا من أطاعوني بالغيب ولم يروني هذا يوم المزيد، فسلوني، فيقولون: ربنا قد رضينا فافرض عنا.

قال: لو لم أرضَ عنكم لم أسكنكم جنتي أحللت عليكم رضواني، لا أسخط عليكم أبداً، هذا يوم المزيد فسلوني، لا إله إلا الله، ما أكرم الله! ما أرحم الله! فيعرض عليهم سبحانه عرضاً، فيقولون: أرنا وجهك نتلذذ بالنظر إليه؟

فيكشف لهم الرب -جل جلاله- الحجب، ويتجلى لهم، ويغشاهم من النور، ما لولا أن الله -عز وجل- قضى ألا يحترقوا لا حترقوا من نوره {الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} لا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضر ربه محاضرة، وكلم ربه كفاحا بلا ترجمان يقول الله ألم تعمل كذا في يوم كذا ألم تعمل كذا ألم تعمل كذا فيذكره ببعض غدراته وزلاته فيقول يارب ألم تغفر لي قال بمغفرتي بلغت ما بلغت فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة ويا قرّة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم الغفار {وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣].

هذا بعض ما أعده الله عز وجل لنا من النعيم في الجنة يجمع هذا كله قول المصطفى ﷺ كما في الصحيحين «قال الله عز وجل أعدت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧] إنها الجنة وكفى، إنها الفردوس وكفى، إنها طوبى وكفى.

أيها الأخوة في الله لما علم الصالحون هذا النعيم ورأوا أن الفرصة قائمة وأن السوق رائحة وأن الثمن الجنة رفعوا رؤوسهم فنظروا إلى الأعلام فإذا هي أعلام الجنة قد نصبت فشمروا إليها فماذا عملوا قدموا أموالهم وقدموا دمائهم وقدموا أوقاتهم وقدموا كل ذرة وكل نفس من حياتهم ثمنا للجنة ففازوا وأفلحوا يحدوهم في ذلك؛ ماذا يحدوهم؟

يحدوهم ترغيب المصطفى ﷺ إلى الجنة ونعيمها يوم كان ﷺ لا يضع جائزة إلا الجنة على أي عمل من الأعمال يقول النبي ﷺ على سبيل الأمثلة في الجوائز من يجهز جيش العسرة وله الجنة من يشتري بئر رومة وله الجنة من يعمل كذا وله الجنة من أقبل هذا اليوم ولم يدبر صادقا محتسبا فله الجنة وتجدد يرفعهم إلى الجنة دائما لا يضع شيئا ماديا عندنا دنيوي وإنما يرفعهم على زخرف الدنيا إلى الجنة ونعيمها

أرأيتم إليه يوم يأتيه خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم يرسل إليه قميص مخصوص بالذهب والقميص هذا [لأكيدر] ملك دومة الجندل يوم ذهب إليه خالد فأخضعه واستأسره وأخذ قميصه الذي عليه مخصوص بالذهب موشا بالذهب فأرسله للمصطفى صلى الله عليه وسلم يوم كنا نغزوا ولا نغزى يوم كنا نفرض الشروط ولا تفرض علينا.

كم صرفتنا يد كنا نصرها *** وبات يملكنا شعب ملكناه

أيها الأخوة: هذه سلعة الله وهذا بعض نعيمها وما رائي كمن سمع وما مخبر كمعين سلعة الله غالية سلعة الله الجنة خلقها الله يوم خلقها وخلق فيها ما لا عين رأت ثم قال لجبريل اذهب فانظر إليها كما في صحيح [مسلم] فذهب إليها ونظر فإذا فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فرجع وقال يا رب وعزتك وجلالك لا يسمع بها أحد إلا ودخلها ، فحفها الله بالمكاره حفها الله بالتكاليف حفها الله بما يجب أن نعمله

ثم قال ارجع فانظر إليها يا جبريل فنظر فإذا هي حفتم بالمكاره فعاد فقال يا رب وعزتك وجلالك قد خشيت ألا يدخلها أحد، يخشى ألا يدخلها أحد لما حفتم به من المكاره .

أيها الأخوة الجنة خلقها الله وجعلها دار رحمته وكرامته ورضوانه ثم قال لها تكلمي قالت (قد أفلح المؤمنون) فمن هم أهلها إذن ؟

أهلها المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون ،

واقرءوا أول سورة المؤمنون أهلها من أطاع الله ورسوله فحققوا التوحيد وأصلحوا العمل واتبعوا المصطفى صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح: ١٧].

وقال ﷺ مبينا أهلها «كل أمي يدخلون الجنة إلا من أبي!» قالوا ومن أبي يا رسول الله؟ لا يتصورون أن هناك إنسان يأتى ذلك "قالوا ومن أبي؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي».

أهلها من حاربوا البدع وأحيوا السنن وعلموا أن البدع مردودة ليس لها قبول قبيحة ليس فيها أجر لأنها شرع لم يأذن الله به ولم يكن على أمر المصطفى ﷺ ولا على أمر أصحابه والنبي ﷺ يقول: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو عليه رد» وهو القائل ﷺ «كل بدعة ضلالة».

أهلها من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام وحج وصدق مع الله واتبع سنة المصطفى ﷺ "من رغب عن سنتي فليس مني" كما أخبر هو ﷺ.

أهلها من تركوا المراء، قال ﷺ: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا» ومن أهلها من ترك الكذب «أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا».

ومن أهلها من حسنت أخلاقهم كما قال ﷺ: «أنا زعيم بيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» يقول أحد السلف: ذهب حسن الخلق بخيري الدنيا والآخرة ومن أهلها أهل قيام الليل، قال تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا)

ومن أهلها (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس)

ومن أهلها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، ولما كان الأمر والنهي يجد الإنسان في طريقه المتاعب ويجد المشاق جعل الله له في الجنة جزاء عظيما اسمع [لأبي هريرة] يوم يذكرك بهذا الجزاء فيقول إن في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشت مشى حولها سبعون ألف وصيف كلهن مثل جمالها تقول هذه العيناء أين

الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عوضا لهم عما لقوه في الدنيا من أذى
عوضا عما لاقوه من مشقة عوضا عن ما لاقوه من استهزاء وسخرية

ومن أهلها من باتوا لا يحملون على أحد حسدا، ومن ضمن ما بين لحييه
وما بين فخذه و من أفشوا السلام وأطعموا الطعام ووصلوا الأرحام وصلوا بالليل
والناس نيام ، أهلها من راقبوا الله جل وعلا في كل حركة من حركاتهم وسكناتهم،
ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة هبت رياح الجنة عباد الله فاغتنموها
لتفوزوا بنعيمها [فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز]

ألا فالسباق السباق ألا فالبدار البدار جددوا السفن فإن البحر عميق
وأكثر الزاد فإن السفر طويل وخففوا الحمل فإن العقبة كؤود وسابقوا إلى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للذين آمنوا بالله
ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وتوبوا إلى الله جميعا
أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أسأل الله برحمته التي وسعت كل شيء أن يرحمنا. اللهم إنا نحن عبادك الفقراء إلى
رحمتك ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، اللهم جازنا بالإحسان إحسان
وبالسيئات عفوا وغفرانا، اللهم اجعل هذا الجمع جمعا مباركا مرحوماً

اللهم اجعلنا منصرفين منه وقد كتبت لنا أن نسكن رياض جناتك اللهم لا
تحرمننا نعيم الجنان اللهم ويسر لنا الطريق إليك إنك على كل شيء قدير اللهم
بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة إنك غفور
رحيم وبالإجابة جدير.

اللهم إنا نسألك من فضلك الكريم اجعل هذا الجمع جمعا مغفورا له وإذا
انصرف فمنصرف مغفورا له وإذا مشى كنت معه بسمعك وبصرك وأنت الله لا
إله إلا أنت سبحان عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

الجهاد في فلسطين

ملخص الخطبة

- ١- لله سنن في الأمم والمجمعات.
- ٢- مكانة فلسطين وبيت المقدس عند المسلمين.
- ٣- العهدة العمرية عند استلام مفتاح بيت المقدس.
- ٤- مجازر اليهود ضد إخواننا الفلسطينيين ومقدسات المسلمين.
- ٥- وقوف العالم الكافر مع اليهود.
- ٦- جهاد شعب فلسطين سيرد الحق إلى أصحابه.
- ٧- يجب عرض قضية فلسطين وفق المنظور القرآني.
- ٨- بشائر يقظة الأمة في تفاعلها مع الانتفاضة.

الجهاد في فلسطين

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فأوصيكم أيها الناس ونفسي بتقوى الله عز وجل، فاتقوا الله رحمكم الله، فالتقوى من التوقي، ومن يتق الله يقر الله به، واعلموا أن الأجل دون الأمل، فبادروا الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل، والآخرة باقية والدنيا فانية، فقدموا أمر الآخرة على أمر الدنيا، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، واحذروا فإن الحذر محله القلب.

أيها المسلمون: منذ ظهرت الحضارات الإنسانية وميزان القوى لا يستقر على حال، أمم تكون في الصدارة ثم تمسي فإذا هي في ذيل القاطبة، وأخرى لم تكن شيئاً مذكوراً فإذا هي لترقى في أوج العظمة وقمم المجد، إنها أيام الله يداولها بين الناس، هذا التداول بإذن الله وأمره يخضع لسنن من الله شتى، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

إن حركة التاريخ في السنن والنواميس تعطي أفقاً واسعاً للنظر والتأمل والتدبر، أسباب تجتمع بإذن الله فيكون باجتماعها انتصار وقوة ثم تجتمع بطريقة أخرى ليكون بها التشرذم والانحسار والضعف، لا مفر من سنن الله العاملة في التاريخ، فهي لن تحابي أحداً {أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران: ١٦٥].

ومن منظور هذه السنن وتأمل هذه النواميس شاء الله سبحانه أن يجعل بيت المقدس مسرى نبيه محمد، ومنطلق المعراج إلى السماء في رحلة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولأمر حكيم شاء سبحانه أن يجعل بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى منذ فرضت الصلاة في العهد المكي وثمانية عشر شهراً من العهد المدني، وهو ما يزيد على نصف سني البعثة المحمدية، ثم لأمر حكيم وحكمة عظيمة تسلم العبقرى الملهم الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه مفاتيح بيت المقدس من دون سائر المدائن التي فتحها الله على المسلمين.

إنه التمييز الواضح والخصوصية الخاصة والإعلان الصريح لما لهذه المدينة المقدسة من منزلة كبرى في دين الإسلام وتاريخ المسلمين .

عباد الله: إن للمسجد الأقصى وقصة الإسراء خبر خاص وسورة كاملة في قلب مصحفنا ودستورنا.

إنها سورة الإسراء سورة بني إسرائيل في آياتها ودلالاتها وكنوزها {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: ١].

رباط قرآني محكم بين هاتين المدينتين المقدستين، واتصال ديني وثيق بين مكة المكرمة والقدس الشريف، ورباط مقدس بين أشرف بقعتين فيهما الكعبة المشرفة والمسجد الأقصى، رباط إلهي وثيق وما وصله الله لا ينقطع، بيت المقدس ربوة

مباركة ذات قرار ومعين، أرض مقدسة قبلة الأمة وبوابة السماء وميراث الأجداد ،
ومسئولية الأحفاد معراج محمدي، وعهد عمري، دار الإسلام بها يجسد تراث الأمة
ويحدد مستقبلها ويثبت وجودها، إلى مسجدها تشد الرحال، ومن قبله تشد
الأبدان والنفوس والأفئدة، فتحه المسلمون بعد وفاته ﷺ بست سنوات، وحكموه
قرون طويلة.

ثم احتله الصليبيون تسعين عاماً فأخرجهم صلاح الدين رحمه الله، وهذه
الأيام يحتله اليهود ولن يخرجوا والله إلا بصلاح الدين.

حكم المسلمون هذه المدينة المباركة هذه الأحقاب الطويلة، فما هدموا بيتاً
لساكن ولا معبداً لمتعبد، التزموا بتعاليم دينهم، احترموا كل ذي عهد وعقد وذمة،
وفاءً للعهد العمري، استمعوا رعاكم الله إلى هذا النص من العهد العمر.

بسم الله الرحمن الرحيم: "هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيليا من
الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها
وسائر ملتها أن لا تسكن كنائسهم ولا تقدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا
من صليبيهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد
منهم، على ما في هذا الكتاب، عهد الله وذمة رسوله، وذمة المؤمنين إذا أعطوا
الذي عليهم" شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن
عوف، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن الخطاب سنة خمس عشرة من الهجرة،
شهد على ذلك وكتب وحضر" رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم ورضي عن جميع
صحاب محمد ﷺ.

لقد تضمن العهد العمري حرية المعتقد وحرية السكنى وحرية التنقل، وهو
عهد منذ أكثر من ألف وأربع مائة سنة، لم يكن متأثراً بشعارات حقوق الإنسان
المنافقة في عصرنا، ولكنها كانت تطبيقاً لمنهج الإسلام في التعامل مع المخالفين لهم.

لقد أصبح القدس الشريف وسكانها من مختلف الديانات في حماية المسلمين يحافظون عليها ويدافعون عنها وعن من فيها، هذا حديث أهل الإسلام وهذا حكمهم وهذا تاريخهم هذا حديثنا وهذا حكمنا، وهذا تاريخنا.

أما اليوم فبيت المقدس يجري فيه ما لم يحدث على أيدي أي غزاة في تاريخ البشرية كلها في تاريخ المقدس، ولم يجر ذلك في تاريخ المقدس الممتد آلاف السنين لم يفعل غازٍ أو محتل مثلما فعله ويفعله اليهود اليوم، وليس بعد شهادة التاريخ من شهادة، وليس من رأى كمن سمع على ما تشاهدون في هذه الأيام بل في هذه الساعات ، احتلوا القدس الشريف منذ أكثر من ثلاثين عاماً فأحرقوا المسجد الأقصى، ونسبوا ذلك إلى معتوه محتل العقل وكأن المجانين لا يخرجون إلا على مقدسات المسلمين!!

أما أعمال الحفر والهدم والتخريب حول المسجد فهي متواصلة منذ أن وطأت أقدامهم ولا تزال .

كل يدعي التسامح وكل يزعم الديمقراطية، وكل يتشبث بحقوق الإنسان في هذا القرن، قرن التحضر وقرن المدنية، قرن المواثيق الدولية، والقرارات الأممية، ولكن العمل والواقع والأرض والتاريخ هو الذي يصدق ذلك أو يكذبه.

دماء تراق وحصد للأرواح من المدنيين العزل في أماكن العبادة وفي الشوارع وفي الطرقات والساحات العامة، بل صواريخ وقنابل داخل المنازل والشقق وحرب من الأرض والبحر والسماء، يتحدثون عن السلام بألسنتهم ويباشرون الحرب في خططهم واستعداداتهم وأفعالهم، أفعال شنيعة وتجاوزات رهيبه، لا تثير لدى الجهات الدولية القائمة على رعاية المواثيق الدولية والقيمة على رعاية حقوق الإنسان وحاملة لواء الديمقراطية والمسئولة عن الأمن الدولي والاستقرار العالمي لا تثير لديها أي تحرك أو تصرف منصف.

بل إن هؤلاء اليهود الصهاينة لم يسئلوا عن جرية ارتكبوها إنهم لم يسألوا عن جريمة ارتكبوها ولم تحجب عنهم مساعدة طلبوها، ولم يتأخر عنهم مدد سألوه، ولم يوجه إليهم لوم ولا عتاب في جرم اقترفوه.

بل لقد توافد كبار ساسة العالم من أجل أسراهم، وبعثت التعازي من أجل قتلهم، أما إخواننا في فلسطين فلا بواكي لهم، بل لقد قال أحد هؤلاء الساسة: لن نتغابي مطلقاً عن قتل جنود اليهود مهما كانت معاناة الشعب الفلسطيني.

أين العدل؟ وأين الإنصاف؟ وأين حقوق الإنسان من شعب يعيش منذ سبعين عاماً في احتلال وفي مخيمات وفي ملاجئ؟ والملايين منه يعيشون في التشريد والشتات، شعب فلسطين حياته كلها خوف وتعذيب واعتقال تهدم البيوت وتغلق المدارس بل تغلق المخازن والمتاجر لتسد عنهم أبواب الرزق القليلة، تجويع وبطالة، استيلاء على الأرض وتحكم في مصادر المياه، بل تحكم في نبرات الحياة، محتل يلاحق من يشاء ويتهم من يشاء، ويقتل من يشاء ويعتقل من يشاء، ينشئ المستوطنات ويقيم الحواجز ويبني الأسوار ويغلق المدن والطرق ثم يزعم أنه يريد السلام. فأين الأمة الإسلامية:

أمي هل لك بين الأمم	منبر للسيف أو للقلم
أتلقاك وطرفي مطرق	خجلاً من أمسك المنصرم
ويكادُ الدمعُ يهمي عاتباً	ببقايا كبرياء الألبم
الإسرائيل تعلقو رايةً في	حمى المهدي وظل الحرم
كيف أغضيت على الذلّ ولم	تنفضي عنك غبار التهم
أو ما كنت إذا البغي اعتدى	موجة من لهبٍ أو من دمّي
اسمعي نوح الحزاننا واطربي	وانظري دمع اليتامى وابسمي
رُبَّ وامعتصماه انطلقت	ملء أفواه الصبايا اليتيم

لا مست أسمعهم لكنها لم تُلامس نخوة المعتصم
أمي كم صنم مجدته لم يكن يحملُ طهر الصنم
لا يلامُ الذئبُ في عدوانه إن يكُ الراعي عدوَّ الغنم

أيها المسلمون: عندما تنعدم الخيارات أمام المظلوم وتضيق المدائن بشعب مقهور فإن كل سلوك متوقع وكل سياسات يمكن فهمها وإن صعب تبريرها، غزارة دم يسيل، وحرارة ودم يغلي

ليسا طرفين متكافئين جيش إحتلال مسلح ضد شعب أعزل، القتلى والضحايا في طرف والقاتل والجلاد الذي يطلق النار في طرف آخر، قاتل ومقتول، وجلاد وضحية، إن مشاهدة هذه المناظر ومتابعة الأحداث تقطع الأمل في الرغبة الجادة في السلام، إن من أبجديات التفكير أن السلام الذي يبنى على أساليب القهر والتعسف والإملاء والابتزاز ليس كالسلام الذين يبنى على الحق والعدل والمساواة.

إن القوة والقهر والظلم لا تنشأ حقاً أو تقيم سلاماً إن العدوان لا يولد إلا العدوان، وإن مشاعر الشعوب هي معيار الضغط النفسي وهي مقياس بواعت الانفجار.

أيها المسلمون إن ما يجري في بيت المقدس وفلسطين المحتلة امتحان شديد لأمة الإسلام، أمة الإسلام أمة معطاء، تجود ولا تبخل، في تاريخها المشرق الطويل قدمت ما يشبه المعجزات وهي اليوم تعيش مفترق طرق خطير يحيط بها وبقدسها وبأجزاء محتلة من ديارها، إنها لم تعجز عن إيجاد آلية منصفة قوية متزنة تعيد الحق إلى نصابه، وترد المغتصب إلى صوابه.

أمة محمد، أمة الإسلام وأمة الجهاد، وأمة عزة، لا تعجز بإذن الله أن تجد لنفسها بتوفيق الله وعونه مخرجاً من أزمته وعطبها الحضاري، والقدس والأرض المباركة أغلى وأثمن وأكبر من أن تترك لمفاوضات أو لمساومات.

أيها الأخوة: إن قضية بيت المقدس وقضية فلسطين لا تنفصل البتة عن قضية الإسلام كله، إنها ليست أرضاً فلسطينية أو عربية فحسب بل إنها قبل ذلك وبعده أرض المسلمين أجمعين، تفدى بالأرواح والمهج، وإذا ضعف الإسلام في نفوس الاتباع، ضعفت معه روابط الحقوق والحماس والفداء في قضاياها كلها، ويوم يترسخ الإيمان ويصفو المعتقد وتسود الشريعة وتعلو الشعائر ستحيا كل القضايا وسيحقق كل مطلوب .

فيجب أن يعي المسلمون ويعلنوا أنه لا سبيل لاستخلاص الحقوق واستنقاذ المعتصبات في أي مكان وعلى أي أرض إلا حين يعتصمون بحبل الله، ويكونون جميعاً ولا يفرقون، يصطفون عباداً لله إخواناً يجمعهم نداء واحد: يا مسلم يا عبد الله، {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٢١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران: ١٣٨ - ١٤٠].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي محمد الأمين، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي نصب الكائنات على ربوبيته دليلاً، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، أحمده سبحانه وأشكره، أولانا من فضله وكرمه عطاءً جزيلاً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند ولا شبيه ولا مثيلاً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد عبد الله ورسوله قام بعبادة ربه حتى تفترت قدماه وتبتل تبتيلاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه فازوا بصحبته واتباعه

والجهاد معه فوزاً عظيماً وذكراً جميلاً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها المسلمون اتقوا الله رحمكم الله، واعلموا أن بيت المقدس والأرض المباركة في خطر عظيم، والعمل من أجل إنقاذها وتطهيرها فريضة شرعية وواجب ديني يستنهض عزم أبناء الأمة وبذل كل الجهود والوسائل لإحقاق الحق، ونصرة القضية.

في نصوص الكتاب والسنة ربط متين للأرض المقدسة والأرض المباركة بأصلها الأصيل، وهو الإسلام، فهو مستقبلها، وبه حياتها، ولن يتم لها أمر أو يعرض لها شأن إلا من خلال دين محمد ﷺ إن هذا الربط يعطي لقضية القدس والأرض المحتلة ولكل قضايا الأمة إطاراً رحباً وعمقاً عميقاً لا يتحقق من خلال نظرة إقليمية أو دعوة قومية.

أيها المسلمون إن مكة المكرمة والمدينة المنورة وبيت المقدس هي سر القوة التي جابت خيولها العالم .

إن الذي ينظر إلى القضية بمنظار القرآن لن يخدع أبداً، فالقرآن الكريم يقول: {أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة: ١٠٠]، ويقول: {وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة: ٦٤]. ومن يتزود ب زاد القرآن فلن يضعف أبداً {لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى} [الحشر: ١٤]، {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ١٤، ١٥].

ومن يتعامل مع قضاياها على هدي القرآن فلن يضل أبداً، يقول تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}، ويقول: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم}،

ويقول: {ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}، ومن صدق بما في القرآن فلن يتنازل عن حق أبداً.

{فإذا جاء وعد الآخرة ليسوئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً}.

لكن مع الأسف أيها المسلمون إذا كان الإسلام ذاته في عقول بعض المسلمين وكتاباتهم وإعلامهم لا يستحق أن يحظى منهم بتفكير باهتمام بل إذا كانت العقيدة عند بعضهم أهون من الأرض والشريعة أرخص من التراب، فهيئات أن تنتصر القضية أو يتنزل نصر.

يا هؤلاء، لا عودة للحق قبل العودة الصحيحة للإسلام، إن من سنن الله أن العاقبة للمتقين، وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، ولكن من سننه أيضاً إذا تخلى أهل الإيمان عن إيمانهم فإنه يستبدل قومًا غيرهم ويأتي بقوم يجبههم ويجبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

أيها المسلمون: النصر قادم لا محالة، {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون}، ودين الله منصور بكم أو بغيركم {إن لا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قومًا غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير}، والحق سيعلو على أيديكم أو أيدي غيركم قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يجبههم ويجبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}

والباطل سيزهق بجهودكم أو بجهود غيركم، قال تعالى: {هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم} ولكن لماذا لا يطلب المسلم الخير لنفسه؟ لماذا لا يكون لبنة في طريق النصر وسهماً من سهام الحق وأداة لإزهاق الباطل.

أيها المسلمون: مطلوب من أمة الإسلام بقيادتها وشعوبها فعاليات مؤثرة ترفع الذلة وتثبت العزة، وتجمع الكلمة وتعيد الحقوق وتعرف العدو من الصديق، وتقف صفاً واحداً في مصالح أمتها وما يحاك من مؤامرات، إن الأمة التي لا تحمي مقدساتها بأعلى ما تملك من أنفس ونفيس لن تجد ما تحميه وتدافع عنه، وستبقى مستباحة الكرامة والحقوق والديار.

أيها المسلمون: إن من البشائر مما يبعث الأمل ويقوي العزائم هذا التفاعل الذي شهده المسلمون وقرت به الأعين، هذا التفاعل من الأمة كلها في الأقطار الإسلامية كافة، شعوباً وقادة جراء هذه الاعتداءات الآثمة، إن هذا العدو الصهيوني المحتل الغاشم والمآسي التي يتعرض لها إخواننا في فلسطين.

لقد أبدت الأمة بقاداتها وعلمائها وساستها ومثقفها أبدوا مواقف مشرفة من الاستنكار ورفع الأصوات عالية مسموعة بالتنديد وفضح الأعداء وعدم الوقوف مكتوفي الأيدي في نداءات وكتابات وتحليلات وإعلام ومواقف سياسية، ثم ذلك التفاعل في تقديم المساعدات والإمدادات المادية والفنية والاسعافية، للقيام بواجب العون والدعم، ومهما قدم ويقدم فليس بكثير ولا مستكثر، على مقدساتنا وإخواننا، ثم قبل ذلك وبعده ما يلهجه المسلمون من الدعاء لإخوانهم والصالحون في الأمة كثير إن شاء الله تعالى.

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه ، اللهم احشرونا في زمرةهم وإن قصرت
آمالنا وأخلاقنا عنهم . ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم .
اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعزُّ فيها أولياؤك، ويُذلُّ فيها أعداؤك.
اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك .
اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك
. يا ذا الجلال والإكرام، لك الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لك الحمد حتى
ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا اللهم انصر إخواننا
المجاهدين في فلسطين وفي سائر بقاع العالم أجمعين وأهزم أعداء الإسلام أجمعين
والحمد لله رب العالمين.

فضل الشهادة في سبيل الله

ملخص الخطبة

- ١- سمو الغاية يستلزم سمو البذل والشمئ .
- ٢- بذل النفس أعظم ثمن للجنة .
- ٣- منزلة الشهيد وفضل الشهادة.
- ٤- نماذج من شهداء الصحابة.
- ٥- وللشهادة موكب في عصرنا هذا.
- ٦- دعوة لنصرة إخواننا في فلسطين والتحذير من خذلانهم.
- ٧- تضليل الإعلام الغربي لحقيقة ما يجري في فلسطين.

فضل الشهادة في سبيل الله

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فيا عباد الله: اتقوا الله تعالى فإن تقوى الله خير زاد يصحب المرء في حياته الدنيا وفي سيره إلى الله والدار الآخرة.

أيها المسلمون: إن بلوغ الأهداف الكبرى في الحياة يستلزم تضحيات كبرى مكافئة لها، ولا ريب أن سمو الأهداف وشرف المقاصد ونبيل الغايات تقتضي سمو التضحيات وشرفها ورفي منزلها، وإذا كان أشرف التضحيات وأسمها هو ما كان ابتغاء رضوان الله تعالى ورجاء الخطوة بالنعيم المقيم في جنات النعيم، فإن الذود عن حياض هذا لدين والذب عن حودته والمنافحة عن كتابه وشرعه ومقدساته يتبوأ أرفع درجات هذا الرضوان، ثم إن للتضحيات ألواناً كثيرة ودروباً متعددة، لكن تأتي في الذروة منها التضحية بالنفس، وبذل الروح رخيصة في سبيل الله لدحر أعداء الله ونصر دين الله، وذلك هو المراد لمصطلح الشهادة والاستشهاد.

ولقد جهد رسول الله ﷺ كل جهد، واستوفى غاية وسعه في ترسيخ جذور هذا المعنى العظيم، وتعميق مفهوم هذا المصطلح الجهادي في نفوس أصحابه الكرام رضوان الله عليهم أجمعين ثم في نفوس أمته من بعدهم، سالكاً في ذلك مسلكين: أحدهما: إفصاحٌ بينٌ وإيضاحٌ جلي لما يعتمد في ذات نفسه الشريفة من حب عميق للشهادة حملة على التمني أن يرزق بها مراتٍ متعددة، فعن أبي هريرة رضي عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» متفق عليه.

والمسلك الثاني: في ترسيخ مفهوم الشهادة وإحيائه في القلوب وبعثه في النفوس ببيان فضل الشهادة ومنازل الشهداء في دار الكرامة وفي الطليعة من ذلك بيان صفة حياة الشهداء عند ربهم، فعن مروان أنه قال: سألتنا عبد الله عن قوله تعالى: {ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون} فقال: أما إنا قد سألتنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل» رواه مسلم.

ومنها: أن للشهيد عند ربه ست خصال جاءت مبينة في حديث المقدم بن معد يكرب رضي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفرع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه — وفي لفظ — من أهل بيته» أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما بإسناد صحيح.

ومنها: أنه يخفف عنه مس الموت حتى إنه لا يجد من ألمه إلا كما يجد أحدنا من مس القرصة، لحديث أبي هريرة رضي عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يجد

الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة» رواه الترمذي وغيره بإسناد صحيح.

ومنها: أن ديار الشهداء في الجنة أحسن الدور وأفضلها، لحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل لم أر قط أحسن منها قالوا لي: أما هذه فدار الشهداء» أخرج البخاري في صحيحه.

ومنها أيضاً: أن الملائكة تظله بأجنحتها؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: «جاء بأبي يوم أحد إلى النبي ﷺ قد مثل به فوضع بين يديه فذهبتُ أكشف عن وجهه فنهاني قومي فسمع النبي ﷺ صوت صائحة فقال: «لما تبكين؟ فلا تبكي ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها» متفق عليه.

ولهذا كله كان الشهيد وحده من أهل الجنة هو الذي يجب أن يرجع إلى الدنيا كما في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما أحد يدخل الجنة يجب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» وفي رواية: «لما يرى من فضل الشهادة» أخرج البخاري ومسلم.

وليس عجباً أن يجد هذا البيان النبوي الرفيع أثراً بالغاً وسلطاناً قوياً على نفوس تلك الصفوة المختارة، والصحبة التقية من الصحابة الكرام الأعلام، فتوطدت في نفوسهم أعماق معاني الشهادة، وترسخت في قلوبهم أسمی درجات الحب لها والولع بها والعمل الدؤوب لبلوغ مقامها، والتنعم برياضها.

وفي صحيح السنة من أخبار هذا الشوق الظامئ، والحب الطهور الذي أكرم الله به هذه الكوكبة المؤمنة والطليعة الراشدة، ما لا يحده حد، ولا يستوعبه بيان، فمن ذلك ما أخرج مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال: انطق رسول الله ﷺ وأصحابه

حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يقدمن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونكم»، فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».

فقال عمير بن الحمام: يا رسول الله إلى جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، قال: «ما يملكك على قول بخ بخ» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، فقال: «فإنك من أهلها»، فأخرج تمرات من قرنه — وهو جعبة النبال — فجعل يأكل منهن، ثم قال: إن أنا حيت حتى أكل تمراتي هذه إنها حياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل. فانظروا رحمكم الله كيف استبطأ ﷺ الشهادة لتأخرها عنه دقائق معدودات ولقد كانت كلمات بعضهم عند الشهادة صرخات مدوية زلزلت قلوب قاتليهم، وحملتهم على الدخول في دين الله.

فقد ورد عن أنس بن مالك قال بعث النبي ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم فإن آمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله ﷺ وإلا كنتم مني قريباً فتقدم فأمنوه فبينما يحدثهم، عن النبي ﷺ إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة... متفق عليه. وأدبر قاتله من المشركين وسأل عن معنى ذلك فقيل له إنه قصد الشهادة فكانت سبباً في إسلام هذا القاتل.

وعن جندب بن سُفيان أن رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد وقد دميت إصبه فقال ﷺ: «هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت».

وكان بعضهم يأتيه من روح الجنة ويريحها ما لا يملك معه إلا شدة الإقبال على القتال وعلى الاستبسال فيه، فهذا أنس بن مالك يقول ﷺ غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن

الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه وأبراً إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم، واستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها دون أحد قال سعد: فما استطعت يا رسول ما صنع، قال أنس رضي الله عنه: ووجدنا به بضغاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، وجيء به وقد مثل به فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه» متفق عليه.

ثم استمعوا رعاكم الله إلى خبر هذا الأعرابي المسلم كيف صدق الله في طلب الشهادة فصدقه الله وبلغه ما أراد، فقد أخرج النسائي في سننه بإسناد صحيح عن شداد بن الهاد رضي الله عنه أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فلما كانت غزاة غنم النبي صلى الله عليه وسلم فقسم وقسم له — للأعرابي — فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان — يعني الأعرابي — يرعى ظهرهم يعني إبلهم، وما يركبون من دواب فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما هذا؟ قال: «قسمته لك»، قال الأعرابي: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أرمى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن تصدق الله يصدقك»، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا إلى قتال العدو فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أهو هو؟ قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه»، ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيبته، ثم قدمه فصلى عليه، وكان مما ظهر من صلاته: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً، أنا شهيد على ذلك». وأي شهادة أرفع وأسمى من هذه الشهادة الكريمة العظيمة، وكم في حياة السلف من صور هذا الحب العاطر والشوق الضامى إلى الظفر بمقام الشهادة.

وهكذا مضت على بذل الشهادة المضيء كواكب متتابعة وقوافل متعاقبة من الشهداء الأبرار الذين بدمائهم الزكية أروع صحائف التضحية والبذل وأرفع أمثلة العطاء والجود، إنه الجود بالنفس، وهو أقصى غاية الجود، فهاهم شهداء المسلمين في فلسطين وسوريا والعراق، وفي أفغانستان وغيرها من ديار الإسلام، وها نحن اليوم نرى بأم أعيننا، نرى ويرى العالم كله معنا هذه الصور العظيمة المتجددة من صور الانتفاضة والشهادة — إن شاء الله — على أرض بيت المقدس، وعلى كل أرض فلسطين المسلمة الصابرة.

إننا في حاجة يا عباد الله إلى مواقف وصور تحيي في ضمير الأمة معاني الشهادة وتبعث في روحها حب الاستشهاد من جديد سيراً على درب السلف رضوان الله عليهم

ذلك الدرب الذي سلكه من قبلهم رسول الله ﷺ والأنبياء من قبله نصرًا لدين الله ودحرًا لأعداء الله.

فيا أيها المسلمون في كل أرجاء الدنيا: النصره النصره، انصروا إخوانكم في بلاد الأقصى؛ فإن نصرهم فرض متعين عليكم فلا تخذلوهم، واسمعوا لقول نبيكم صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول: «ما من مسلم يخذل امرئاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا خذله الله تعالى في موطن يجب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يجب فيه نصرته» حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد.

أيها المؤمنون: إن هذه الأمة أمة جهادٍ ومجاهدة، والجهادُ فيها أرفعُ العبادات أجراً لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ: "ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه» قال: فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً وهو يقول: «لا تستطيعونه».

وقال في الثالثة: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله» متفق عليه.

إن فريضة الجهاد لا تنتظر تكافؤ العدد والعُدة الظاهرة بين المؤمنين وعددهم سيما اليهودُ الجبناء، فيكفي المؤمنين أن يُعدّوا ما استطاعوا من القوى وأن يتقوا الله ويشقوا بنصره ويشتوا ويصبروا وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً.

وإن الانتصار على النفس وشهواتها والخذلان وآفاته انتصارٌ على الشح والغيب والذنب، والرجوع إلى الله والالتصاق بركنه الركين فيه النصر على الهزائم والنكبات التي طالت في الأمة، وإن الأعداء ما كانوا أعداء إلا لمخالفتهم أمر الله فإذا اشترك الفريقان في المعصية والمخالفة فليس هناك مزية فالمؤمن حين يعادي ويعاركُ ويجاهدُ فهو إنما يعادي لله ويعاركُ لله ويجاهدُ في سبيل الله.

ويا أهل العلم وقادة الفكر في الأمة جردوا أقلامكم وابتسطوا ألسنتكم في إحياء معنى الشهادة والاستشهاد وتعميق مفهومها في النفوس، وترسيخه في سويداء القلوب بمختلف الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية. ا

ويا أهل الإسلام جودوا بأموالكم في سبيل الله كلكم من مختلف المستويات، قادة وعلماء ومسئولين، رجالاً ونساءً، شباباً وشيوخاً وأطفالاً، جزى الله خيراً كل من بذل من نفسه أو ماله لله ولنصر إخوانه في الله، ونسأله سبحانه أن تواصل هذه المسيرة المباركة طريقها في البذل والعطاء والفداء، فإلى المزيد، إلى المزيد، فالبدار البدار إلى جنة عرضها السموات والأرض،

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة رسوله، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي جعل الشهادة باباً من أعظم أبواب الجنة، أحمده سبحانه، حث الأمة على المضي في درب الشهادة في سبيل الملك العلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، خير من ضرب الأمثال في حب الشهادة، وفي بذل التضحيات العظام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأئمة الأبرار الأعلام وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا عباد الله : لقد دأبت بعض أجهزة الإعلام الأجنبية على تسمية ما يصدر من إخواننا المسلمين الصابرين في بيت المقدس، وفي كل فلسطين من تصدٍ لعدوان اليهود- لعنهم الله- ومن تحدٍ لطغيانهم وبغيهم وتجبرهم، دأبت هذه الأجهزة الإعلامية الأجنبية على تسمية هذا التحدي والإقبال والاستبسال وعلى وصفه بأنه أعمال عنف وإرهاب، والدعوة إلى نبذ العنف والإرهاب.

وهذا يا عباد الله من تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء اليهود المجرمون هم أصحاب هذه الصفة المقبوحة التي سجلها عليهم كتاب الله.

وهو أيضاً من تسمية الأشياء بغير أسمائها خداعاً، وتضليلاً منهم ومن أشياعهم من قوى الاستكبار والطغيان.

عباد الله: إن ما يقوم به إخوانكم المسلمون في فلسطين لا يسمى أعمال عنف ولا إرهاب، بل انتفاضة مباركة لصد العدوان وقمع الباطل ودحر الطغيان، وهذا حق مشروع في جميع الشرائع الإلهية وفي كل الأعراف والقوانين الدولية، لا يملك إنكاره ولا دفعه إلا جاهل مكابر، أو مغرض خبيث.

فكيف أيها المسلمون تسمى هذه الانتفاضة المباركة أعمال عنف، وهم الذين أشعلوا نارها وأهلبوا جذوتها أول مرة؟

ألم يطلق اليهود النار على الركع السجود، لكنهم في الحقيقة يساوى بين الجلال والضحية، وبين الظالم والمظلوم وبين المعتدي والمعتدى عليه، بل يدعمون الظالم والجلاد.

إن الحق يا عباد الله بين، والحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لكنه الخداع والتضليل، والمكابرة، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون.

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه ، اللهم احشرنا في زمرةهم وإن قصرت آماننا وأخلاقنا عنهم. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعز فيها أولياؤك، ويذل فيها أعداؤك. اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

الإرسول الله ﷺ

ملخص الخطبة

- ١- السخرية والاستهزاء ديدن الكافرين.
- ٢- وقوف الاتحاد الأوروبي بجانب الدغمارك.
- ٣- عودة الدغمارك إلى نشر الصور المسيئة للنبي ﷺ.
- ٤- بيان العلماء بخصوص الرسوم المسيئة لرسول الإسلام ﷺ.
- ٥- الحرب على الإسلام قديمة حديثة.

إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فيقول الله عز وجل في سورة الإنعام والأنبياء مواسياً رسوله الكريم محمداً ﷺ بما حصل للأنبياء قبله من السخرية والاستهزاء: {وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام: ١٠، الأنبياء: ٤١]، ويقول سبحانه وتعالى في سورة هود بحق سيدنا نوح عليه السلام: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} [هود: ٣٨].

ويقول رب العالمين في سورة الحجر مدافعاً عن نبيه ومصطفاه محمد عليه الصلاة والسلام: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: ٩٥].

أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله ﷺ، لقد ورد لفظ الاستهزاء والسخرية في القرآن الكريم أكثر من خمسين مرة على لسان المشركين والكافرين بحق جميع الأنبياء والمرسلين، وبحق القرآن الكريم العظيم؛ لذا لا غرابة ولا استهجان في أن

تقوم الدنمارك خاصة والغرب عامة بنشر رسومات هابطة تحاول الإساءة إلى النبي الأكرم محمد ﷺ ، ولا بدّ من التأكيد أن محاولات الإساءة إلى خير البرية محمد عليه السلام لا تقلل من قدره ولا تحطّ من منزلته؛ لأن الله عز وجل قد رفع قدره وتولى الدفاع عنه، ولكن ما حصل في هذه الأيام والأيام السابقة هو امتحان واختبار للمسلمين، هل هم يحبون نبيهم محمداً؟

نعم، لقد أثبت المسلمون في أرجاء المعمورة أنهم يحبون خير البرية عليه الصلاة والسلام، ليس هذا بالأمر المستغرب؛ لأن حب الرسول ﷺ من الإيمان، وإن محاولات الإساءة قد أيقظت المسلمين من سباتهم على حبهم لرسول الإنسانية والمحبة عليه الصلاة والسلام، والله سبحانه وتعالى يقول: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]، ويقول عز وجل في آية أخرى: {فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله، لا يزال موضوع الرسومات المسيئة يتفاقم يوماً بعد يوم، والسبب في ذلك أن بعض الدول الغربية أخذت في نشر هذه الرسومات لتقف إلى جانب الدنمارك حتى لا تكون الدنمارك منفردة في المواجهة، وحتى يتوزع جهد المسلمين بين هذه الدول.

وعلى الصعيد السياسي فإن الاتحاد الأوروبي أعلن رسمياً سابقاً بأنه يقف إلى جانب الدنمارك متشدداً بحرية الرأي والتعبير، كما أعلن بأن المقاطعة الاقتصادية للدنمارك هي مقاطعة للاتحاد الأوروبي، وأن الاعتداء على الدنمارك هو الاعتداء على الاتحاد الأوروبي، كما أعلن الاتحاد الأوروبي بأنه لا يؤيد إصدار قانون من قبل هيئة الأمم يتضمّن تجريم من يتعرّض للأديان وللأنبياء وللمرسلين.

وهاهي اليوم الدنمارك تكرر عبر سبعة عشر صحيفة إعادة نشر الصور المسيئة للنبي ﷺ بسبب ما يدعون من أن هناك ثلاثة شبان مسلمين أرادوا اغتيال الرسام الذي رسم الصور المسيئة للنبي ﷺ.

وهي حجة داحضة؛ لأن هذه الإساءة لجميع المسلمين، والعقوبات في العالم كله لا تؤخذ إلا القائمين بالفعل فحسب، لكنه في الحقيقة الإفلاس الصليبي والصهيوني، ومحاولة منهم للحيلولة دون انتشار الإسلام في أوروبا ووضع حواجز بين المسلمين وغيرهم لكي لا يؤثر فيهم ويهدوئهم إلى دين الله القويم.

أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله، السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لا يرغب الاتحاد الأوروبي في إصدار قانون يمنع التعرض للأديان والأنبياء والمرسلين؟

والجواب: لأن الاتحاد الأوروبي ليس لديه حرمة واحترام للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ، وهو مطمئن بأن المسلمين لا يتعرضون لسائر الديانات ولا للأنبياء والمرسلين، فيرى الاتحاد الأوروبي أن إصدار مثل هذا القانون سيكون لصالح الإسلام والمسلمين، وعليه لا يريد ولا يؤيده.

أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله، من حقنا أن نسأل الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي: إن الاتحاد الأوروبي أعلن وقوفه رسمياً إلى جانب الدنمارك وهي على باطل وهي معتدية فلماذا نحن المسلمين لا نقف وقفة رجل واحد إلى جانب البلاد الإسلامية التي تتعرض إلى أخطار وأزمات ونحن على الحق غير معتدين؟!

لقد سبق أن وقفت أفغانستان منفردة والعالم الإسلامي وقف موقف المتفرج، وكان الأمر لا يعنيه إلا من رحم الله تعالى.

وقد حصل ذلك أيضاً بحق العراق بل وقف بعض العرب ضده عملياً، فلماذا لا يكون للمسلمين الآن موقف موحد على الأقل كما يحصل لدى الاتحاد

الأوروبي؟! والله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأنبياء: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]، ويقول الله عز وجل في سورة المؤمنون: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ}، ويقول {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: ١٠].

ويقول رب العالمين في سورة الصف: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بَنِيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف: ٤].

ويقول رسولنا الأكرم ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً»، ويقول ﷺ أيضاً: «مثل المؤمنين في توادهم و تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله، لقد أصدر العلماء من أقطار العالم الإسلامي بياناً عندما حصلت الإساءة السابقة أوضحوا فيه موقفهم مما يجري على الساحة الإسلامية والأوروبية والعالمية من خلال ما يأتي:

أولاً: إننا نشدّ على يد الأمة الإسلامية التي هبت لنصرة نبيّها ورسولها محمد ﷺ، ونحيي الغضبة الإيمانية التي عبرت عنها الجماهير الإسلامية في العالم كله.

ثانياً: نؤكد على حرية الرأي المكفولة في ديننا الحنيف، والله سبحانه وتعالى يقول: {وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥]، فالحرية - يا مسلمون - لا تقوم على السبّ والشتم والتشهير والتجريح، وإنما يجب أن تقوم على النقاش العلمي والموضوعي، والرسول ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً؟!"، وقد قيل: "إن حريتك تنتهي حينما تبدأ حرية غيرك"، فالحرية لها ضوابطها، ولها آدابها، أما الغرب فيحاول أن يستغل لفظ الحرية ليسيء إلى الإسلام ونبي الإسلام، وإنه يفسر حرية التعبير على مزاجه، وإنه يكيل بمكيالين.

أيها المسلمون، يا أحباب رسول الله ، ومن البنود التي أشار إليها بيان علماء الأمة الإسلامية:

ثالثا: لا يجوز الاعتداء على رعايا الدول الأوروبية الذين يعيشون في الأقطار الإسلامية، فلا دخل لهم فيما جرى في بلادهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] كما لا يجوز شرعاً الاعتداء على السفارات والممتلكات.

رابعا: يتوجب على المسلمين إحياء السنة النبوية في حياتنا العملية ووجوب مدارس السيرة النبوية للأجيال الصاعدة، وأكّرر خطابي لجميع المسلمين بضرورة اقتناء كتب السيرة النبوية بالإضافة إلى القرآن الكريم، كما أذكر المعلمين والمعلمات بشرح مواقف عن حياة الرسول ﷺ .

خامسا: يتوجب تعريف الأمم والشعوب الأخرى غير المسلمة بأخلاق الرسول وشمائله من خلال وسائل الإعلام وبلغات متعددة.

سادسا: وجوب إصدار قوانين لمنع التعرّض للأديان والأنبياء والمرسلين في الدول الغربية ومن قبل الأمم المتحدة.

سيدي يا رسول الله إن قصرنا بحقك فمنك المعذرة، وسنبقى الأتباع الأوفياء المخلصين لك ولستنتك الطاهرة ما حيننا، فأنت نور وهديك نور.
إن الرسول لنور يُستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذِّكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها المسلمون، إن الناظر اليوم إلى ما يجري في دنيا المسلمين يرى مخطّطاً واضحاً يستهدف الإسلام والمسلمين في الحرب على الإسلام وأهله، {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧].

وقد اتخذت هذه الحرب على الإسلام وأهله وسائل وأساليب متعددة؛ شملت النواحي العسكرية والاقتصادية والثقافية، واستغلت وسائل الإعلام المختلفة وسخرتها لخدمة هذه الحرب الحاقدة التي تستهدف المسلمين عقيدة ووجوداً، وتشوّه رموز العقيدة الإسلامية ومقدساتها، من خلال الإساءة إلى النبي ﷺ.

وتكريس هذا العدوان المنافي لأبسط قواعد حق الإنسان في احترام معتقده لدى الآخر.

ودافع من دافع عن هذه الحملة المشينة من ساسة الغرب باحترام حرية الصحافة وحرية التعبير في بلدانهم التي تعيش نظام الديمقراطية، هذا النظام الذي تصوره زعيمة العالم الحر بزعمهم من خلال الحروب والاحتلال، كما حصل في غزو العراق وقبلها بلاد الأفغان. أيها المسلمون لم يرق لأعدائكم ما رأوه من موقف صلب شجاع عبرت عنه شعوب أمتكم يوم هبت تدافع عن نبيها، وما زالت أمام استهداف مكانة النبي ﷺ من قبل من أعماهم الحقد على دين الإسلام.

هذا الموقف العظيم المدافع عن عقيدة الأمة ومقدساتها ورموزها وقد توحد أبناء الأمة للذود عن عقيدتهم ونبههم عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة وأتم التسليم، ودعت الأمة لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع تكرار هذه الإساءات لنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، فكانت المقاطعة الاقتصادية لمنتوجات البلد الذي صدرت منه الإساءة، وكانت الدعوة لسحب السفراء من البلاد التي تسيء أو شاركت في الإساءة للمسلمين ونبههم ودينهم، وكذلك الدعوة إلى سن القوانين الدولية التي تحظر الإساءة للأديان والأنبياء والعقيدة .

عباد الله عوداً إلى ديننا فالنصر قادم إن شاء الله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: ١٠٥]

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

سنرىهق آىاننا فى الآفاق

ملخص الءطبة

- ١- بعض عءائب ءلق الله ءولنا.
- ٢- صور للإعءاز العلمى فى القرآن.
- ٣- كلام الءىوانات بمءل كلام البشر.

سنريهم آياتنا في الآفاق

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها الناس: قال تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق} [فصلت: ٥٣]. وقال: {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت} [الغاشية: ١٧-٢٠].

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري	حتى أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء اهترتا	لروائع الآيات والآثار
ولقد تمر على الغدير تحاله	والنبت مرآة زهت بإطار
حلو التسلسل موجه وخريره	كأنامل مررت على أوتار
ينساب في مخضلة مبتلّة	منسوجة من سندس ونضار
وترى السماء ضحى وفي جناح	الدجى منشقة عن أنهر وبحار

في كل ناحية سَلَكَتَ ومذهب
 جبلانٍ من صخرٍ وماءٍ جاري
 سبحة من خلق الوجود مصوراً
 تلك الدَّمى ومقدّر الأقدار
 من هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، هل يستطيع أحد في العالم،
 أن يزعم أنه هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى؟ لا، وألف لا، إن الذي
 أعطى كل شيء خلقه ثم هدى هو الله.

ردّ بهذا الرد موسى كليم الله على فرعون عدو الله، لما سأله فرعون: من ربكما
 ياموسى؟ فقال موسى: {ربُّنا الذي أعطى كلَّ شيء خلقه ثم هدى} [طه: ٥٠].
 وهذه الآية تشمل عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان وعالم البر،
 وعالم البحر، وعالم الجو، فالله يتجلى في عصر العلم كلما مرَّ يوم، وكلما اكتشف
 اكتشاف، دلنا على الله وعلى قدرته ووحدانيته.

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدٌ
 قال سبحانه: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه
 الحق} [فصلت: ٥٣].

كان السلف يعرفون من قوله تعالى: {فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت
 وأنبتت من كل زوج بهيج} [الحج: ٥]. أن الأرض تخضر وتثمر وتزهو إذا نزل عليها
 الماء، ثم تقدم العلم، واكتشف أهل علم النبات؛ أن الإنسان إذا وضع الحب اليابس
 في الأرض اليابسة لا ينبت الزرع، حتى تهتز الأرض درجة واحدة من درجات
 جهاز (رختر) فتصدع قشرة الحبة، فتنبت بإذن الله، والله يقرر ذلك قبل أربعة
 عشر قرناً من الزمان، (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) وقبل أن تهتز لا تنبت ولا تثمر
 كان أحد الشعراء مسرفاً على نفسه في الخطايا، (أبو نواس)، وعندما توفي،
 رآه أحد علماء أهل السنة في المنام في هيئة حسنة، عليه ثياب بيض، جالس في
 بستان، قال: يا أبا نواس كيف حالك؟

قال: لقد أتيت إلى الكريم فغفر لي، قال: بماذا؟ قال: بقصيدتي في وردة النرجس:

تأمل في نبات الأرض وانظر إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لُجَيْنِ شاخصات بأحداق هي الذهبُ السبيكُ
على كُتُبِ الزَّبْرَجَدِ شاهداتُ بأن الله ليس له شريكُ

إن النخل، الرمان، الريحان، كل نبت، وكل زهر، يشهد أن لا إله إلا الله.

إنها معالم الوجدانية، ودلائل الألوهية، وآيات الربوبية.

وقد عرف السلف قوله تعالى: {فلا أقسم بمواقع النجوم} [الواقعة: ٧٥].

قالوا: إن ذلك إشارة إلى أماكنها، وتطور الإعجاز العلمي، فاكتشف علماء الفلك، أن هناك نجومًا ذهبت من أماكنها، أرسلها الله سرعتها الضوء أو أكثر، ولم ترتطم بالأرض إلى اليوم وبقيت مواقعها هناك، فقال الله: {فلا أقسم بمواقع النجوم}. ولم يقل: فلا أقسم بالنجوم تعظيمًا لمواقعها.

والله يقول: {والسمااء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون} [الذاريات: ٤٧]. يقول

العلماء: إن الله عزّ وجلّ أوسع الكون، وجعله فسيحًا، بصحاريه وفيافيته، وبحارته، ومحيطاته، ثم تطور علم الإنسان إلى أن وصل إلى قضية مذهلة؛ وهي أن الكون يتسع كل يوم باستمرار في كل ثانية كما يتسع البالون إذا ملئ بالهواء تمامًا!!، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما أكتشف علميا أن السمااء بناء عظيم ليس فيه أي خلل أو فطور أو شقوق {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} [الملك: ٣، ٤].

ويقول جلّ ذكره: {وأرسلنا الرياح لواقح} [الحجر: ٢٢].

من ما يدري معنى لواقح، وكيف تلقح الرياح، وما فائدة تلقح الرياح، وما

المادة التي تلقحها الرياح بإذن الله.

يقول العلماء: يُحمّل الله المعصرات من السحب بماء البحر، بعد أن يتبخّر، ثم يسوقه بالريح، فيأتي الملك يهتف ويقول: اسق بلد كذا وكذا، فيذهب السحاب ولكنه لا يسقط منه قطرة، حتى يرسل الله الرياح مُحمّلة بذرّات الغبار فتصطدم بالسحاب تلقّحه، فيهبط الغيث بإذن الله.

كان النبي ﷺ يقوم في وسط الليل ليصلي، ثم ينظر إلى السماء ويقول: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار} الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار} [آل عمران: ١٩٠-١٩١].
أخرجه مسلم

وعن عبيد بن عمير رضي الله عنه أنه قال لعائشة رضي الله عنها أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي قال يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي. قلت: والله إني أحب قربك وأحب ما يسرك.
قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي. قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره.
قالت: وكان جالسا فلم يزل يبكي رضي الله عنه حتى بل لحيته.

قالت: ثم بكى حتى بل الأرض فحاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال يا رسول الله: تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال أفلا أكون عبدا شكوراً.

لقد نزلت علي الليلة آية ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها «إن في خلق السموات والأرض...» الآية. رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني.

وفي التزويل {والجبال أرساها} [النازعات: ٣٢]. أين أرساها؟ ولماذا أرساها؟ وكيف أرساها؟ أرساها في الأرض قال أهل العلم: طول الجبل في باطن الأرض أكثر من ضعف طوله فوق سطح الأرض، فكل جبل من الجبال، لم يخرج منه على

سطح الأرض إلا الثلث، وبقي الثلثان في بطن الأرض، أوتد الله الأرض بالجبال ثم وزّعها على القارات والجزر، حتى لا تهتز الأرض، ولو جمعها في منطقة واحدة لاضطرب حال الأرض، ولتقلبت، ولانتهت كل الكائنات الحية الموجودة على سطحها، { هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلالٍ مبين } [لقمان: ١١].

أروني صنع البشر، أروني خلق البشر { يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب } [الحج: ٧٣].

وخلق الله عالم الحيوان، والحديث عنه طويل، قال علماء الحيوان: جعل الله في خياشيم الكلب مادة شامة، يعرف بها من بعيد صديقه من عدوه، ولا يصيب الكلب عرق، فإذا أراد أن يتنفس من المسام لهث في الليل والنهار { كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث } [الأعراف: ١٧٦]. فمن الذي خلق.. ومن الذي صور.. ومن الذي أبدع.

يرسل الإنسان الحمام الزاجل، يحمل الرسائل من مكان إلى مكان، ويعود إلى صاحبه، فلا يضل، ولا يضيع، ولا يضطرب، من الذي علمه، من الذي بصّره بالطريق، من الذي هداه؟ إنه الله الواحد الأحد، { الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى } [طه: ٥٠].

خلق الله العنكبوت، منها صنف وفصيلة تعيش في البحر، فإذا أرادت أن تبيض، بنت عُشّها تحت سطح البحر، ثم عملت عُشّاً كالبالون لا يخترقه الماء، وعبّأته بالهواء، وأسرجته بإذن الله بمادة في أنفها، ثم جعلت تبيض في العش فمن الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

خلق الله النملة، تذهب لرزقها في الصباح وتأتي في المساء، تعلمُ بقدم فصل الشتاء حيث الأمطار والبرد، فتدخر قوتها، من الصيف في مخازن تحت الأرض، حتى إذا جاء فصل الشتاء، كان عندها ما تعيش عليه، وإذا خافت أن تنبت الحبة التي خزنتها، قسمتها نصفين لئلا تنبت، فمن علمها؟ ومن بصرها؟ إنه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

أيها الناس: إن قضية الخلق والهداية هي من أهم القضايا التي عاجلها الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكلما تقدّم العلم وتطورت الأبحاث، كلما اهتدى الإنسان، وعلم أن لهذا الكون إلهاً لا إله إلا هو.

فالعلماء كلما تجرّدوا من العصبية، وأخلصوا في اكتشاف الحقائق عرفوا الله، واكتشفوا بعض أسرار الكون، كان ذلك قائداً لهم إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له. مصداقاً لقوله تعالى: {سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} [فصلت: ٥٣].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، والمعلم النحرير، وعلى آله وصحبه والتابعين.
أما بعد:

فإن قدرة الله، عزّ وجلّ، تحقق بكلمة واحدة "كن" {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون} [يس: ٨٢]. والله عزّ وجلّ، أخبر في كتابه أنه سوف يُنطق أعضاء الإنسان لتشهد عليه، لأنها جند من جنوده تبارك وتعالى: {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون} [النور: ٢٤].

يوم يقول الكافر لجلده: كيف تتكلم؟ كيف تشهد عليّ، من أنطقك فيجيب: {أنطقنا الله الذي أنطق كلّ شيء} [فصلت: ٢١].

وفي السنة والسيرة أحاديث كثيرة، أظهر الله فيها قدرته على ألسنة الحيوانات، حيث تكلمت بألسنة عربية فصيحة، أنطقها الواحد الأحد لبيّن أنه على كلّ شيء قدير. ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجراً في مكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث) حجر، جماد، كان إذا مر به النبي ﷺ يقول له بصوت وبحروف، وبنطق: السلام عليك يا رسول الله.

وخرج سليمان نبي الله عليه السلام يستسقي بقومه وقد علّمه الله منطلق الطير، فوجد نملة رفعت أيديها وأرجلها واستلقت على ظهرها تدعو الله، تشدو بذكره، تهتف باسم الواحد الأحد، وتقول اللهم إنا خلق من خلقك فلا تحرمنا فضلك، فرآها نبي الله سليمان فتبسم، وقال لقومه من بني إسرائيل: عودوا فقد سقيتم بدعاء غيركم. قال تعالى: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} [هود: ٦].

وفي الصحيح أن رجلاً خرج في عهد النبي ﷺ إلى ضاحية من ضواحي المدينة يرعى الغنم، فأخذ الذئب من غنمه شاة، فطارده الرجل حتى أخذ منه شاته، فقال الذئب بلسان فصيح: أتأخذ رزقاً رزقنيه الله، فدهش الرجل وقال: يا عجبا!! ذئب يُكلمني.. قال الذئب: أين الراعي يوم لا راعي لها إلا أنا. يقول: أنت تحميها الآن، ولكن سوف يأتي زمن قبل الدجال لا راعي إلا الذئب، وفي هذا اليوم لن تمنعها أنت ولن تحميها؛ لأني أنا الذي سأحميها.

ثم قال الذئب للرجل لما تعجّب من تكليمه إياه: أعجب من ذلك رجل بين الحرتين، يوحى إليه صباح مساء" [أخرجه أحمد وأخرجه البخاري مختصراً].

يقول: أعجب من تكليمي لك، رجل وهو النبي ﷺ يأتيه الوحي من السماء، لا يقرأ، ولا يكتب، وما تعلم، وما درس، ومع ذلك أتى بشريعة ربانية، وبوحي سماوي، وبمنهج خالد.

وفي الصحيح أن الرسول ﷺ قال: «أتى رجل من بني إسرائيل فركب بقرة، كما يُركب الحمار، فالتفتت إليه البقرة وقالت: ما خلقتنا لهذا، إنما خلقتنا للحرث» [أخرجه البخاري] تكلمت البقرة، فمن أنطقها؟ أنطقها الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

ومن الأحاديث الإسرائيلية، أن عيسى عليه السلام، مرَّ ببقرة وقد اعترض ابنها في بطنها وهي في الولادة، صعبت عليها الولادة فجعلت تتلفت إلى السماء، لأنها تعلم أن الذي يُجيب السائلين ويُفرِّج كرب المكروبين، إنما هو الله.

التفتت ثم قالت لعيسى عليه السلام: يا روح الله، أدعو الله أن يُسهل عليّ فدعا عيسى عليه السلام، فسهّل الله عليها. فسبحان [الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى]، وسبحان [الذي يسجد له من في السماوات ومن في الأرض طوعاً وكرهاً]، وسبحان الذي خلق كل شيء، وكلُّ شيء عنده بمقدار.

أيها الناس: إن الغرض من هذا العرض ومن هذا القصص مسألة واحدة، وهي أن العاقبة لهذا الدين، وأن المستقبل لهذا الدين؛ لأنه الدين الصحيح الذي يُخاطب القلوب والضمائر.

إن آيات الله في الكون سوف ترى؛ لتدل على قدرة الله تعالى وهيمته على هذا الكون. فلا خالق، ولا رازق ولا مصور، ولا مُبدع إلا الله الواحد الأحد، [سُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد] [فصلت: ٥٣].

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه ، اللهم احشرونا في زمرةهم وإن قصرت
آمالنا وأخلاقنا عنهم . ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم .

اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك
يا ذا الجلال والإكرام، لك الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، لك الحمد حتى
ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في
كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمَنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا
محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن
سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك
وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه
على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

قَصص وعبر من أخبار من سخر بسيد البشر

ملخص الخطبة

- ١- رحمة الله تعالى بهذه الأمة.
- ٢- دعوة المصطفى ﷺ وجهاده وصبره.
- ٣- فضائله وشمائله ﷺ.
- ٤- حب الصحابة لرسول الله ﷺ ودفاعهم عنه.
- ٥- جريمة السخرية بالنبي ﷺ.
- ٦- انتقام الله تعالى لنبيه ﷺ.
- ٧- موقفنا تجاه هذه الهجمة الشرسة.

العبر من سخر بسيد البشر

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله، لقد رحمننا الله تعالى رحمة واسعة حين خصنا فجعلنا أتباع خير الخلق، الذي أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن الذل والظلم والجهل والشتات والمهانة إلى العز والعدل والعلم والاجتماع والكرامة، من نحن لولا دين محمد ﷺ وملته؟!!

وما قيمتنا لولا رسالته وشريعته؟! وما مصيرنا لولا دعوته وعقيدته؟!!

قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤]. بلغ ﷺ الرسالة أحسن بلاغ، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده.

آذاه قومه فصبر ليلِّغ هذه الرسالة، ذهب إلى الطائف على قدميه يعرض الإسلام على قبائلها، فأغروا به صبيانهم، وأدموا قدميه وهو صابر في سبيل الدعوة. يعرض نفسه على القبائل فتطرده فلا يثنيه ذلك شيئاً، أصحابه يعدّون في حرّ الهجير وهم يستغيثون بالله تعالى في سبيل هذا الدين، يؤمر بالهجرة فيخرج من بلده مكة ويقف على شفير خارج مكة ويقول: «والله إنك لأحب البقاع إلى الله، والله إنك لأحب البقاع إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت». يُشجُّ رأسه يوم أحد، وتكسر ربايعيته، ويتكالب الأعداء على قتله يوم الخندق، فيحزّبون الأحزاب طلباً لرأسه، ويدسّ له اليهود السمّ، ويحاولون قتله أكثر من مرّة، لكن ذلك لا يثني من عزيمته لنشر هذا الدين، حتى بلغ الإسلام مشارق الأرض ومغاربها.

لا تحصى فضائله، ولا تعدّ مزاياه. ما من صفة كمال إلا اتّصف بها، زكى الله تعالى عقله فقال: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} [النجم: ٢] وزكى لسانه فقال: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى} [النجم: ٣]، وزكى شرعه فقال: {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} [النجم: ٤]، وزكى معلّمه فقال: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى} [النجم: ٥، ٦]، وزكى قلبه فقال: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم: ١١]، وزكى بصره فقال: {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} [النجم: ١٧]، وزكى أصحابه فقال: {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]، وزكاه كَلِّه فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤].

نعتته بالرسالة: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ} [الفتح: ٢٩]، وناداه بالنبوة فقال: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [المتحنة: ١٢]، وشرفه بالعبودية فقال: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء: ١]، وشهد له بالقيام بها فقال: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن: ١٩].

شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وأتم أمره، وأكمل دينه، وبرّ يمينه. ما ودّعه ربه وما قلاه، بل وجده ضالاً فهداه، وفقيراً فأغناه، ويتيمماً فأواه وخيّره بين الخلد في الدنيا ولقاه، فاختر لقاء مولاه، وقال: «بل الرفيق الأعلى».

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت مثل الرسول ﷺ نبيّ الأمة الهادي واليوم يأتي أقوام ما عرفوا الله طرفة ساعة، يعيشون في ظلمات الشهوات، أهدافهم وأفكارهم واعتقاداتهم منحطة، يحاولون النيل من هذه المنارة الشامخة. تأتي الصحف الدماركية لتستهزئ بأعظم البشر على مرأى ومسمع من جميع المسلمين، أين الغير؟! أين حب الرسول ﷺ؟! أين الدفاع عنه؟! أليس هذا هو مقام سيدنا رسول الله ﷺ؟! عباد الله اعلموا علم اليقين أن هؤلاء سينتقم الله منهم؛ لأنه قال في كتابه العزيز: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧].

آذاه عتبة بن أبي لهب وسخر منه فقال ﷺ: «اللهم سلط عليه كلبا من كلابك»، فكان عتبة لا ينام إلا وسط رفاقه خوفاً من دعوة الرسول ﷺ لكن ذلك لم يمنعه، وفي بعض أسفاره استيقظ على أسدٍ مفترس قد نشب محالبه في صدغيه، فجعل يصرخ ويقول: يا قوم، قتلتي دعوة محمد، لكن ذلك لم يغن عنه شيئاً تقدم الأسد بينهم يشم رؤسهم حتى إذا شم رأس عتبة انقض عليه فاقتلع رأسه. مزق كسرى رسالته، فدعا عليه، فقتله الله في وقته، ومزق ملكه كل ممزق، فلم يبق للأكاسرة ملك بعده، تحقيقاً لقوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} أي: مبغضك، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»، فكيف بمن عادى سيد الأنبياء ﷺ؟! ويقول سبحانه: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» [الحجر: ٩٥].

قال ابن سعدي رحمه الله في تفسيرها: "وقد فعل تعالى، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله ﷺ وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شرّ قتلة" اهـ.

وأخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل وابن مردويه بسند حسن والضياء في المختارة عن ابن عباس في قوله: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث والأسود ابن المطلب والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل، فأتاه جبريل، فشكاهم إليه رسول الله ﷺ، فقال: أرني إياهم، فأراه كل واحد منهم، وجبريل يشير إلى كل واحد منهم في موضع من جسده ويقول: كَفَيْتَكَهُ، والنبي ﷺ يقول: «ما صنعت شيئا!» فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يرش نبلاً فأصاب أكحله فقطعها، وأما الأسود بن المطلب فترل تحت سمرة فجعل يقول: يا بني، ألا تدفعون عني؟! قد هلكت وطُعت بالشوك في عيني، فجعلوا يقولون: ما نرى شيئا، فلم يزل كذلك حتى عتمت عيناه، وأما الأسود بن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها، وأما الحارث فأخذ الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منه، وأما العاص فركب إلى الطائف فربض على شبرقة فدخل من أخمص قدمه شوكة فقتلته.

لكن يا عباد الله، ما موقفنا نحن؟

يجب أن نسأل أنفسنا: هل نحن نحبّ رسول الله ﷺ حباً صادقا، أم أن الأمر مجرد ادعاء؟! يقول ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "يَا رَسُولَ اللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: "فَإِنَّكَ الْآنَ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي"، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ».

وهذا على ﷺ يفديه بنفسه ليلة الهجرة فينام على فراشه ﷺ.

وهذا أبو بكر رضي الله عنه يبكي فرحاً حينما علم أنه رفيق لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته، وهو يمشي أمامه في الهجرة يوم يذكر الرصد، ويمشي خلفه يوم يذكر الطلب، حتى إذا جاء أمر فداه بنفسه.

وهذه نسيبة بنت كعب المازنية أم عمارة، امرأة تحمل السيف تذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما تكشف عنه الرجال، فيقول لها: «سليني يا أم عمارة»، فتقول: أسألك مرافقتك في الجنة، حبّ في الدنيا وحبّ في الآخرة.

وبعد أن انتهت غزوة أحد مرّ جيش النبي صلى الله عليه وسلم وهو عائد للمدينة بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظرَ إليه، فأشير إليها حتى إذا رآته قالت: "كل مُصيبة بعدك جَلَلٌ" — تريد صغيرة —.

ولما أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه عندما كان مشركاً يفاوض النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، فرأى نماذج من حب الصحابة له، رجع إلى قريش فقال لهم: "أي قوم، والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنحاشي، والله ما رأيت ملكاً قطّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد ممّداً، والله إن تنخّم نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيماً له".

هذا هو حبّ الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل نحن نحب رسول الله أو أن

الأمر مجرد ادعاء؟! هل ننشر سنته؟! هل نتأدب بآدابه؟! هل نقدي بهديه؟! يقول تعالى لنبيه: {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفتح: ٨، ٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمدده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعدُ :

فإن الاستهزاء والسخرية من النبي محمد ﷺ ليست الأولى ولن تكون الأخيرة فالنبي ﷺ قد نبيل منه في حياته وبعد مماته، وانتقم الله لنبيه ﷺ لأن الله قد قال في محكم التنزيل: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣] وقال أيضاً: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} [الحجر: ٩٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": "وقد سمي أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزين، وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به...".

وقد سجل التاريخ قصصاً ومشاهد لانتقام الله لنبيه ﷺ ومن باب التفاؤل بانتقام الله من الرسامين الدنماركيين الذين سحروا من النبي ﷺ أذكر بعض الأمثلة: نبدأ بقصة جاءت في الصحيحين وهي قصة الرجل الذي ادعى على النبي ﷺ كذباً وزوراً أنه هو من كان يكتب لمحمد ﷺ الوحي.

فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ نَصْرَانِيًّا مِنَّا مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَأَسْلَمَ وَقَرَأَ الْبَقْرَةَ
وَأَلَ عِمْرَانَ، فَكَانَ يَكْتُبُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَعَادَ نَصْرَانِيًّا.

وعند مسلم: فَأَنْطَلَقَ هَارِبًا حَتَّى لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ. قَالَ: فَرَفَعُوهُ، فَكَانَ
يَقُولُ: "مَا يَدْرِي مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كَتَبْتُ لَهُ" وَفِي رَوَايَةِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ "كَانَ يَقُولُ:
"مَا أَرَى يُحْسِنُ مُحَمَّدٌ إِلَّا مَا كُنْتُ أَكْتُبُ لَهُ"، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ فَدَفَنُوهُ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ:
"فَمَا لَبِثَ أَنْ قَصَمَ اللَّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ"، فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: "قَدْ
نَبَذَتْهُ عَلَى وَجْهِهَا" فَقَالُوا: "هَذَا فِعْلُ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ نَبَشُوا عَنْ
صَاحِبِنَا فَأَلْقَوْهُ"، فَحَفَرُوا لَهُ فَأَعْمَقُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَقَالُوا: "هَذَا فِعْلُ
مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ نَبَشُوا عَنْ صَاحِبِنَا لَمَّا هَرَبَ مِنْهُمْ فَأَلْقَوْهُ"، فَحَفَرُوا لَهُ وَأَعْمَقُوا
لَهُ فِي الْأَرْضِ مَا اسْتَطَاعُوا فَأَصْبَحَ وَقَدْ لَفَظَتْهُ الْأَرْضُ فَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ
فَأَلْقَوْهُ، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: فَتَرَكَوهُ مَبْنُودًا". متفق عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصارم المسلول" (ص ٢٣٣) معلقاً على
القصة: "فهذا الملعون الذي افتري على النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما كان يدري إلا ما كتب له
؛ قصمه الله وفضحه بأن أخرجهُ من القبر بعد أن دُفن مراراً، وهذا أمرٌ خارجٌ عن
العادة، يدلُّ كلُّ أحدٍ على أن هذا عقوبة لما قاله، وأنه كان كاذباً، إذ كان عامةُ
الموتى لا يصيبهم مثل هذا، وأن هذا الجرمَ أعظمٌ من مجرد الارتداد، إذ كان عامةُ
المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا، وأن الله منتقمٌ لرسوله صلى الله عليه وسلم ممن طعن عليه
وسبه، ومظهرٌ لدينه، ولكذب الكاذبِ إذا لم يمكن للناسِ أن يقيموا عليه الحدَّ".

ومنها - ما ذكره القاضي عياض في "الشفاء" (٢/٢١٨) قصةً عجيبةً
لساخرٍ بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن فقهاء القيروان وأصحاب سحنون أفتوا بقتل إبراهيم
الفزاري، وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه
ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأمر القاضي يحيى بن عمر بقتله وصلبه، وحكى بعض المؤرخين أنه

لما رُفعت خشبته وزالت عنها الأيدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آيةً للجميع، وكبر الناسُ، وجاءَ كلبٌ فولغ في دمه.

ومنها - ما كان سبباً لتأليف كتاب "الصارم المسلول على شاتم الرسول" لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قصة ذكرها تلميذه ابن كثير في "البداية والنهاية" (٣٥٥/١٣) فقال: "واقعة عساف النصراني: كان هذا الرجل من أهل السويداء، قد شهد عليه جماعة أنه سب النبي ﷺ وقد استجار عساف هذا بابن أحمد بن ححى أمير آل علي، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ دار الحديث، فدخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي نائب السلطنة فكلماه في أمره فأجابهما إلى ذلك وأرسل من يحضره فخرجا من عنده ومعهما خلق كثير من الناس فرأى الناس عسافاً حين قدم ومعه رجل من العرب فسبوه وشتموه.

فقال ذلك الرجل البدوي: هو خير منكم - يعني النصراني - فرجمهما الناس بالحجارة، وأصابت عسافاً ووقعت خبطة قوية فأرسل النائب فطلب الشيخين ابن تيمية والفارقي فضربهما بين يديه، ورسم عليهما في العذراوية، وقدم النصراني فأسلم، وعقد مجلس بسببه، وأثبت بينه وبين اليهود عداوة، فحقن دمه.

ثم استدعى الشيخين فأرضاهما وأطلقهما، ولحق النصراني بعد ذلك ببلاد الحجاز، فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ﷺ قتله ابن أخيه هنالك، وصنف الشيخ تقي الدين بن تيمية في هذه الواقعة كتابه "الصارم المسلول".

و في "الصارم المسلول" يذكرُ شيخ الإسلام من التجاربِ بخصوصِ سب النبي ﷺ فيقول: "ونظيرُ هذا ما حَدَّثناه أعدادُ من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مراتٍ متعددةٍ في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حُصر فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصن أو المدينة

الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقية في عرضه تعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكذ يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوةً، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إنا كنا لتبأشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه. اللهم أقر أعيننا وأسماعنا بمن سخر بالنبى ﷺ

عباد الله تعالى: إن حبّ الرسول ﷺ عقيدة يتفق عليها كل المسلمين بشتى طوائفهم وأفكارهم، فكل القلوب مجتمعة على حبه، لهذا يجب علينا أن نستثمر هذه الأزمة العالمية التي تتنامى بسبب التعرض لشخصه في توحيد الأمة وجمع كلمتها حول الرسول؛ لتكون غضبة المسلمين لدينهم في الاتجاه الصحيح، يجب أن نشيع توقير الرسول وتعريف الجيل به وبشماله، يجب على الأمهات أن يرضعن أولادهن محبة رسول الله، وعلى الآباء أن يجعلوا من السيرة مادة لجلسات العائلة، وعلى المعلمين أن يخصصوا بعض حصصهم لسيرته العطرة.

وهل نجد فرصة لتتفق عليها في زمان كثر فيه الاختلاف أعظم من فرصة أن تتفق القلوب والجهود للدفاع عن الرسول؟!؟

إنها فرصة تاريخية نشعر فيها بالسعادة إذا رأينا جهود الدول والشعوب والمؤسسات تتفق جيمعا على شيء واحد، كيف وهذا الشيء هو الدفاع عن الرسول والذب عنه؟! يجب علينا أن نعلن حبنا لرسول الله وغبنا له، وأن نرفض التعامل مع هؤلاء الذين يسبونه، ونقاطع كل منتج يأتي من عندهم.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن

سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

النبوة ومفاهيم حول المولد النبوي

ملخص الخطبة :

- ١ - حال المجتمعات قبل بعثة النبي ﷺ.
- ٢ - إشراق شمس الرسالة المحمدية.
- ٣ - التحذير من الغلو في النبي ﷺ.
- ٤ - حقيقة تعظيم النبي ﷺ ومحبته.

النبوة وذكرى المولد

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إخوة الإسلام، عندما غابت شمس النبوات عن الكرة الأرضية اشتد الظلام وعظم الضلال وازداد الشر وانحرفت العقول وانطمست البصائر وبات الناس كما قال الباري تعالى: {فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٧٤] يعبدون أهواءهم، ويحتكمون لشهواتهم، ويأكلون ضعيفهم، لا عدالة تقام، ولا عرض يسان، ولا تألف يسود ويدوم. تصور أنك عايش في مجتمع يعظم الأصنام وينتهك الحرمات، ويتمدح بالمظالم وتغشاه الحروب والعداوات لأسباب تافهة، قد اجتاحتها برائن الجاهلية، فألقته في مستنقع من الكبرياء والسفه والاعوجاج.

فب هذا المآتمع تشحّ العقول الزكية؁ وعنه تخنفي الفطر السلمة؁ فلا توحيد خالص؁ ولا استقامة صحيحة. وما إن يظهر الرجل المستقيم والعقل الزكي إلا وينال منه؁ ويُسخر به؁ ويتعجب له ومن منهاجه.

ومن هؤلاء الذين زكت عقولهم وأنكر سفاهة قومه زيد بن عمرو بن نُفيل؁ فكان لا يذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة والدم؁ وطلب الدين الحق؁ ووفّق للحنيفية دين إبراهيم عليه السلام؁ وعصمه الله من عبادة الأوثان والأحجار وكان يقول :

أرباً واحداً أم ألف ربُّ أدينُ إذا تقسّمت الأمورُ
عزّلتُ اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلدُ الصبورُ
ولكنْ أعبد الرحمن ربّي ليغفر ذنبي الربُّ الغفورُ

روى البخاري في صحيحه عن أبي رجاء العطاردي وهو يصورُ سخافة الوثنية التي كانت تعيشها الجاهلية قبل الإسلام ويقول: (كنا نعبد الحجر؁ فإذا وجدنا حجراً هو أخير ألقيناه وأخذنا الآخر؁ فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوةً من تراب؁ ثم جئنا بالشاة فبالت عليه؁ ثم طفنا به).

وهكذا فإن كل مجتمع كافر يخلو من نور النبوة مصيره إلى الضياع والهلاك؁ فلا يُستغرب تدينه بالباطل وتعلقه بالسفه وركضه وراء الشهوة وتخميم النكاد والتطاحن بين أهله وأفراده؁ كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ طه ١٢٤.

فكان العالم قبل الإسلام شقاء في شقاء ودماراً في دمار؁ يحتاج إلى مصلح يضيء له نور السعادة؁ ويفتح له منافذ النجاة؁ فكان من رحمة الله تعالى أن شعت من غار حراء نسمة مباركة؁ تجللت بالهدى والنور؁ وتحلت بالخير والسماحة؁ وكانت فاصلاً بين دهر غصّ بالشورور والموبقات ودهر مُلئ بالأفراح والمسرات.

بشرى من الغيب ألقْت في فم الغار وحياً وأفضت إلى الدنيا بأسرار

بشرى النبوة طافت كالشذا سحرًا
فأقبل الفجرُ من خلف التلال وفي
كأن فيضَ السنا في كل رابيةٍ
تدافع الفجر في الدنيا يزف إلى
واستقبل الفتح طفلاً في تبسمه
وشبَّ طفل الهدى المنشود مّزرا
في كفه شعلة تهدي وفي فمه
وفي ملامحه وعد وفي دمه

وأعلنت في الربا ميلاد أنوار
عينيه أسرار عُشاق وُسُمار
موجٌ وفي كل سفح جدولٍ جاري
تاريخها فجر أجيال وأدهار
آياتُ بشرى وإيماءات إنذار
بالحقّ متشحًا بالنور والنار
بشرى وفي عينه إصرارُ أقدارٍ
بطولة تتحدى كلَّ جبارٍ

أيها المسلمون، كانت بعثة رسولنا محمد ﷺ رحمة بعد ظلماء وجمعاً بعد شتات، وحياة بعد ممات، وفرجاً بعد كرب ومأساة. {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، وكانت منةً على أهل الإيمان، زكت نفوسهم، ورفعت أقدارهم، وأصلحت حياتهم وشؤونهم، {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

أيها الإخوة الكرام، في هذا الشهر شهر ربيع الأول وُلد رسولنا ﷺ فكان مفتاح الخيرات والبركات للبشرية جمعاء، وأيقن أهل الإيمان برسالته وبفضله وعظمته وجعله الله تعالى حجة على العالمين وقدوة للناس أجمعين، يهتدون بهديه ويستنون بسنته.

فبلغ من حب بعض الناس له أن غلوا فيه، ووصفوه بما لا يليق وأنزلوه منزلة الكريم الوهاب، فسألوه ودعوه من دون الله بعد مماته، وصنعوا له ما لا يرضاه هو في حياته، ومن ذلك ما يُسمى بالمولد النبوي الذي أحدث في العصور المتأخرة،

وما عرفة السلف ولا فعلة الأئمة المقتدى بهم، وإنما لجأ إليه بعض من قل فقهه وعلمه، فبالغوا بتعظيم رسول الله ﷺ، فأحدثوا شيئاً منكرًا ليس له أصل في الدين.

واعتبروا ذلك عيداً يفرحون فيه، ويتهجون برسول الله ﷺ فينشدون القصائد الغالية والمدائح النبوية، وربما صاحب ذلك اختلاط بالنساء وإحضار المعازف ودعاء رسول الله ﷺ وسؤال ما لا يجوز ولا يصح، فينقلب العيد البهيج إلى منكر قبيح ومدرسة تعلم الشرك والغلو وتهتك الأخلاق والآداب.

وقد قال رسول الله ﷺ كما في الصحيحين: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» أي: مردود لا يُعتدّ به. وهذا المولد المحدث لم يصنعه السلف الصالح الكرام، وهم أصدق الناس حباً لرسول الله ﷺ وأشدهم تعظيماً، وقد بذلوا أموالهم وأنفسهم من أجله.

أيها الإخوة الكرام، يدّعي أصحاب المولد النبوي أنهم يعظمون رسول الله بذلك وينشرون فضله ويثنون سنته. ونقول لهم: إن تعظيم رسول الله ليس بليلة تحيا في السنة، وليس بقصائد شركية ولا مدائح بدعية، ولم يكن تعظيمه بدق الطبول واختلاط الجنسين ولم يكن تعظيمه بتقريب الموائد وإيقاد الأنوار وتلميع المنازل والاستراحات، فكل ذلك لون من البدع المنكرة التي لا تُرضى ولا تُطاق.

أيها الإخوة، إن هذه البدعة المنكرة أحببنا التنبيه عليها والتحذير منها لئلا يغتر أحد بسماع شيء من فتاوى الفضائيات المتساهلة أو البرامج التي لا تتردد في نشر ذلك، فقد يغترّ بعض العوام بما يسمعه أو يراه؛ لأننا صرنا في عصر منفتح متصل بعضه ببعض فوجب النصح والتنبيه.

عباد الله: إن تعظيم النبي ﷺ يكون باتباع سنته والسير على منهاجه والذبّ عن شريعته، وذلك حبه والتعلق به، {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [آل عمران: ٣١].

محبة النبي ﷺ يكون أثرها بالعمل بسنته ونشر دينه والتخلق بأخلاقه، وإن كثيرين ليشهدون هذه الأعياد وهم أبعد ما يكونون عن سنة النبي ﷺ، بل ربما كان بعضهم منابذا للسنة، وآخر لا يقتدي بها، وآخر يحضر للفرح والرقص والسرور، وآخر للأكل وملء البطون، ثم يدعون بعد ذلك محبة رسول الله ﷺ وتعظيمه! ومن هؤلاء من لا يقيم الدين ولا يشهد الجماعات ويأكل المحرمات، ويباشر الشهوات، في ليلة يحييها بالفرح، أو مكان يتردد عليه متى شاء، والله المستعان.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٧١].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه كان للأوابين غفوراً.

الخطبة الثانية :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

أيها الناس، إن مولد المصطفى ﷺ يشدنا إلى عظمة النبوة وشرف الرسالة التي حملها نبيه عليه الصلاة والسلام، فكون أمة خراجت من غياهب الضلال إلى نور الإسلام، ومن ظلمة التعصب القبلي إلى عدل الشريعة، ومن أوهام الشرك إلى نور التوحيد، ومن الفرقة والتناحر إلى أخوة الإيمان، في ظل دولة الإسلام التي ساوت بين الشريف والوضيع، وبين الأبيض والأسود، وبين العربي والأعجمي، فلا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى } [الحجرات: ١٣].

بهذه المبادئ العظيمة والأخلاق الكريمة التي أتمها نبيكم ﷺ أنقذ عبّاد الأصنام من النار، وجعل من الأعراب المتحارّيين لأتفه الأسباب خيراً أمة أخرجت للناس، حملت رسالة الإسلام إلى العالمين في ثبات لا يتزعزع، وإقدام لا يتراجع، وإباء لا يقبل الضيم، وعزة لا تقبل الذل، وشموخ لا يقبل الباطل.

فقد خرجت دعوة الرسول ﷺ قادة الدنيا إلى كل فضيلة، حملوا للعالم من حولهم نور الهداية وحسن الخلق وبشاشة الإيمان وأعادوا للإنسان كرامته المهذرة، وأخرجوا من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، نشروا الفضيلة وحاربوا الرذيلة وشدّوا الناس بأخلاقهم، فأقبل الناس على دين الله أفواجاً ورحم الله القائل:

محمد نور المعالي شامل لولاه ما عرف الفضائل فاضل

أيها المسلمون، يا إخوة الإيمان، وكأن الزمان قد استدار كهيئته يوم ولد وبعث عليه الصلاة والسلام، فغدت الجاهلية الحاضرة أشد وأعتى من الجاهلية الأولى، وأضحى عبّاد الأصنام البشرية والشهوات الدنيوية أقسى قلوباً من عبّاد الأصنام الحجرية وأطل رأس الكفر ومن يسايره من المنافقين يحاربون الإسلام وأهله وأصببت الأمة في أخلاقها، وأنكرت العقيدة في نفوس أبنائها فصار المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ضيّعت الأمانة وزاد الفجور وشرب الخمر، ونخر الفساد جميع مناحي الحياة، فعمّت الرذيلة، وتراجعت الفضيلة وانماعت الأمة في تقليد الآخرين إلا من رحم ربي، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

يا مسلمون، عظموا رسول الله ﷺ باتباع دينه ونشر سنته والتعلق بآثاره وشمائله، وكونوا كالسلف الصالح، أحبوا رسول الله ﷺ وما غلّوا فيه، نشروا دينه، وحرسوا سنته، واهتدوا بهديه، وأتوا محاسنه، واجتنبوا مكارهه، فكانوا خير الأصحاب لخير نبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم .

وكان الأئمة المقتدون بهم على هديهم؛ يعظمون النبي ﷺ باتباعه والحرص على سنته وأقواله.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "إذا خالف قولي قول رسول الله ﷺ فاضربوا بقولي عرض الحائط"،

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: "من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة"، ويقول سفيان الثوري رحمه الله: "إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل". فهكذا — يا مسلمون — تكون المحبة والتعظيم ويكون العمل والاتباع. قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

فهلا أخذت أمتنا اليوم بهذا الهدى الكريم وطرحت كل الشعارات الضالة التي فرقت الأمة وأوردتها موارد الهوان، فقد هزمتنا تحت كل الرايات العميية، من قومية واشتراكية وعلمانية، ولن نتصر إلا براية الإسلام، فنحن أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل وأبي لهب وأعراب الجاهلية، بل بالرسول الأكرم ﷺ وبالرعيل الأول من صحبه الكرام وتابعيهم بإحسان.

ولم نفتح الفتوح بحرب داحس والغبراء بل فتحناها بيدر والقادسية واليرموك ولم نحرر البلاد بالاستجداء والمؤتمرات ولكن حررناها بحطين وعين جالوت، ولم نحكم الأمة بالقوانين الوضعية وعصبيات الجاهلية، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد وبالإسلام العظيم، ولم نبتغ العزة من محافل الكفر الدولية، ولكن ابتغيها من الله بجماعة من المؤمنين، ولم نيسط سلطان الأمة بدويلات الطوائف بل بسطناه بالخلافة الراشدة وبالأمة الماجدة، فاطلي يا أمة الهادي ﷺ زمام المبادرة، لإعادة مد الإسلام وعزة المسلمين، فإننا نملك ما يصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، ولا تترددني إن كنت على يقين بأن الله حسبنا ونعم الوكيل، حتى لا يحال بيننا وبين العزة في

الدنيا، وبيننا حوض المصطفى ﷺ في الآخرة، لما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوبي فأقول: يا رب مني ومن أمي! فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم». أعوذ بالله أن نفتن في ديننا، أعوذ بالله أن نرجع على أعقابنا.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين . اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تدلنا بمعصيتك. اللهم وفقنا للخيرات، وجنبنا الغفلة والحسرات...
ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

مولد النبىؐ بين الانباع والابنداع

ملخص الخطبة

- ١- البشارة بمحمد ﷺ .
- ٢- محبة الصحابة للنبي ﷺ .
- ٣- تغير مفهوم المحبة .
- ٤- بدعية الاحتفال بالمولد النبوي وبيان نشأته .
- ٥- الاختلاف في تاريخ مولد النبي ﷺ .
- ٦- المحبة الحقيقية للنبي ﷺ .
- ٧- التحذير من الغلو ومن الجفاء .
- ٨- لماذا التحذير من بدعة الاحتفال بالمولد النبوي .

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فقد كان نبينا محمد ﷺ هو دعوة أبيه إبراهيم حين قال: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129].

وكان ﷺ بشرى أخيه عيسى بن مريم عليه السلام حين قال: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6]، وكان رؤيا أمه حين رأت في المنام قبل ولادته نوراً خرج منها أضواءت له قصور الشام.

إنه محمد ﷺ الذي كانت دعوته إجابة لدعوة إبراهيم ومصداقاً لدعوة المسيح عليهما السلام وتعبيراً لرؤيا أمه، فجعله الله سراجاً منيراً استنارت به الأرض

بعد ظلمتها، وجمع الله به الأمة بعد شتاتها، واهتدت به البشرية بعد حيرتها، ومع بعثته ولدت الحياة وارتوى الناس بعد الظمأ.

لما أطلّ محمد زكت الرُّبى واخضرّ في البستان كلّ هشيم

فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وقامت للإسلام دولته، وعاش المسلمون في عصر النبوة حياة لم يسبق لها مثيل، توحيد خالص لله وحده، وعدل وإنصاف، وتحابب وتآخ، واعتزاز وعزة كرامة وهيبة في قلوب الأعداء، وعاش المسلمون في ذلك العهد الفريد ردحًا من الزمن أحبّ فيها الصحابة رسولَ الله ﷺ وعظموه واقتدوا به حبًا حقيقيا وليس ادعاءً.

يقول المشركون لخبيب بن عدي رضي الله عنه وقد أسروه ثم صلبوه ثم عذبوه عذابًا شديدًا فيقول له أحدهم: أتحب لو أن محمدًا مكانك؟ فقال: والله، إني لا أتمنى أن أكون في أهلي آمنًا مطمئنًا ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة.

هكذا كان حب صحابته له، وترجموا ذلك الحب باتباعه واتباع سنته وتطبيق أوامره واجتناب نواهيه، وعندما ضعف نور النبوة في حياة الأمة وقلّ تمسكها بكتاب ربها وسنة نبيها ضعف هذا التعظيم في حياة الأمة وحرّفت محبة النبي ﷺ حين حاول بعض الغيورين جهلاً أو غفلة جبر هذا الضعف بإحداث بعض المظاهر والاحتفالات التي لم يعرفها ولم يقيمها خير من عظم المصطفى.

وضاعف المأساة أن الجهل في الأمة أصبح رائجًا، وأهمل العلماء وهمس دورهم، فكان الأثر على أمة الإسلام واضحًا في انتشار البدعة ورواجها.

كما ساعد الفكر الإرجائي الذي صاحب هذا الانحراف وقصر محبة النبي ﷺ على مجرد كلمات مدائح يتغنى بها المنشدون في الموالد والمناسبات من غير أن يكون لهذه الكلمات أيّ أثر من عمل واتباع لمن يزعمون محبته وتعظيمه وإقامة المولد له.

وكلما اشتد الجهل والغفلة والادعاء زاد الغلو والانحراف الذي حذر منه المصطفى ﷺ في أكثر من حديث نبوي، ومع الزمن ينتشر هذا الحبّ الزائف والغلو المنظم بين قطاعات عريضة في الأمة، وترعاه الدول والحكومات.

بل تكون أيام هذه البدع إجازات وتتخذ هذه الحفلات والموالد أشكالاً ووسائل شعبية ومجالاً للترفيه والترويح وقد يشتمل بعضها على عدد من الأمور المنكرة كاختلاط الرجال بالنساء والرقص والغناء أو أعمال شرّ كثيرة أو شرك كالاستغاثة بالنبي ﷺ أو ادعاء حضوره أو ما يسمى بالحضرة النبوية.

وتكون تلك الموالد مواسم ارتزاق لبعض المنتفعين ومناخاً لنشر البدعة، ويستغله بعض المغرضين ويدعي بعض الطيبين أنها فرصة للدعوة إلى الدين إضافة إلى النيل ممن يسموهم بالمتشددين عبر قنواتهم الفضائية أو عبر إعلامهم، وذلك بلمزهم والنيل من محافظتهم على عقيدتهم وعدم الابتداع في الدين.

أيها الأحبة، إن احتفالات المولد النبوي على اختلاف مقاصد فاعلية لا شك أنه بدعة في الدين محرمة محدثة أحدثت في القرن الرابع الهجري على يد الرافضة العبيديين حين بدأه المعزّ العبيدي وأحدث معه خمسة موالد أخرى لعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وأرضاهم، وأصبح تضخيم تلك الاحتفالات وحبك الأساطير حولها ثم إشاعتها بين العوام وأشباههم ليتهاوا بها من الوسائل التي يلجأ إليها الحكام لصرف الناس عن الدين الحق، فما أن يتفرغ الناس من مناسبة حتى يُلاحقوا بغيرها.

ثم أظهر الاحتفال بالمولد بعدهم الملك المظفر أبو سعيد ملك إربل في أواخر القرن السادس وأول القرن السابع الهجريين، حيث فعله قبلهم بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا وهو من الصالحين المعروفين، فاقندى به حاكم إربل كما ذكره المؤرخون كابن كثير وابن خلكان وغيرهما، يقول ابن خلكان: "فإذا كان أول

صفر وضعوا الزينة الفاخرة وجوق الأغاني وتبطل معاش الناس وأخرجوا من الطعام ما يفوق الوصف ويزف الناس بالطبول والأغاني والملاهي حتى تمتلئ بها الميادين" انتهى كلامه رحمه الله.

فهذا مبدأ حدوث الاحتفال وإحيائه بمناسبة ذكرى المولد النبوي فإنه حدث متأخراً عن القرون الثلاثة الفاضلة، ويكون مقترناً باللهو والترف وإضاعة الأموال والأوقات وراء بدعة ما أنزل الله بها من سلطان،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه العظيم الموسوم اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم قال: "ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيمًا له من اتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في تاريخ مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع، ولو كان خيراً محضاً أو راجحاً كان السلف أحق منا بفعله، فإنهم كانوا أشد محبة وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كانت محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته ظاهراً وباطناً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرصاء على هذه البدع تجدهم فاترين في أمر الرسول مما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحمل مصحفاً ولا يقرأ فيه ولا يتبعه" انتهى كلامه رحمه الله.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: "إن بدعة عيد المولد التي تقام في شهر ربيع الأول في الليلة الثانية عشرة منه ليس لها أساس من التاريخ؛ لأنه لم يثبت أن ولادة النبي ﷺ كانت تلك الليلة وقد اختلفت أقوال المؤرخين في ذلك:

فبعضهم جعله في الثاني من الشهر، وبعضهم في الثامن من ربيع الأول أو التاسع أو السابع عشر، وبعضهم في الثاني والعشرين، وليس من قول لديه دليل يرجحه، إلا أن بعض المعاصرين حقق أنه في اليوم التاسع" انتهى كلامه رحمه الله.

إخوتي، إن عدم معرفة تاريخ المولد بدقة لأكبر دليل على أن الصحابة ومن بعدهم من القرون الفاضلة لم يقيموه، ولم يكن دليل صدقهم في حب النبي ﷺ أو الإيمان به مولداً يصنعونه لرسول الله أو ذكرى يهيمنون بها أياماً وليالي ثم ينسون سيرته وسنته وهديه بعد ذلك، لقد كان دليل صدقهم وإيمانهم ومحبتهم هو اتباعهم لسنته كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

عباد الله، إن الله تعالى الذي بعث محمداً وقرن الشهادة برسالته بالشهادة بوحدانيته سبحانه وتعالى هو الذي جعله الأسوة الحسنة كما هو صريح القرآن، أسوة في حياته وأقواله وأفعاله وسلوكه وتصريفه لشئون الحياة، وإنه لمن العقوق لرسالة الإسلام ولسيرة النبي ﷺ ومن الكفران بهما أن يعمل الإنسان ببعض الأحكام ويكفر ببعض، وعلى هذا فإن صدق الاحتفاء بذكرى مولد الرسول ﷺ إنما يكون بمتابعة الطريق وكيف عاش عليه الصلاة والسلام للدعوة وسخر لها حياته.

وإنما يأتي مثل هذا الانحراف بدءاً من ادعاء المحبة وغيرها والقرآن الكريم حسم دلائل المحبة للرسول ﷺ في قوله جل وعلا: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١].

فالمحبة تقتضي الاتباع وليس الإحداث والابتداع، واتباع النبي ﷺ في أقواله وأفعاله أحد ركائز دين الإسلام وأساسياته ومن أعظم مسلمات الشريعة والأمور المعلومة منها بالضرورة، {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧].

وكثيراً ما يوجد عدد من المنكرات في الأمة أسبابها الغلو ولو كان هذا الغلو في رسول الأمة، وذلك بالاستغائة به وطلب المدد منه واعتقاد أنه يعلم الغيب وغير

ذلك من الأمور التي يتعاطاها بعض هؤلاء الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ، وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله» أخرجه البخاري.

أيها المسلمون، إننا في الوقت ذاته الذي ننكر فيه الغلو في رسول الله ﷺ ونستنكر تلك الممارسات المبتدعة التي اختزل فيها حب النبي ﷺ مع كل ذلك فإننا نستنكر كذلك الجفاء في محبة الرسول ﷺ نستنكر الجفاء في محبته وعدم معرفة فضله على الأمة وأنه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، هداهم إلى الصراط المستقيم، ولم يترك سبيلاً لهدايتهم إلا سلكه، ولا علماً إلا بذله، فصلوات الله وسلامه عليه.

عباد الله: إن معرفة حقه ﷺ واجب عظيم على كل مسلم، لا ينبغي تركه وإهماله، كما أن الغلو مردود فكذلك الجفاء مرفوض بكل صورته وأشكاله، وإن وصاياه لأمته كانت في التمسك بالدين وعدم الإحداث فيه: «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

أيها المسلمون: إن فيما شرعه الله تعالى من تعظيم رسوله ووسائل محبته ما يغني عن كل وسيلة تبتدع وتحدث، فاتقوا الله عباد الله، واستغنوا بما شرعه الله عما لم يشرعه، وبما سنه رسول الله ﷺ عما لم يسنه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣].

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا.
أما بعد:

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى، واعلموا أننا حين نتكلم عن هذه البدعة فإنما لنبين خطرها ونحذر منها بعض المسلمين التي تقام تلك البدعة في بلدانهم، ومع هذا الانفتاح الإعلامي والحديث عبر القنوات والإذاعات أصبحت هذه البدعة وغيرها منشورة معروضة على جميع المسلمين عبر عرض احتفالات المولد النبوي وغيره من الموالد في القنوات والإذاعات والكتابة عنها في المقالات، وقد يتبناها بعض المنتسبين إلى العلم ويسوّغونها للناس مع تقديم اللاذع لمخالفهم ووسمهم بالتشدد والجفاء، وترى تناقضًا واضحًا حين يرى هذه الاحتفالات ويحضرها بعض من يجاربون الإسلام ولا يطبقون شريعته وحكمه في أحكامهم، ثم هم يحتفلون بمولد النبي ﷺ، فهل هذا هو الاتباع المشروع لرسالته؟! لذلك وجب التنبيه وعدم الاغترار بانتشار البدع وعرضها وتسويقها من قبل بعض المغرّرين بها، فالحق أحق أن يتبع، كما أن علينا جميعًا أن نحصن أنفسنا وبيوتنا وطلابنا ومجتمعنا من مثل هذه البدع بتعليمهم أصول الدين الحنيف وسبل الوقاية من البدع والمحدثات بالدليل والإقناع والاتباع.
أيها المسلمون عظموا رسول الله باتباع دينه ونشر سنته والتعلق بآثاره وشمائله، وكونوا كالسلف الصالح، أحبوا رسول الله وما غلّوا فيه، نشروا دينه، وحرسوا سنته واهتدوا بهديه وأتوا محاسنه واجتنبوا مكارهه، فكانوا خير الأصحاب لخير نبي عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهم.

وكان الأئمة المقتدون بهم على هديهم؛ يعظمون النبي باتباعه والحرص على سنته وأقواله. يقول الإمام الشافعي رحمة الله: "إذا خالف قولي قول رسول الله فاضربوا بقولي عرض الحائط"، ويقول الإمام أحمد رحمه الله: "من رد حديث رسول الله فهو على شفا هلكة".

ويقول سفيان الثوري رحمه الله: "إن استطعت أن لا تحك رأسك إلا بأثر فافعل". فهكذا — يا مسلمون — تكون المحبة والتعظيم ويكون العمل والاتباع. {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: ٢١].

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. وصلوا وسلموا — يا عباد الله — على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه فقال جل من قائل عليهم: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وزد وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وارض عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين...

حرب المفاهيىب

ملخص الخطبة

- ١- فتنة العقول والفهوم.
- ٢- خطورة الانحراف الفكرى.
- ٣- أهمية الفهم الصحىب.
- ٤- مفاسد سوء الفهم.
- ٥- انقلاب المعايىب.
- ٦- الانحراف الحاصل فى العقيدة والعبادات والمعاملات.
- ٧- دعوة لتصحيح منهج التلقى.
- ٨- ضرورة الرجوع إلى فهم السلف الصالح.
- ٩- أسباب اختلال المفاهيىب وسبل العلاج.

حرب المفاهيم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فأوصيكم — عباد الله — ونفسي بتقوى الله عزّ وجل، فإنها نعمت الوصية، وأهلها خير البرية، من حققها حقق المراتب العلية والمطالب السنية، وسلم من كل فتنة وبليّة، واستوى عنده في هذه الدنيا تبرّها وتراها وعذبها وعذابها، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُنْتُمْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨].

أيها المسلمون، تمرّ الليالي والأيام، وتكرّر الشهور والأعوام، ولا تزال أمة الإسلام تتجرّع المآسي وتعيش الفتن، وتعصف بها الابتلاءات وأمواج المحن، وإذا كانت فتن هذا الزمان قد تابعت ومحن العصر قد تنوعت وتكاثرت كحبات عقدٍ منتثرٍ أو كسيلٍ سماءٍ منهمرٍ فإنّ أشدّ هذه الفتن خطراً وأعظمها أثراً وأكثرها ضرراً فتنة العقول والفهوم؛ بصرفها عن مراد الله عزّ وجلّ ومراد رسوله ومنهج السلف.

معاشر المسلمين، المتأمل في مسيرة الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل يجد أن هناك أنواعاً من الانحرافات الخطيرة التي مُنيت بها هذه الأمة، غير أن انحراف المفاهيم هو الخلاصة المرّة التي آل إليها الانحراف التاريخي برمته، ولئن ظنّ بعض الغيورين أن ما أصاب الأمة من أرزاء هو إفراز الانحرافات السلوكية المتفشية بين ظهرانيها، فإن من المؤكّد أن الانحراف الأخطر هو الانحراف في الأفكار والمفاهيم . فقد يجد الدّاعية رجلين؛ أحدهما منحرف السلوك مستقيم المفاهيم، والآخر منحرف في السلوك والمفاهيم، فسيبذل جهداً يسيراً مع الأوّل لصحّة مفاهيمه، بينما سيبذل جهداً أكبر مع الآخر لأنّه يحتاج أولاً إلى تصحيح مفاهيمه، ثمّ بعد ذلك تصحيح سلوكه. وتلك هي الحقيقة المرّة في حال كثير من أبناء أمّتنا اليوم، فلقد تجاوز الانحراف مرحلة السلوك، وبلغ ذروته في المفاهيم الرئيسة لهذا الدّين القويم، لذلك فليس من الغرابة أن تعيش أمّتنا شدة الكربة وحالة العربة التي أخبر عنها المصطفى في الحديث الصحيح عند مسلم وغيره: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ».

وأى اغتراب فوق غربتنا التي لها صارت الأعداء فينا تحكّم إخوة الإيمان، قضية الفهم الصحيح قضية من أهمّ القضايا التي ينبغي العناية بها، لا سيّما في أوقات الفتن؛ إذ بها تتفاوت مراتب الخلق في إصابة الحقّ، ولذلك اختصّ الله نبيّه سليمان عليه السلام بالفهم مع ثنائه عليه وعلى داود بالعلم والحكم، قال تعالى: [فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا] [الأنبياء: ٧٩]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى في كتابه إليه: (الفهم الفهم فيما أدلي إليك) ، وقال عليّ رضي الله عنه: (أو فهماً يؤتبه الله عبداً في كتابه)، وقال أبو سعيد: كان أبو بكر رضي الله عنه أعلمنا برسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا النبيّ صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل، وتلك مرتبة فوق مرتبة العلم المجرد.

يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: "صِحَّةُ الفَهِمِ وحُسْنُ القصدِ من أعظمِ نعمِ الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطيَ عبدٌ عطاءً بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما،

وبهما يأمن العبدُ طريقَ المغضوبِ عليهم الذين فسَدَ قصدُهم وطريقَ الضَّالِّين الذين فسدتْ فهمُهم، ويصير من المنعم عليهم الذين حسنتْ أفهامهم وقصودهم، وهم أهلُ الصراطِ المستقيم الذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كلِّ صلاة. وصحَّةُ الفهم نورٌ يقذفه الله في قلبِ العبد، يميِّز به بين الصحيح والفاقد والحقِّ والباطل والهدى والضلال والغبيِّ والرشاد"

ثم قال رحمه الله: "ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحقِّ إلا بنوعين من الفهم:

أحدهما: فهمُ الواقع والفقه فيه.

والثاني: فهمُ الواجب في الواقع، وهو فهمُ حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثم يطبَّق أحدهما على الآخر" إلى أن قال رحمه الله: "ومن تأمَّل الشريعة وقضايا الصحابة وجدها طافحةً بهذا، ومن سلك غيرَ هذا أضاع على الناس حقوقهم، ونسبَه إلى الشريعة التي بعث الله بها رسوله" انتهى كلامه رحمه الله.

إخوة العقيدة، إن إساءة المفاهيم وراء كلِّ محنة بُليت بها هذه الأمة، بل البشرية قاطبة، وهل أبليس إبليس وقتل هابيل وافترق أهلُ الكتائب وافترقت هذه الأمة وأريقَت دماء المسلمين، وتسَلَّط عليهم أعداؤهم إلا بسببها؟!!

وما الذي سفك دمَ عثمان وعليٍّ والحسين وابن الزبير وابن جُبَيْر وغيرهم من سادات الأمة إلا ذلك؟! وما الذي جرَّد الإمام أحمدَ بين العقابين وضرب السِّياط حتى عَجَّت الخليقةُ إلى ربِّها وخلَّد خلقاً في السَّجون وسلَّط سيوفَ التتار

على ديار الإسلام ومهد لطوائف الإلحاد والزندقة والنفاق والخوارج والفرق الضالة
إلا سوء المفاهيم!؟

ولهم نصوصٌ قصّروا في فهمها فأتوا من التقصير في العرفان
أمة الإسلام، وما أشبه الليلة بالبارحة فهذا هي الصّراعات العالمية والتحدياتُ
الدولية تنطلق من سوء المفاهيم، وهل موجات الغزو الفكري والعقدي والأخلاقيّ
والإعلامي المعاصر إلا حربُ مفاهيم!؟
وهل فرض أنماطٍ ثقافيّة وفكريّة وإملاء اتجاهاتٍ إصلاحية معيّنة باسم العولمة
والانفتاح والحرية ومساواة المرأة بالرجل إلا معركة مفاهيم!؟
وهل كيل التّهم على الأمة الإسلامية بدعوى الإرهاب وعدم مراعاة حقوق
الإنسان ومصادرة الحريّات وإقصاء مناهج الحقّ والعدل والسلام والنيل من القيم
والمثل النبيلة والكيل في القضايا الإسلاميّة بمكيالين إلا صراع مفاهيم!؟
وإن تعجبوا — رعاكم الله — فعجبٌ تحويل المفاهيم الخاطئة بفعل الإعلام
الموجه المضادّ إلى حقائق مسلمة عند كثيرٍ من المتلقين، فمفهوم الإرهاب مثلاً لا
يكون محارباً إلا إذا كان خطأً من بعض أهل الإسلام، لكن سحق المقدّرات
والعبث بالمقدّسات بحرب المجازر والمجتررات من العدو الصهيونيّ الغاشم ضدّ
إخواننا في فلسطين لا يُعدّ ذلك إرهاباً بإفكهم، بينما الدّفاع عن الحقوق المشروعة
في الأرض والحفاظ على الدين والعرض يعدّ إرهاباً بزعمهم!! فليس بعد هذا
تلاعبٌ بالمفاهيم .

وإذا كان هذا غير مستغرب مع الخصم، فإنّ صدور آثار المفاهيم في
الاختلاف بين أهل الإسلام وتحويلها إلى صراعات دموية لأمرٌ يبعث على الغرابة.
ولقد تابع الغيورون ما جرى ويجري على أرض العراق من نزيف الدم
المهراق ممّا يبعث على الإدانة والاستنكار، ويتيح الفرصة للعدو المتربّص بخيرات

العراق ومقدّراته، ولذا فالدعوةُ موجّهةٌ بإشفاقٍ لإخواننا في بلاد الرافدين لحقنِ دماءَ المسلمين، ووقفِ شلّالاتِ الدماءِ البريئة، والمحافظة على وحدة الشعب المسلم ومصالحه الشرعية، والاجتماع على مفاهيم الكتابِ والسنةِ الغراءِ ونبذ ما يخالفها. إخوة الإسلام، ولعلَّ أخطرَ حروبِ المفاهيم التي بُليت بها الأمة المفاهيمُ العقديّة في تحقيق معنى الشهادتين وتوحيدِ العبادة والولاء والبراء والشرك والتوسّل والتبرُّك والشفاعة والولاية والجماعة والتكفير والغلوّ والمحبة والخصائص النبويّة والموقف من الصحابة وما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك.

كما أن مفاهيم العبادات والمعاملات والعقود والقضاء وتمييز الأحكام والنظرة إلى الإنسان والكون والحياة وعمارة الأرض، إضافةً إلى مفاهيم الدعوة والحسبة والجهاد، وقضايا الفكر والثقافة والحرية، وقضايا الشباب والمرأة والحجاب والحوار والإصلاح والنوازل والمستجدّات المعاصرة، كلّ هذه مما يحتاج إلى تأصيلٍ شرعيٍّ للمفاهيم الصحيحة وفقهٍ واقعيٍّ يُعنى بما يُسمّيه أهل العلم كالشاطبي وغيره فقهَ المآلات وكذا فقه الأولويات وفقه المرحلة التي تمرّ بها الأمة من حيث القوة والضعف كما نصّ على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، في عنايةٍ بالنصوص وضبطٍ للاستدلال وصحّة في الاستنباط وحسن توظيفٍ لمقاصد الشريعة وقواعد الفقه فيها.

إنّها دعوةٌ صادقةٌ لتصحيح المفاهيم الخاطئة عن ديننا وشريعتنا تبدأ أولاً من أنفسنا نحن أهل الإسلام وإخواننا في تصحيح عقيدتنا وتصوّراتنا ومفاهيمنا، ثمّ مع غيرنا في تصحيح صورة الإسلام المشوّهة لدى كثيرٍ من شعوب العالم.

لا بدّ من تصحيح منهج التلقّي في الفهم لهذا الدين القويم الذي أصابه خللٌ ذريع عند فئام من الناس، فما بال أقوامٍ اختلطت عندهم الأفهامُ وداخلها الخلطُ واللّبس والإيهام، وعُزلت عن نور الوحي ومشكاة سنة سيّد الأنام، وكرّعت في

أوحال الضلالات والأوهام وخيم عليها فسطاط الأباطيل والإظلام، حتى توارت المفاهيم الصحيحة في أنفاق مظلمة من المفاهيم الغريبة، وغرقت كثير من أشربة المناهج السليمة في بحرٍ ومستنقعات المناهج السقيمة، مما يتطلب من ربان سفينة هذه الأمة من أهل العلم والعقل والدعوة والإصلاح العمل بجد في إصلاح المفاهيم وربط الأمة بمفاهيم خير القرون عليهم من الله الرحمة والرضوان.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "وأراؤهم لنا — يعني الصحابة — أحمد وأولى لنا من آرائنا عندنا لأنفسنا".

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: "حبهم — أي: الصحابة — سنة، والدعاء لهم قربة، والافتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة"

ويقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل".

ولئن طالب كل بتصحيح مفاهيم غيره فإن الفصل في ذلك فهم السلف الصالح رحمهم الله، قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى: ١٠]، ويقول: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

ألا فاتقوا الله عباد الله، وتمسكوا جميعاً بالكتاب والسنة، واتحدوا على فهم سلف الأمة، تسعدوا وتفليحوا في دنياكم وأخراكم.

نفعي الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه كان للأوابين غفوراً.

الحمد لله، شرع الشرائع وأحكم الأحكام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك القدوس السلام، وأشهد أن نبينا محمداً عبد الله ورسوله سيد الأنام، هو للأنبياء بدرُ التمام ومِسك الختام، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررة الكرام، الموصوفين بقوة الإيمان وصحة الأفهام، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم القيام للملك العلام، وسلم تسليمًا كثيرًا.
أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن أصدق الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة.
أيها الإخوة الأحبة في الله، وحتى لا تختلط المفاهيم ينبغي تشخيص الداء ووصف الدواء.

إن من أهم أسباب اختلال المفاهيم الجهل واتباع الهوى والتعصب والتحزب المقيت وإيثار الدنيا وطلب محمّدة الخلق وضعف الإيمان وترك التقوى واللهث وراء حبّ الظهور والشهرة.

كما أن منها ترك المحكمات واتباع المتشابه وتصيد الشواذ من المسائل وتقفر العلم. لما ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم».

كما أن من أسباب اختلال المفاهيم عدم الرجوع إلى أهل العلم المعترين، يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وحادثة السنن مظنة سوء الفهم في الغالب، وحدث ولا حرج عن التأويلات الفاسدة. واليوم في عصر الإعلام والفضائيات وثورة الثقافات والمعلومات تولت فضائيات تدعي الحرية والاستقلال والتشكيك في

المفاهيم الصحيحة لهذه الأمة والظعن في رموزها والتلاسُن الكلامي والتراشق الإعلامي والتنقُص لثواب الأمة ومسلّماتها والتعرّض بالنقد والثلب والمحكمة لفضلائها وعُظمائها، ولكلّ قومٍ وارث، ممّا يثير البلبلة ويشكك في المسلّمات وينشر الفوضى الفكرية ويهدم البنى الصحيحة لفكر الأمة وموروثها الحضاريّ.

أمّا العلاج فيكمُن في حُسن القصد وتحرّي الحقّ وتقوى الربّ والوقوف حيث وقف الأسلاف، فإنهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ نافذٍ كفوا، وإلا ففتن المفاهيم بحرٌ سحيق لا ساحل له، فكم من فاتن فيها بعلم، ومفتون عنها بتقليد، وقد جمع هذا الزمانُ وأهله كثيراً من صور المفاهيم الخاطئة.

وما اجتمعت في عصرٍ كاجتماعها وتواردها في هذا العصر حتى قلّ الفقه فيها، وعظمت المجاهدة لها، وما ذلكم إلا لأن أصحاب المفاهيم الخاطئة يرون الصواب حكرًا على أنفسهم {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضلُّ من يشاء} [فاطر: ٨]. وكم وصّفوا أهل المفاهيم الصحيحة بالأوصاف الشنيعة وكم عيّت الأقوال الصحيحة بالفهوم السقيمة.

وما على المرء إلا نحت القوافي من مقاطعها، وما عليه إذا لم يفهم البشر؟! حتى خيل لبعض المنهزمين أن لا امتطاءً لسهوة التقدم والحضارة إلا بالتمرد على الدين والنيل من قيمه ومفاهيمه والمساس بثوابته والمطالبة بإخضاع مسلّماته ومحكماته للنظر والحوار، فظن بعضهم الإفساد إصلاحًا، {وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون} [البقرة: ١١، ١٢]، وقد قال قائلهم عن نبيّ الله موسى عليه السلام وكلميه: {إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} [غافر: ٢٦].

فمهلاً مهلاً أيها المفتونون، ورويدكم رويدكم أيها المنهزمون وعلى رسلكم أيها الخائضون في أمور الشريعة، فأعطوا القوسَ باريها وحنائكم أيها المخالفون،

فها قد برح الخفاء، وتبين الحق وانجلي، وظهر الحق واعتلى، ووُضعت المفاهيم في صحيح مجاريها، وحاد السالك عن الشطط في مراميها، ولم يبق لمعانيد مستمسك، ولا لمجادل مستعصم، ولن يُخرج الأمة من هدها وينقذها من جديد صراعاتها إلا عودتها الجادة لتصحيح مفاهيمها في أنفسها أولاً، ثم عند غيرها ثانياً، مستثمرة وسائل العصر وثقافته في تحقيق ذلك قبل أن يستفحل داؤها ويستحيل دواؤها، ولنا عبرة أيّ عبرة تتبعها لوعة وعبرة في أساطين المفاهيم المغلوطة عبر التاريخ الذين ندموا على ما قدموا، واعترفوا بجيرتهم واضطرابهم، فأرواحهم في وحشة من جسومهم، وحاصل دنياهم أذى ووبال، وآخر قد طاف المعاهد كلها، وسير طرفه بين تلك المعالم،

فلم ير إلا واضعاً كف حائرٍ على ذقنٍ أو قارعاً سنّ نادم.

فيا هؤلاء، ويا أولئك، البدارَ البدارَ قبل فوات الأوان، {فإن لم يستجيبوا لك فأعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين} [القصص: ٥٠].

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين . اللهم أعزنا بطاعتك، ولا تدلنا بمعصيتك. اللهم وفقنا للخيرات، وجنبنا الغفلة والحسرات...

ألا وصلوا وسلّموا — رحمكم الله — على الرحمة المهداة والنعمة المسداة، نبيكم محمد بن عبد الله، كما أمركم ربكم جلّ في علاه فقال تعالى قولاً كريماً: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً} [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّد الأولين والآخريين وأشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

الاجازة الصيفية

ملخص الخطبة

- ١- أهمية الوقت في الإسلام .
- ٢- أهمية ترويح النفس (ساعة وساعة).
- ٣- الاقتصاد في العبادة والاستمرار عليها.
- ٤- الأوقات من أعظم ما يسأل عنه العبد يوم القيامة.
- ٥- الأبناء والعطلة الصيفية.

الإجازة الصيفية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون، مما يجدر بالداعية والناصح الغيور أن يبين للناس ما هم عليه وفيه وقت الحاجة، فهذا نبي الله شعيب قاوم بكل ما أوتي من قوة في مشكلة ظهرت في مجتمعه ألا وهي الغش والتطفيف في الميزان وهذا نبي الله لوط حارب مشكلة اللواط في مجتمعه، وهذا نبينا محمد ﷺ كان له مع كل مشكلة تظهر موقف وبيان وتعليم، والموفق من وفقه الله لسماع القول فيتبع أحسنه.

ومن هذا المنطلق ونحن في أيام الإجازة الصيفية أحب أن أنبه على بعض الأمور المهمة التي يجدر التذكير بها، كما قال سبحانه: {وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات]. عباد الله: إن الوقت هو زمن تحصيل الأعمال وقد أتت الله الكفار لإضاعتهم أعمارهم من غير إيمان فقال: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر: ٣٧].

عباد الله: إن الناس ينقسمون في قضاء الإجازة إلى أقسامٍ عدّة بحسب رغباتِ نفوسهم واحتياجاتهم.

فقسمٌ يقضيها في أداء واجب كبرٍ والده ومساعدته في العمل وغيره، أو صلة رحم واجبة ونحو ذلك.

وقسمٌ يقضيها في القيام بمسنون كزيارة الأقراب أو زيارة الأصدقاء، والدعوة إلى الله، والتفكير في ملكوت السماوات والأرض، ونحو ذلك.

وقسمٌ يقضيها في سفر مباح، كسفر التزهة المباح، وطلب برودة الجو أو البحث عن علاج، ونحو ذلك.

وقسم يقضيها في تقوية نفسه بالمواد الدراسية والأنشطة الصيفية.

وقسم يقضيها في أمور مكروهه، كأن يقضيها في اللهو والعبث أو في النوم، أو يقضيها في سفرٍ من الأسفار من غير فائدة مرجوة، ولا هدفٍ منشود، مباحةً للناس، ولو أدى ذلك إلى تحمل الدين أو أدى إلى الإسراف أحياناً.

وقسم من الناس والعياذ بالله يقضون الإجازة فيما يسخط الله تعالى.

ولا شك أن قضاء الإجازة إذا كان في أمرٍ أصله مباحاً وصاحبه نيةً صالحةً أجز عليه المؤمن. فالترفيه عن النفس والأهل والأولاد مطلوب لاستعادة النشاط وتغيير الجو وكسر الروتين الممل.

والترفيه لا يجرم لكونه مجرد ترفيه، بل يجرم لما يُصاحبه من تضييع فرائض الله. أو من ارتكاب ما حرم الله. أو تضييع الأولاد ذكوراً كانوا أو إناثاً.

وقد يُنكر بعض الناس على من يُسافر سفراً مباحاً لمجرد الترويح عن النفس وربما استدّلوا بقوله ﷺ: «ليس من اللهو إلا ثلاثٌ: مُلاعبةُ الرجل امرأته، وتأديبه فرسه، ورميه بقوسه» رواه الإمام أحمد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه وصححه الألباني.

وهذا لا يدلُّ على الحصر؛ لأنه ورد غيرُ هذه الثلاث كما في رواية النسائي.

ثم إنه ثبت أن النبي ﷺ كان يُمازح أصحابه . فقد مازح ﷺ زاهراً والترمذ من خلفه وقال: من يشتري العبد.

وثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتبادحون بالبطيخ فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال. رواه البخاري في الأدب المفرد.

وتقول عائشة رضي الله عنها: فاقدروا قدرَ الجاريةِ الحديثةِ السنِّ الحريصةِ على اللهب.

واعلموا عباد الله أنه لا يكتمل النعيم إلا براحة الروح مع الجسد وقراءة القرآن وذكر الله يضيفي الراحة والطمأنينة، يقول عز وجل: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨]. وبذا ينعم جسدك وتلتذ روحك ويجتمع لك النعيمان.

كما أن وقت المسلم أمانة عنده، وهو مسؤول عنه يوم القيامة، لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» [حسنه الألباني].

أي أن العبد في ذلك الموقف العصيب، يوم القيامة، لن تزول قدماه، ولن يبرح ذلك المكان، حتى يسأل ويحاسب عن مدة عمره كيف قضاها، وعن فترة شبابه خاصة كيف أمضاها، ذلك أن الشباب هو محور القوة والحيوية والنشاط، وعليه الاعتماد في العمل أكثر من غيره من مراحل العمر الأخرى، لذا فقد خُص بالسؤال عنه مستقلاً مع أنه داخل ضمن السؤال عن العمر وذلك لأهميته.

وكان النبي ﷺ من أشد الناس حرصاً على وقته، وكان لا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى، أو فيما لا بد منه لصالح نفسه، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه يصف حال النبي ﷺ بأنه: "كان إذا أوى إلى منزله جزأ نفسه ثلاثة أجزاء، جزءاً لله وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس".

ولكن كم هو مبهج أن يرتاح الإنسان بعد كد، وأن يتنفس بعد عناء، فالترفيه البريء والترويح المباح، لا غضاضة على الإنسان فيه، بل قد يكون مطلوباً أحياناً لأغراض شرعية كالإعانة على الطاعة وتنشيط النفس بعد كسلها من عناء العمل وغير ذلك.

عن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه وكان من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لقيني أبو بكر فقال كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة قال سبحان الله ما تقول قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً. قال أبو بكر فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نافق حنظلة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة»، ثلاث مرات. رواه مسلم والترمذي واللفظ له.

فالترفيه ينبغي أن يكون في حدود ما أباح الله، والإسلام لا يحجر على المسلمين أن يروّحوا عن أنفسهم، أو يدخلوا السرور على أهلهم وأبنائهم، وأن يقوموا بالوسائل المباحة في ذلك شرعاً.

تلك الطبيعة قف بنا يا سارِ حتى أريك بديع صنع الباري
فالأرض حولك والسماء اهتزتا لروائع الآيات والآثار
عباد الله: لكن المذموم من الترفيه ما يُستغل في ما يضعف الإيمان ويهزُّ العقيدة
ويخدش الفضيلة، ويوقع في الرذيلة، ويقضي على الأخلاق والمثل.

إنَّ المسلم الحق يدرك أن الراحة لا بد أن تكون زاداً ومعيناً على أمر الآخرة ويعلم أنه ليس له راحة في هذه الدنيا حتى يطأ بقدميه الجنة، أما ما دام في هذه الدنيا، فهو في دار التكليف والعمل قال تعالى: {وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.

فالعبادة هي مهمته وهي وسام عزه وتاج شرفه وعنوان سعادته وسر وجوده قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. فحيثما كان وحلّ، وأينما وُجد وارتحل، فإنه يضع العبودية لله شعاره، وطاعته لربه دثاره.

وأمانة ذلك ثباته على دينه وعقيدته، واعتزازه بإسلامه وافتخاره بمبادئه وثوابته، لا يصدّه عن دينه زمانٌ ولا يحول بينه وبين عبوديته لربه مكان دون مكان فمحياه كله لله وأعماله جميعها لمولاه {قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

ولكن البعض طغى عليهم الانتماء السليبي، وغلب عليهم الفكر الهامشي وسيطرت التبعية على جوانب كثيرة من حياتهم، مما جعلهم أجيالاً تسيء فهم الإسلام على حقيقته، وجعل للوثات الفكر المنحرف ومظاهر السلوك المحرم رواجاً في تكوين شخصيتهم في انهزامية ظاهرة وتبعية ممقوتة وانسياق محموم ولهث مذموم خلف سراب موضات التشبه والتقليد، وبهارج العلمنة والتغريب حتى أضاعوا هويتهم الدينية، وفقدوا معالم الشخصية الإسلامية وتعلقوا بالدنيا ونسوا الآخرة ولم يستعدوا الموت ولا بعث ولا نشور.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمدُه سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

عباد الله: إن الوقت هو مادة الحياة؛ والزمن هو وعاء العمر، فالواجب استثماره في مرضاة الله، وشغله بطاعته سبحانه، فإن الإنسان مسؤول عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه.

فالمستفيدون من الوقت هم الذين أعدوا لكل يوم عمله ولكل شهر مشروعه وجعلوا من أوقات الراحة لحظات نافعة وفرصاً نحو الخير دافعة.

يقول الإمام العلامة ابن القيم رحمه الله: "السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس ثمارها، فمن كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية فثمرته حنظل، وإنما يكون الجذاذ يوم المعاد، فعند الجذاذ يتبين حلو الثمار من مرها". (الفوائد ١٦٤).

فمن أكبر علامات المقت إضاعة الوقت، فليس الوقت من ذهب كما يقولون بل هو أغلى من الذهب واللؤلؤ ومن كل جوهر نفيس أو حجر كريم، إنه الحياة والعمر، والإنسان يفتدي نفسه بكل غال ونفيس، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسُه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي" فمن أمضى يوماً من عمره في غير حقِّ قضاءه، أو فرضٍ أدّاه، أو فعل محمود حصّله، أو علم اقتبسه، فقدَّ يومه وظلم نفسه وخان عمره.

وليعلم الذين أهدروا أوقاتهم وبددوا أعمارهم في غير مرضات مولاهم أن أيام العمر قليلة، وأقل منها أيام الإجازة، وهي شاهدة لهم أو عليهم فليعمروها بالطاعات قبل أن تهدمهم بالسيئات وليتقوا يوماً يرجعون فيه إلى الله، ثم توفي كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون.

كأن المنايا قد قصدن إليك يردنك فانظر ما هن لديك
سيأتيك يوم لست فيه بمكرم بأكثر من حثو التراب عليك

عباد الله:

إن من أهم أسباب تضييع الإجازة: وقوع الكثير من الأبناء والأمهات فريسة الفراغ بسبب توقف الدراسة والمذاكرة، والفراغ نعمة من نعم الله تعالى على العبد، لحديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري.

فهو نعمة يجب استغلالها بالطاعة والعبادة، أو بالأمر بالمباحة شرعاً دون ما هو محرم، ففيما أحل الله غنية عما حرم، وقد أرشد المولى نبيه ﷺ إلى استغلال الفراغ بقوله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ}.

فمن فرغ من الفريضة فلينصب إلى النافلة ومن فرغ من الصلاة فلينصب إلى الدعاء ومن فرغ من أمر الدنيا فلينصب إلى أمر الآخرة، قال النبي ﷺ: «اغتنم خمساً قبلَ خمسٍ: شبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ» رواه الإمام أحمد والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

فإذا لم يضبط الفراغ بهذا الضابط فإنه سينقلب إلى نقمة وبلية ومفسدة للمرء وتسلط من الشيطان؛ فكم كان الفراغ سبباً في الانحراف بكل ضروبه، فهو منة ونعماء، لكن إذا استغل في معصية الله فهو نقمة وبلاء.

عباد الله: إن من أعظم ما يسأل عنه المرء أهله وولده فالرجل راع في أهل بيته ومسؤول عنهم والمرأة راعية في بيتها ومسؤلة عن رعيها فاشغل أوقاتهم بطاعة الله، وإلحاق الأبناء بالمراكز الصيفية والشرعية وتابع بجد فهم ذخيرتك يوم القيامة. أسأل الله العظيم أن يوفقنا لطاعته، وأن يجنبنا معصيته، وأن يختتم لنا بالصالحات أعمالنا وأعمارنا.

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه ، اللهم احشرونا في زمرة من وإن قصرت آمالنا وأخلاقنا عنهم. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم. اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعز فيها أولياؤك، ويذل فيها أعداؤك.

اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]،

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين والحمد لله رب العالمين.

فوائء الإجازة الصيفية

ملخص الخطبة

- ١- طلب رضا الله ومرضاته.
- ٢- ليعلم أن في ديننا فسحة.
- ٣- إدخال السرور على الأهل.
- ٤- إذهب الملل والسامة.
- ٥- تجديد النشاط، وكسر الروتين.
- ٦- السير في الأرض.
- ٧- تآلف القلوب ، واجتماع أفراد الأسرة.

فوائد الإجازة الصيفية

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله: ونحن في أيام الإجازة الصيفية وفق الله الجميع فيها لكل خير ومتعمهم فيها متاعاً حسناً أقول أيها الإخوة إن فوائد الإجازة الصيفية كثيرة فمنها:
 ١- طلب رضا الله ومرضاته: ويكون ذلك بقصد التفرغ لذكر الله وقراءة القرآن وغيرها مما أمر الله به، من زيارة الأقارب وصلة الأرحام إلى غير ذلك من المقاصد المشروعة المطلوبة.

٢- (من فوائد الإجازة) ليعلم أن في ديننا فسحة: لما ورد أن النبي ﷺ رأى الحبشة يلعبون في المسجد فكأنه علم ما في نفس عائشة من حداثة سنّها وحبها للعب، فقال لها: أتحبين أن تنظري إليهم؟ رواه النسائي في الكبرى وهو صحيح.

قالت عائشة: وكان يومَ عيدٍ يلعبُ السودانُ بالدرِّقِ والحِرابِ، فإِما سألتُ النبيَّ ﷺ وإِما قال: «تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه خدِّي على خَدِّه، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدَة. حتى إذا مللت قال: حسبك؟ قلت: نعم. قال: فاذهبي» متفق عليه.

وفي روايةٍ في الصحيحين قالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ يُسترنِي بِرِدَائِهِ، وأنا أنظرُ إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكونَ أنا الذي أسأَمُ فاقدروا قَدَرَ الجاريةِ الحديثة السنِّ الحريصة على اللهُو.

وفي روايةٍ للإمام أحمد قالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ يومئذ: «لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفة سمحة». ومن فوائد الإجازة:

٣- إدخال السرور على الأهل. لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: خرجتُ مع رسولِ الله ﷺ وأنا خفيفةُ اللحم فنزلنا منزلاً فقال لأصحابه: تقدموا. ثم قال لي: تعالي حتى أسابقك، فسابقني فسبقتُه، ثم خرَّجتُ معه في سفرٍ آخر، وقد حملتُ اللحمَ، فنزلنا منزلاً، فقال لأصحابه: تقدموا، ثم قال لي: تعالي أسابقك، فسابقني فسبقتُني، فضرب بيده كتفي وقال: هذه بتلك. رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الكبرى، وغيرهم، وهو حديث صحيح.

وقوله ﷺ: هذه بتلك. أي واحدة بواحدة!

٤- (من فوائد الإجازة) إذهاب الملل والسآمة.

لأن النفوس تملُّ من روتين الحياة، وتصدُّ القلوب كما يصدُّ الحديد.

إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدهُ
والأسدُ لولا فراقُ الغابِ ما افترست
والشمسُ لو وقفتُ في الفلكِ دائمةً
إن سآحَ طابَ وإن لمَ يجرِ لمَ يطبِ
والسهمُ لولا فراقُ القوسِ لمَ يُصبِ
لملَّها النَّاسُ من عجمٍ ومن عَرَبِ

والبدر لولا أفول منه ما نظرت إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالترب ملقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه وإن تغرب ذاك عز كالذهب

وإذا كثرت تكرار أمر ما على النفوس ملته، وإن كان مما لا يمل عادةً.

ولذا لما دخل النبي ﷺ على عائشة وعندها امرأة. فقال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها. قال: (مه! عليكم بما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا) متفق عليه

وفي رواية لمسلم، قالت عائشة: فقلت هذه الحولاء بنت تويت، وزعموا أنها لا تنام الليل. فقال رسول الله ﷺ لا تنام الليل! خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يذكر أصحابه كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن إنا نحب حديثك ونشتهيهِ، ولوددنا أنك حدثتنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم إلا كراهية أن أملكم. إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهية السامة علينا. متفق عليه.

فإذا كان هذا فيما يتعلق بذكر الله الذي هو غذاء القلوب فما بالكم بغيره؟ قال بعض الحكماء: إن لهذه القلوب تنافراً كتنافر الوحش فتألفوها بالاعتقاد في التعليم، والتوسط في التقديم، لتحسن طاعتها، ويدوم نشاطها.

وكان ابن عباس يقول لأصحابه إذا داموا في الدرس: أحمضوا. أي ميلوا إلى الفاكهة وهاتوا من أشعاركم، فإن النفس تمل.

٥- تجديد النشاط، وكسر الروتين، والتقوي على العبادة وذلك أن النفس تشعر بالارتياح بعد قضاء إجازة خاصة إذا صاحب ذلك تغيير مكان.

دخل النبي ﷺ المسجد ، فإذا جبلٌ ممدود بين الساريتين فقال: ما هذا الجبل ؟ قالوا: هذا جبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به.

فقال النبي ﷺ: لا، حُلُوهُ. لِيُصِلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فليقعد. متفق عليه.

ومن فوائد الإجازة:

٦- السير في الأرض. قال سبحانه وتعالى: (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ

فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ).

فيسير المسلم في الأرض مسير نظر واعتبار وتفكر. ويجب أن يكون وفق قواعد وضوابط:

أ - أن لا يمرّ بديار المُعذِّبين وآثارهم، فلا يدخلها بقصد الفُرجة.

ب - أن لا يكون السير ولا تكون السياحة إلى بلاد الكفار لِعِظَمِ الأخطار.

ج - أن يكون نظر تفكر واعتبار لا نُظْرُ فُرْجَةٍ وتفكّه أو نظر شماتة.

د - أن لا تُضَيِّعَ الفرائض ولا يُفَرِّطَ فيها.

نفعي الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيّد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنّه كان للأوابين غفوراً.

الخطبة الثانية

الحمدُ لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مبرّاةً من النفاق والارتياح، وأشهد أن نبينا وسيّدنا محمّداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد وعلى آله والأصحاب.

أما بعد: عباد الله، وإن من فوائد الإجازة الصيفية:

٧- تآلف القلوب، واجتماع أفراد الأسرة. فعندما ينهمك بعضُ الناس في عمله يدفعه ذلك ويحمّله على التفریط في حق أهله وأسرته، فلا يكاد يجلس معهم سوى مرة في الأسبوع أو ينسى ذلك، ولا يُعيّره اهتماماً وربما كان ذلك سبباً في ضياع بعض أفراد الأسرة.

فتأتي الإجازة لتجمع أفراد الأسرة وتؤلف بينهم، ويحتاج رب الأسرة إلى الجلوس مع أولاده بصدرٍ مشروح ونفسٍ مطمئنة بعيداً عن هموم العمل، ليسمع مشكلة هذا وهم ذاك، وتسمع الأم هم بناتها وما يُعانين منه من مُشكلات ونحوها. وهذا أمرٌ يغفل عنه كثيرٌ من الناس، فيُرجح جانب عمله على حق أسرته. وربما حملَ همَّ عمله إلى بيته فحمّله معه أفرادُ أسرته. بل ربما حمّله معه في إجازته وفي إجازة أسرته. وربما انشغل في إجازته عن أهله وولده.

وربما انشغلت بعض النساء العاملات بعمل لم يُكلّفن به خلال إجازتهن مما ينتج عنه بُعد الأم والأب أحياناً عن البيت وبالتالي يؤدي ذلك إلى تفكك الأسر. انظر أخي المسلم إلى فقه سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقد زار سلمان رضي الله عنه أخاه أبا الدرداء فما وجدته لكنه وجد أم الدرداء وهي متبذلة، فسألها عن شأنها، فقالت: أخوك أبو الدرداء ليس له بنا حاجة في الدنيا! فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كُل. قال: فأني صائم. قال: ما أنا بأكل حتى تأكل. قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم.

قال له سلمان: نَم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نَم فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نَم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قُم الآن، فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِ كل ذي حق حقه فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدق سلمان. رواه البخاري.

والذي ذَكَرَ ذلكَ للنبي ﷺ هو أبو الدرداء كأنه يشتكي سلمان.
ومعنى (متبذلة) أي لابسة ثياب البذلة وهي المهنة، أي أنها قد تركت الزينة.
وعرّضت عن إعراض زوجها عنها بقولها: أخوك أبو الدرداء ليس له بنا حاجة.
فانظر إلى فقه هذا الصحابيِّ الجليل، أعني سلمان ﷺ كيف قدّم الحقوق
والواجبات على النوافل من الصيام وقيام الليل، وما ذلك إلا لأن حقَّ الأهلِ أولى،
وهو ما أقرّه عليه الرسول ﷺ .

قال ابن حجر: وفيه جواز النهي عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يُفضي
إلى السامةِ والمللِ وتفويتِ الحقوقِ المطلوبةِ الواجبةِ أو المندوبةِ الراجحِ فعلها على
فعلِ المستحبِ المذكورِ.

ومثله قصة عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب
فكان يتعاهد كَنَّتُهُ أي زوجة ابنه، فيسألها عن بعلها، فنقول: نعم الرجل من رجل
لم يظأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كَنَفًا مذ أتيناها ! فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ
فقال: القيني به. فلقيته بعد، فقال: كيف تصوم؟ قلت: كل يوم. قال: وكيف تختم؟
قلت: كل ليلة. قال: صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر.
قال قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة. قلت: أطيق
أكثر من ذلك. قال: أفطر يومين، وصم يوما.

قال قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصوم. صوم داود صيام
يوم وإفطار يوم، وقرأ في كل سبع ليال مرّة. فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ.
متفق عليه. وفي رواية في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «ألم أخبر أنك تصوم
النهار وتقوم الليل؟» فقلت: بلى يا رسول الله. قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم
ونم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا،
وإن لزورك عليك حقًا».

وفي رواية: زوجني أبي امرأة من قريش، فلما دخلت على جعلت لا أنحاش لها مما بي من القوة على العبادة من الصوم والصلاة، فجاء عمرو بن العاص إلى كَنْتَه حتى دخل عليها، فقال لها: كيف وجدت بعلك؟

قالت: خير الرجال أو كخير البعولة من رجل لم يفتش لنا كَنَفًا، ولم يعرف لنا فراشا، فأقبل عليّ فعذلني وعضني بلسانه أي شدد علي القول، فقال: أنكحتك امرأة من قريش ذات حسب فعَضَلْتَهَا وفعلت وفعلت، ثم انطلق إلى النبي ﷺ فشكاني فأرسل إلى النبي ﷺ فأتيته - ثم ذكر الحديث. كما في المسند.

فانظر إلى شدة نكير عمرو بن العاص على ابنه الذي لا يُعطي زوجته حقوقها وإن كان مُشْتَغلاً بالعبادة.

عباد الله : الترويح عن النفس مستحب ليبقى النشاط للعبادة؛ ولكن مع عدم الإسراف في المباحات وإنما كما قال النبي ﷺ «ساعة فساعة يا حنظلة».

نسأل الله بئمه وكرمه أن يرزقنا عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء .. ومرافقة الأنبياء.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا بأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحييتنا واجعله اللهم الوارث منا ،

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين . والحمد لله رب العالمين .

النوبة

ملخص الخطبة

- ١- وجوب التوبة وحققتها.
- ٢- شروط التوبة.
- ٣- بعض المسائل المتعلقة بالتوبة.
- ٤- خطورة الجهر بالمعاصي.
- ٥- تقلب المؤمن بين الخوف والرجاء.
- ٦- أسباب أخرى لمغفرة الذنوب.
- ٧- فوائد التوبة.

التوبة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله، اتقوا الله واعلموا أن الله قد أوجب التوبة على عباده المؤمنين فقال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١] وقال أيضاً: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [التحریم: ٨] وقال سبحانه: {وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: ٣].

وقد أمر النبي ﷺ بالتوبة والاستغفار فقال: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإنني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» رواه مسلم. وفي رواية قال: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة» رواه البخاري.

فهذا رسول الله ﷺ الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة، فكيف بمن دونه من الناس؟! وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة. فالتوبة — أيها الإخوة المسلمون — واجبة على كل مسلم ومسلمة، وهي واجبة من جميع الذنوب والمعاصي بدون استثناء؛ صغيرة كانت أم كبيرة. والتوبة — عباد الله — هي الإقلاع عن الذنب من ترك واجب أو فعل محرم فهي الرجوع من معصية الله إلى طاعته سبحانه وتعالى. وكما أن لكل عمل من الأعمال شروطاً ليقبل عند الله، فإن للتوبة شروطاً كذلك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨] أي: توبة صادقة، ولتكون التوبة توبة نصوحاً كما قال تعالى وتكون مقبولة وصحيحة يجب أن يتوفر فيها شروط كما سيأتي بيان ذلك. والتوبة من الذنب على حالتين: الحالة الأولى: إذا كان الذنب بين العبد وبين ربه سبحانه؛ أي: إذا كانت المعصية بينك وبين ربك، ولا تتعلق بحق آدمي آخر، ففي هذه الحالة للتوبة ثلاثة شروط: الشرط الأول: الإقلاع عن المعصية؛ أن تقلع — أخي المسلم — عن المعصية، وأن تكف عنها، فإن كنت تاركاً لواجب وجب عليك فعله، وإن كنت فاعلاً لمحرم وجب عليك تركه. الشرط الثاني: الندم على فعلها؛ أن تشعر بالحزن على فعلك لتلك المعصية، وتتمنى أنك لم تفعلها، قال عليه الصلاة والسلام: (الندم توبة). الشرط الثالث: العزم على عدم الرجوع إلى ذلك الذنب؛ أن تعزم بإرادة قوية في قلبك أن لا تعود أبداً إلى تلك المعصية مستقبلاً. فهذه هي شروط التوبة إذا كانت المعصية بين العبد وبين ربه سبحانه وتعالى.

وأما الحالة الثانية: إذا كان الذنب بين آدمي وآدمي آخر؛ أن تكون المعصية بينك وبين عبد أو مسلم آخر، ففي هذه الحالة يجب أن يتوفر في التوبة أربعة شروط، هي الثلاثة التي ذكرناها سابقاً من إقلاع وندم وعزم على عدم العودة.

والشرط الرابع: أن يبرأ التائب من حق صاحبه؛ أي: أن تبرأ من حق صاحبك الذي اعتديت عليه، فإن كنت أخذت مالاً أو نحوه رددته إلى صاحبه، وإن كانت غيبة استحللته منها، وإن كان حد قذف أو نحوه مكنته من نفسك أو طلبت عفوه، فإن فقد أحد الشروط في تلك الحالات لم تصح التوبة.

وزاد بعض العلماء في شروط التوبة الإخلاص، أي: أن تكون توبة الرجل خالصة لله تعالى، وأن يقصد بها وجه الله رغبة في مغفرته وثوابه، وخوفاً من عذابه وعقابه، ولا تصح التوبة إذا كانت خوفاً من عصا سلطان، أو رغبة في جاه أو مال أو شيء من عرض الدنيا.

ومما لا يخفى على أحد منا أن أبواب التوبة مفتوحة لكل أحد، ولكن الذي ينبغي أن يعرفه المسلم أن هناك أوقاتاً تغلق فيها أبواب التوبة:

الوقت الأول: عند بلوغ الروح الغرغرة، فإذا بلغت الروح الحنجرة أغلقت أبواب التوبة على الإنسان، قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ} [النساء: ١٨]، وقال ﷺ: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»، أي: ما لم تبلغ روحه الحنجرة.

أما الوقت الثاني: فهو عند طلوع الشمس من مغربها، قال ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» رواه البخاري. فإذا طلعت الشمس من مغربها أغلقت أبواب التوبة على الناس جميعاً.

ومن مسائل التوبة — عباد الله — أنه قد يحدث للمسلم أن يتوب من ذنب أو معصية ما ، ثم يمرّ عليه وقت ويقع في الذنب مرة أخرى بعد توبته منه فوقوعه في الذنب لا يبطل توبته الأولى، ما دام يأتي في كل مرة بشروط التوبة.

ومن المسائل كذلك أن التوبة من بعض الذنوب دون الأخرى صحيحة على الراجح من أقوال أهل العلم، فإذا كان الإنسان تاركاً للصلاة ولا يؤدي زكاة أمواله، فتأب من تركه للصلاة وأصبح يصلي، فتوبته من ترك الصلاة صحيحة، وتبقى عليه معصية وكبيرة منع الزكاة.

وإياك — أخي المسلم — أن تحقر ذنباً من الذنوب، وتحسبه صغيراً فترك التوبة منه، فقد تحقر ذنباً وتراه عينك صغيراً وهو عند الله عظيم، والذنب الصغير مع الذنب الصغير يتراكم ويصبح كبيراً.

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وبعض الناس تسول لهم أنفسهم ارتكاب الحرام بنية التوبة، فتسهل عليهم المعصية بهذه الحيلة الباطلة، يقول: أسرق ثم أتوب، أنوي التوبة في قلبي وأسرق، أو أتعامل بالربا بنية التوبة، ثم أتوب، أو أزني بنية التوبة ثم أتوب، وهكذا، فتصبح حيلة للوقوع في المعاصي، وفي الحقيقة كل هذا تلبيس من إبليس، وكيد من مكائده لإيقاع الناس في الحرام فالمسلم لا يستعمل الحيلة مع الله تعالى؛ لأنه يدري أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والتوبة تحتاج إلى توفيق من الله، وما يدريك لعلك لا توفق إلى أسباب التوبة، ولا إلى طريقها، بعد ارتكابك للمعصية، فتصير غارقاً فيها مدمناً عليها، أما تدري أن جزاء وعقاب المعصية معصية مثلها أو أكبر منها؟! وما يدريك لعلك تموت قبل التوبة، أو أنك تموت وأنت تقترب تلك المعصية، ولن تغني عنك نيتك شيئاً، فاحذر — أخي المسلم — من هذه المكيدة الشيطانية.

ومما ينبغي على المسلم أن يعلمه أن الجهر بالمعصية أخطر من الإسرار بها، والجهر بالمعصية أعظم إثماً وأشدّ جرماً من الإسرار بها، قال ﷺ: «كل أمتي معافي إلا المجاهرين».

والمجاهرون هم الذين يجهرون بمعصية الله جهاراً نهاراً، أمام أعين الناس، لا يستحيون من الله، ولا يستحيون من الناس، فالذي يشرب الخمر أو يعصي الله بنوع من أنواع الفجور والفسوق على قارعة الطريق أمام أعين الناس أعظم إثماً عند الله من الذي يعصيه في كل هذا وهو يستر نفسه، ويستر معصيته عن أعين الناس؛ لأن الجهر بالمعصية أمام الناس فيه شيء من الاستحلال، ونوع من التحدي لله في محارمه أمام عباده.

والجهر بالمعصية من موجبات غضب الله وسخطه وعذابه والجهر بالمعصية فيه دعاية ودعوة وإشهار للحرام، ويورث في قلوب الناس الرغبة في ارتكابها؛ فيزين لهم الشيطان ارتكاب الحرام، فيكثر الفساد، ويشيع وينتشر في أوساط المسلمين، فمن ستر معصيته عن أعين الناس وستر نفسه معترفاً بذنبه ستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ووفقه للتوبة.

وأما من فضح نفسه، وأعلن وجهه بذنبه أمام الناس، كان وبال أمره خسرًا وعقابه عند الله كبيراً، ولم يكن من المعافين كما قال ﷺ في الحديث السابق.

ومن الناس من تجده قد أسرف على نفسه بكثرة الذنوب والمعاصي حتى غرق فيها ويرى نفسه أنه قد هلك بها، فيدخله القنوط واليأس من رحمة الله، وإذا تذكر التوبة قال: ذنوبي كثيرة وكبيرة وثقيلة، فأني يغفر لي؟!!

ومثل هذا نقول له: استمع قول الله التواب الرحيم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى عن يعقوب: {وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧]، وقال: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ) [الحجر: ٥٦].

فلا تقنط من رحمة ربك لكثرة ذنوبك، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون، وتب إلى الله، فأبواب التوبة مفتوحة، قال ﷺ: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٦٨-٧٠].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى من الناس من هو منهمك في معصية الله تعالى، إما أن يكون تاركًا لواجبات أو مرتكبًا لمحرّمات، أو قد خلط بين الأمرين، وإذا ذكرته بالله وقدمت له النصيحة وقلت له: يا أخي، تب إلى الله، دع عنك هذا الأمر الخبيث، يقول لك بكل ارتياح وطمأنينة: ربي غفور رحيم.

فنقول: نعم صدقت، إن الله غفور رحيم، قال تعالى: {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الحجر: ٤٩]، ولكن بعد ذلك: {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر: ٥٠].

نعم ربنا غفور رحيم، ولكنه سبحانه في نفس الوقت شديد العقاب وعذابه أليم، غفور رحيم لمن اعترف بذنبه، وتاب وآمن وعمل صالحًا، وشديد العقاب لمن تكبر على الله تعالى، وأصر على ذنبه، وتهاون في الرجوع والتوبة، فلا يجوز للمسلم أن يتكل على رحمة الله وهو متمادٍ في العصيان.

وقد كان من تمام منهج الأنبياء والصالحين عبادة الله بين الخوف والرجاء، الخوف من عذابه وسخطه، والرجاء لرحمته وثوابه فلا يؤخذ بالرجاء ويهمل الخوف، أو العكس، بل يؤخذ بهما معاً.

فإذا رأيت من نفسك — أخي المسلم — قنوطاً ويأساً استحضر رحمة الله، وإذا رأيت من نفسك تقصيراً وميلاً للعصيان استحضر خوف الله، وهكذا يعيش المسلم بين الخوف والرجاء، وهكذا كان دأب الأنبياء والمؤمنين الصالحين الأولين، حتى امتدحهم الله في كتابه فقال: {تَتَحَفَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [السجدة: ١٦] أي: خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون فاستغفروه يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

عباد الله اتقوا الله فتلكم وصية الله إلينا حيث يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

عباد الله : يقول النبي ﷺ: «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون» فلا أحد معصوم عن الخطأ والمعصية، وكلنا نخطئ وكلنا نذنب، ونقع في العصيان،

والمعصوم من عصمه الله تعالى، ولكن الذنب الأكبر في عدم التوبة والاستغفار، قال ﷺ: «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون، يغفر لهم» رواه مسلم، ومعنى الحديث أي: لولا أننا — معشر البشر — نذنب ونستغفر، لذهب الله بنا، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم، لأن الله يحب أن يغفر لعباده، ويجب من عباده أن يكونوا توابين، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]، ولم يقل: التائبين بل قال: التَّوَّابِينَ على صيغة المبالغة التي تدل على كثرة تكرار التوبة لله تعالى.

عباد الله، إن مما يمحو الله به المعاصي و الذنوب التوبة النصوح، وزيادة على هذا فقد جعل الله برحمته أسباباً لمغفرة الذنوب والمعاصي، ومن أعظم هذه الأسباب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، قال تعالى في الحديث القدسي: «ومن لقيني بقرب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة» رواه مسلم.

ومن موجبات المغفرة كذلك إفشاء السلام وحسن الكلام، لما روى الطبراني بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «إن موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام». ومن الأسباب كذلك التي يمحو الله بها الخطايا والذنوب: الصلاة والأعمال الصالحة، قال تعالى: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرْفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤].

ففعلك للحسنات — أخي المسلم — يذهب السيئات ويمحوها، وقد قال ﷺ: «وأَتبع السيئة الحسنة تمحها»، وقد ثبت في السنة الصحيحة أن الوضوء والصلاة والتسبيح بعدها والعمرة والحج وصيام رمضان وصلاة الجمعة وكل أعمال البر من فعل الخيرات والطاعات مما يحط الله بها الخطايا، ويمحو بها السيئات، أيها المسلمون، إن للتوبة والاستغفار فوائد عظيمة، تعود على المسلم التواب المستغفر بالخير في الدنيا والآخرة ؛ فإن التوبة توجب محبة الله تعالى، قال سبحانه:

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]. والتوبة توجب الفلاح، قال عز وجل: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١]. والتوبة والاستغفار يدفعان عذاب الله عنا قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]. فلا يتزل عذاب الله على عباد الله إن هم لازموا التوبة والاستغفار.

ومن الفوائد كذلك أن الاستغفار يبسط الرزق ويكثره، ويأتي بالمال والبنين، حتى كان بعض السلف إذا أراد الولد جدد توبته لله ولازم الاستغفار، قال تعالى عن نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا} [نوح: ١٠-١٢]. نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا للتوبة النصوح، وأن يجعلنا من التوابين المستغفرين.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين. والحمد لله رب العالمين.

ففى اسنقبال رمضان

ملخص الخطبة

- ١- أمانى الأنفس قبل رمضان.
- ٢- من فضائل رمضان.
- ٣- من ثمرات الصيام.
- ٤- أصناف الناس فى استقبال شهر رمضان.
- ٥- ما ينبغي أن نكون عليه فى رمضان.
- ٦- رمضان فرصة حقيقية للتغيير.

في استقبال رمضان

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} أما بعد:

عباد الله: لطالما حدثنا أنفسنا باغتنام فرصة رمضان، ولكم مَنِينًاها بصلاحها فيه، ولطالما عاهدنا أنفسنا قبل دخوله بتوبة صادقةٍ ودمعةٍ حارةٍ ونفسٍ متشوقةٍ، ولكن كلما أتى قضى الشيطانُ على الأمنية، وغدرت النفسُ الأمارةُ بالسوء بعهدتها، فتابت ورجعت إلى الله أيامًا، ثم عادت لسالف عهدتها.

وها نحن يطالعنا شهرٌ وموسمٌ من الخير جديد، فأَيُّ رمضانٍ يكونُ رمضانُك هذه المرة؟! هل هو رمضانُ المسوِّفِ الكسالى أم رمضانُ المسارعين المجددين؟! هل هو رمضانُ التوبة، أم رمضانُ الشقوة؟! هل هو شهرُ النعمة، أم شهرُ النِّقمة؟! هل هو شهرُ الصيام والقيام أم شهرُ الموائد والأفلام والهيام؟

ها هو هلال رمضان قد حلَّ، ووجهه سَعْدِهِ قد طلَّ، رمضان هلَّ هلاله، وخيِّمت ظلاله وسَطَّعَ جماله، لقد أظلَّنَّا موسمَ كريمِ الفضائل عظيمِ الهبات والنوائل

جليل الفوائد والمكارم. أيام وليالي رمضان نفحات الخير ونسائم الرحمة والرضوان، فما ألدّها من أيام معطرّة بالذكر والطاعة، وما أجملها من ليالٍ منوّرةٍ بابتهالات الراغبين وحنين التائبين.

رمضان المنحة الربّانية والهبة الإلهية، قال تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

شهرٌ يفوقُ على الشهورِ بليّةٍ
من ألفِ شهرٍ فضّلتُ تفضيلاً
طوبى لعبدٍ صحَّ فيه صيامه
ودعا المهيمنَ بكرةً وأصيلاً
وبليّله قد قامَ يختمَ ورده
مُتبتِّلاً لإلهه تبتيلاً
رمضان أشرفُ الشهور، وأيامه أحلى الأيام، يعاتبُ الصالحونَ رمضانَ على قلة الزيارة وطول الغياب، فيأتي بعد شوقٍ ويفدُ بعد فراق، فيجيبه لسانُ الحال قائلاً:

أهلاً وسهلاً بالصيام
يا حبيباً زارنا في كل عام
قد لقيناك بحبٍّ مفعمٍ
كلُّ حُبٍّ في سوى المولى حرام
فاقبلِ اللهمَّ ربي صومنا
ثم زدنا من عطاياك الجسام
لا تُعاقبنا فقد عاقبنا
قلقُ أسهرنا جنحَ الظلام
أخي الحبيب، إن رمضانَ فرصةٌ من فرصِ الآخرة التي تحملُ في طياتها غفرانَ الذنوب، وكم تمر بنا الفرص ونحن لا نشعر. هذه فرصة تحملُ سعادةَ الإنسان الأبدية، فأين المبادرون؟ وأين المسارعون؟!

إن الصيام هو المدرسة التي يتعلمُ منها المسلمون، ويتهدبُ فيها العابدون ويتحنّثُ فيها المتنسِّكون.

إنه شهر البركات والرحمات، فرمضان شهر الطاعة والقربى والبر والإحسان والمغفرة والرحمة والرضوان والعتق من النيران.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة، وُغُلقت أبواب جهنم، وسُلسلت الشياطين»، وقال ﷺ: «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفدت الشياطين ومردّة الجن، وُغُلقت أبواب النيران فلم يُفتح منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، يا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة» رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي وحسنه الألباني.

الصيام يُصلح النفوس، ويدفع إلى اكتساب المحامد والبعد عن المفاسد، به تُغفر الذنوب، وتُكفر السيئات، وتزداد الحسنات، يقول المصطفى ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

نعم يا عبد الله، رمضان سبب لتكفير الذنوب والسيئات إلا الكبائر، قال ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفّرات لما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر» رواه مسلم، وقال ﷺ: «فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة» متفق عليه.

رمضان فيه إجابة الدعوات وإقالة العثرات، قال ﷺ: «لكل مسلم دعوة مستجابة يدعو بها في رمضان»، ويقول ﷺ: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم» رواه أحمد.

هذه هي فرصة رمضان، وتلك هي نعمة رمضان، فماذا أنت فاعل؟! وماذا أنت صانع!؟

أتى رمضان مزرعة العباد	لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولاً وفعلاً	وزادك فاتخذهُ للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها	تأوه نادماً يوم الحصاد

إن شهراً بهذه الصفات وتلك الفضائل والمكرمات لحريّ بالاهتمام، فهل هيأت نفسك — أخي المسلم — لاستقباله وروضتها على اغتنامه؟!
 عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، افترض الله عليكم صيامه، يُفْتَحُ فيه أبوابُ الجنة، ويُعَلَقُ فيه أبوابُ الجحيم، وتُغَلُّ فيه الشياطين، فيه ليلةٌ خير من ألف شهر، مَنْ حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ» رواه أحمدُ والنسائيُّ وصحَّحه الألباني.

لقد كان الرسولُ يبشِّرُ أصحابه بقدوم رمضان وإتيانه، كُلُّ ذلك شَحْذًا للهيم وإذكاءً للعزائم وتهيئةً للنفوس، حتى تُحسِنَ التعامل مع فرصة رمضان، وحتى لا تفوتها، وهذا شأن السلف الصالح رحمهم الله تعالى، قال مُعَلَّى بنُ الفضلِ عن السلف: "إنهم كانوا يدعون الله جلَّ وعلا ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أخرى أن يتقبله منهم"، وقال يحيى بن كثيرٍ رحمه الله كان من دعائهم: "اللهم سلِّمني إلى رمضان، وسلِّم لي رمضان، وتسلِّمَ مني فتقبله".

أيها الأحبة في الله، قدوم رمضان تلو رمضان يدل على تعاقب الأيام، فالأيام تمضي، والسنون تجري، وكلُّ إلى داع الموت سيصغي:

تَمَرَّ بنا الأيامُ تَتَرَى وإِنَّمَا نُسَاقُ إلى الآجالِ والعينُ تنظُرُ
 فلا عائدُ ذاك الشبابُ الذي مَضَى ولا زائلُ هذا المَشِيبُ المُكَدَّرُ

عباد الله، ها هو شهر العزة والكرامة، شهر الجهاد والنصر، شهر الجدية والعزيمة، ها هو قد أتى، فهل آن للأمة أن تنفضَ عنها غبارَ التبعية؟! هل آن لها أن ترفعَ عن نفسها أسباب الذلة والهوان؟!
 لقد زارنا رمضان مرات عديدة، فما زارنا في مرة إلا وجدنا أسوأ من العام الذي قبله؛ أُممٌ مُتَنَاطِرَةٌ، وقلوبٌ مُتَنَافِرَةٌ، ودولٌ مُتَقَاطِعَةٌ، وأحزابٌ مُتصارِعةٌ، وفتنٌ مُحَدِّقَةٌ، وشهواتٌ مُفَرِّقَةٌ، الأمة بحروبها ومجاعاتها وأمراضها مركعة.

رمضان أتى بخيراته وبركاته، فكيف حال الناس؟! بل كيف حال الأمة الإسلامية؟ رمضان آتٍ والأمة تُمِيدُ بها الأرض جرّاء تسلّط الأعداء على ديارها، الأرض المباركة تعاني الذلة والهوان. رمضان آتٍ والأمة لا زالت تغالب الصليب في أفغانستان والعراق، واليهود في فلسطين، والإلحاد والشيعوية في الشيشان، وتقاسي الأمرين وهي توصم ظلمًا وزورًا بالغلو والتطرّف والإرهاب.

رمضان آتٍ — يا عبد الله — فما استعدادك؟! وما مراسم استقبالك له؟! فالناس في استقباله أقسام، فهل أنت — يا أخي — من القسم الفرح بقدمه؛ لأنه يزداد به قُرْبَى وزُلْفَى إلى ربه جل وعلا، وهذا شأن المؤمنين كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» [يونس: ٥٧، ٥٨]

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل في كل ليلة، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المُرسلة» متفق عليه.

وهناك صنف ثانٍ — وأعيذك بالله من حاله — لا يعرف ربه إلا في رمضان فلا يصلي ولا يقرأ القرآن إلا في رمضان، وهذه توبة زائفةٌ ومخادعةٌ وتَسْوِيلٌ من الشيطان، وبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان.

ويا حسرة على أقوام تُعَسَاءُ يستقبلونه بالضجر والتضايق والخرج، على أنه شهر جوع نهاري وشبع ليلي. إن بعض العصاة يرونه مانعًا لهم من شهواتهم ومن مآربهم الباطلة، فهم كالدئاب في الليل تُعْوِي، وكالجيف في النهار تُخُور كما يَخُور الثور. ويا عجبًا هل يُتَأَفَف من شهر الرضوان والرحمة؟! لا والله.

إن الواحد من هؤلاء -هداهم الله- يُحس بالحرمان من الشهوات، ولذلك

تراهم إذا قدم رمضان غير فرحين بقدمه؛ لأنهم يريدون أن يعترفوا من اللذة المحرمة، حتى لقد قال بعض الثعساء كما ذكره الحافظ ابن رجب في الوظائف: أن رجلاً قال:

دعاني شهر الصوم لا كان من شهرٍ ولا صُمتُ شهرًا بعده آخر الدهرِ
فلو كان يُعديني الأنامُ بقوةٍ على الشهر لاستعديتُ قومي على الشهرِ
والذي حصل لهذا الرجل أن ابتلاه الله بمرض الصرع، فكان يُصرعُ في اليوم مراتٍ
وكراتٍ، وما زال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر، نسأل الله تعالى
حسن الختام.

أيها المسلمون: إن من نعم الله تعالى علينا أن مدّ في أعمارنا، ومدّ في
أنفاسنا، وجعلنا ندرك خيرات هذا الشهر العظيم، فاحمدوا الله — عباد الله — أن
بلغكم، واشكروه على أن أحرّكم إليه ومكنكم، فكم من طامعٍ بلوغ هذا الشهر
فما بلغه، وكم من مؤمّل إدراكه فما أدركه، فاجأه الموت فأهلكه.

أيها المسلمون: بلغناه، وكم حبيب لنا فقدناه، أدركناه وكم قريب لنا
أضجعناه، صُمناه وكم عزيز علينا دفناه.

يا ذا الذي ما كفاه الذنبُ في رجب حتى عصى ربّه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تصيره أيضاً شهر عَصِيانٍ
واتل القرآن وسبّح فيه مجتهداً فإنه شهر تسبيح وقرآنٍ
كم كنت تعرف ممن صام في سلفٍ من بين أهل وإخوان وجيرانٍ
أفناهم الموتُ واستبقاك بعدهم حياً فما أقرب القاصي من الداني

يا عباد الله، هل يأتي عليكم رمضان وأنتم في قوةٍ وعافيةٍ؟! فكم من إنسان
صام رمضان الفاتت في عافيةٍ وصحةٍ وقوةٍ فيأتي عليه رمضان القابل وهو قعيدٌ

الفراش أسيرُ المرضِ؟ هل يأتي عليك رمضان وأنت في أمن وأمان على نفسك وأهلك ومالك؟!!

رمضان شهر الشعور بإخوانك المسلمين، هل شعرت بإخوانك في أقاصي الأرض ومغارها؟! لا بد للمسلم الصائم أن يشعر بآلام المسلمين، وأن يستشعر حال إخوانه في كل مكان، فإذا جاع تذكر أن آلاف البطون جوعى تنتظر لقمةً، فهل من مُطعم؟!!

وهو إذا عطش تذكر أن آلاف الأكباد عطشى تنتظر قطرةً من الماء، فهل من ساق؟! وهو إذا لبس تذكر أن آلاف الأجساد قد لحقها العري، فهل من كاس؟! يشعر بنعمة الله جلا وعلا عليه أن أعطاه السحور والإفطار وغيره محروم، أن ألبسه وغيره عار، فالحمد لله على نعمائه.

رمضان شهر العبادة، هل اتخذت منه فرصة لتربية نفسك على العبادة؟! فالصيام يربينا على العبادة، فلئن كان المسلم يعبد ربه جل وعلا في سائر شهوره وأيامه إلا أنه يأخذ في رمضان دورةً عباديةً يزيد فيها من جرعات الطاعة ونكّهات الإيمان والإخلاص، حتى يقوى على ما تبقى من الشهور، ويجعل هذه الفرصة مُنطلقاً إلى فعل الخيرات، تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره" أخرجهم مسلم.

وليالي رمضان تاج ليالي العام، ودُجّها ثمينة بظلمائها، فيها تصفو الأوقات وتحلو المناجاة، يقول النبي ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه. فعلى المسلم أن يحرص على أداء صلاة التراويح، وأن يكملها مع الإمام حتى ينصرف، قال ﷺ: «من قام مع إمامه حتى ينصرف كُتب له قيام ليلة» رواه أهل السنن وهو صحيح.

فله الحمد، يقومُ المصلي ساعةً من الليل مع الإمام فكأنما قام الليل كله.

ولا ننس أيها الإخوة الاهتمام بالفرائض أولاً، والمواظبة عليها في المساجد جماعة، فالله عز وجل يحب التقرب إليه بالفرائض، ثم تهتم بالنوافل والمستحبات. رمضان شهر النفحات والبركات، فلماذا لا نقوم رمضان؟! لماذا لا نجرب لذة القرآن، ولذة المناجاة والدعاء؟! لماذا لا نجرب وقت الأسحار وهجيع الليل؟! لماذا لا ننطرح بين يدي مولانا؟! فربنا يتزل في ثلث الليل الأخير نزولاً يليق بجلاله وعظمته يعرض نفحاته ورحماته، فلماذا لا نتعرض لرحمات الله؟

قم في الدُّجَى واتلُّ الكتابَ ولا تنم
 إلا كنومة حائرٍ ولَهانٍ
 فلربما تأتي المنية بغتةً
 فتساقُ من فرشٍ إلى أكفانٍ
 يا حبذا عينانٍ في غسقِ الدُّجَى
 من خشية الرحمن باكيتانٍ
 فالله يتزلُّ كلَّ آخر ليلةٍ
 لسماؤه الدنيا بلا نُكرانٍ
 فيقولُ هل من سائلٍ فأجيبه
 فأنا القريبُ أجيبُ من ناداني
 بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات
 والذكر الحكيم أقول ما تسمعون فاستغفروه يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

عباد الله: إن شهر رمضان شهر التقوى، هل درّينا نفوسنا ووطنّاها على هجر المعاصي؟ فرمضان فرصة لترك الذنوب، فالمعنى السامي للصيام أنه يجمع بين التقوى الحسية والتقوى المعنوية، فمن أحلّ بواحدةٍ منهما فما استكمل الصيام، ولذا قال

جل وعلا: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ١٨٣]. يؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري.

فيا أهل اللهو والعبث، ويا أهل البرامج والمسلسلات والمسابقات، نبيكم ﷺ يقول: «ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث..» رواه ابن حبان وصححه الألباني، هذا هو الصيام، فإذا تحقق فيه ذلك كان جنةً من المعاصي.

إن الصيام الذي لا يمنعك من النظر إلى الحرام والسب والشتم والتلاحي والخصام والغيبة والنميمة والقييل والقال والولوغ في الأعراض فليس بصيام، إنما الصيام من اللغو والرفث، إذا تحقق هذا كان جنةً من المعاصي، وبالتالي جنةً ووقايةً من النار، قال ﷺ: «الصيام جنةٌ يَسْتَجِنُ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ» رواه أحمد وحسنه الألباني،

وقال أيضاً: «الصيام جنةٌ، فإذا كان يومٌ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل، فإن سابه أحدٌ فليقل: إني صائم» رواه الشيخان.

وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ» رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وقال الصحابيُّ الجليلُ جابرُ بنُ عبد الله: «إِذَا صَمْتَ فَلْيَصْمِمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَلِسَانَكَ عَنِ الْكُذْبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ عَنْكَ أَذَى الْجَارِ وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَلَا يَكُنْ يَوْمٌ صَوْمِكَ وَيَوْمٌ فَطْرِكَ سِوَاءً».

ويقول الإمام أحمد رحمه الله: "ينبغي للصائم أن يتعاهد صومه من لسانه، ولا يماري في كلامه، كانوا إذا صاموا قعدوا في المساجد وقالوا: نحفظُ صومنا، ولا نغتابُ أحدًا".

إذا لم يكن في السمع مني تصاؤنٌ وفي بصري غضٌّ وفي منطقي صمتٌ
فحظي إذا من صومي الجوعُ والظماُ فإن قلتُ إني صمتُ يومي فما صمتُ

أيها الأحبة، كان سلف الأمة يستعدون لرمضان بهمم عالية وعزائم قوية وإرادات ماضية؛ ليغتنموا رمضان في طاعة الله، ليجعلوه منطلقاً للخيرات ومنطلقاً إلى التوبة وإصلاح النفس والحال، ومع ذلك فإننا نجد عجباً من بعض الناس، يستعدون لرمضان، ولكن بما يُفسد على الناس صومهم، ويهدم أخلاقهم، ويعددهم عن تحسس واستشعار معاني الصيام والقيام، فيستعدون باللهو والعبث، وبما يفسد حرمة هذا الشهر الكريم، يستعدون لنا بالمسرحيات وبالمسلسلات وبالأفلام التي وإن لم تكن هابطة أو خالعة أو عارية — كما يقولون — فلا تعدو عن كونها مُبعدةً للناس عن صومهم وقيامهم وعبادتهم.

إنها مسلسلات جعلت هدفها الاستهزاء بسنة سيد المرسلين والسخرية بعباد الله الصالحين ومحاربة ثوابت الدين، فمرةً يغمزون... وتارةً يحتجون... أما ظهور الفاتنات من النساء فحدث ولا حرج.

يسبون دين الله في شهر صومهم فعن دينهم صاموا وبالكفر أظفروا
وبعض المفتونين يدير "الريموت" على أجساد العرايا، ففي الليلة الواحدة يدور الواحد منهم على العالم شرقاً وغرباً، يفسد صيامه بالنظر الحرام، وباللهو الحرام، وبالفعل الحرام.

إنني أقول لمن ابتلوا بهذه القنوات أو بتضييع الأوقات فيما لا يفيد ولا ينفع: لماذا لا تفكر أن تبدل السيئة بالحسنة؟! لماذا لا نجعل هذا الشهر الكريم بداية لأن نهجر هذه القاذورات، سيِّما ونفوسنا مهياة للخيرات؟!!

رمضان شهر التوبة، صعد رسول الله ﷺ المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين» فقليل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين! فقال: «إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهرَ رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين قلت: آمين» أخرجه ابنُ خزيمة وابنُ حبان وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

يا عبد الله، هذا أوان الجدد إن كنت مجددًا، هذا زمان التعبّد إن كنت مستعدًّا، هذا نسيم القبول هبّ، هذا سيل الخير صبّ، هذا الشيطان كبّ، هذا باب الخير مفتوح لمن أحبّ، هذا زمان الإياب، هذا مغتسلٌ بارد وشراب، رحمة من الكريم الوهاب، فأسرعوا بالمتاب، قبل إغلاق الباب.

ها هو موسم التوبة والإنابة، فباب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح، فمتى يتوب من أسرف في الخطايا وأكثر من المعاصي إن لم يتب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يعد في شهر الرحمة والغفران؟! فبادر بالعودة إلى الله، واطرق بابَه، وأكثر من استغفاره، واغتنم زمن الأرباح، فأيام المواسم معدودة، وأوقات الفضائل مشهودة، فلا تضيّعها باللهو واللعب وما لا فائدة فيه.

جعل الله صيامنا صيامًا حقيقيًا مقبولًا، وجعله إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بما عنده، واحتسابًا لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه ويقومونه إيمانًا واحتسابًا، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائمين.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

أهمفة النوبة فف رمضان

ملخص الخطفة

- ١- النقص والخطأ من طفبعة البشر.
- ٢- كتابة الله تعالى للفسنات والسفئات.
- ٣- كثرة سبل الخفر. وسد طرق الشر.
- ٤- التوبة هف جماع الخفر و
- ٥- حقفقة التوبة.
- ٦- فضل التوبة ووجوبها على كل مسلم.
- ٧- سعة رحمة الله تعالى وشدة فرحه بتوبة عبده.
- ٨- التوبة من صفات النبفن وعباد الله الصالحفن.
- ٩- شروط التوبة وحاجة المسلمفن الماسة إليها.
- ١٠- الاعفبار بقصص التائففن.
- ١١- أهمفة نعمة الأمن وسبل الحفظا عليها.

أهمية التوبة

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله: اعلّموا أن ربكم خلق بني آدم معرضاً للخطيئات، ومعرضاً للتقصير في الواجبات، فضعف له الحسنات، ولم يضاعف عليه السيئات، قال الله تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [الأنعام: ١٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب الحسنات والسيئات، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، فإن عملها كتبها الله عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، فإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، فإن عملها كتبها الله عنده سيئة واحدة» رواه البخاري.

فشرع الله لكسب الحسنات طرُقًا للخيرات وفرائض مكفّراتٍ للسيئات رافعةً للدّرجات، قال ﷺ: «الصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ ورمضانُ إلى رمضان مكفّراتٍ لما بينهنّ إذا اجتنب الكبائر» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلةً أعلاها مَنِيحَةُ العَتْرِ، ما مِن عاملٍ يعملُ بخصلةٍ منها رجاءً ثوابها وتصدق مَوَعِدِها إلاّ أدخله الله بها الجنّة» رواه البخاري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الإيمان بضعٌ وسبعون — أو بضعٌ وستون — شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضل؟ قال: «الإيمانُ بالله والجهاد في سبيله»، قلتُ: أيُّ الرّقاب أفضل؟ قال: «أنفسُها عند أهلها وأكثرُها ثمنًا»، قلتُ: فإن لم أفعل؟! قال: «تُعِين صانعًا أو تصنع لأحرق»، قلت: يا رسول الله، أرايت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟! قال: «تكفُّ شرك عن الناس، فإنّها صدقةٌ منك على نفسك» متفق عليه، وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحقرنّ من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق» رواه مسلم،

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها» رواه مسلم.

وكما شرع الله كثرة أبواب الخير وأسباب الحسنات سدّ أبواب الشرِّ والمحرمات، وحرّم وسائل المعاصي والسيئات، ليثقل ميزان البرِّ والخير ويخفّ ميزان الإثم والشرِّ، فيكون العبد من الفائزين المفلحين، قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» [الأعراف: ٣٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم» رواه البخاري ومسلم.

وجماع الخير وملاك الأمر وسبب السعادة التوبة إلى الله تعالى، قال عز وجل: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣١].

ومعنى التوبة هي الرجوع إلى الله والإنابة إليه من فعل المحرم والإثم أو من ترك واجب أو تقصير فيه ، بصدق قلب وندم على ما كان.

والتوبة النصوح يحفظ الله بها الأعمال الصالحة التي فعلها العبد، ويكفر الله تبارك وتعالى بها المعاصي التي وقعت، ويدفع الله بها العقوبات النازلة والآتية، قال الله تعالى: { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَٰذَابَ الۡحِزْبِ فِي الۡحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ } [يونس: ٩٨]. روى ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية عن قتادة قال: "لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين حضرها العذاب فتركت إلا قوم يونس، لما فقدوا نبيهم وظنوا أن العذاب قد دنا منهم قذف الله في قلوبهم التوبة، ولبسوا المسوح، وأهلوا بين كل بهيمة وولدها — أي: فرقوا بينهما — ثم عرجوا إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله الصدق من قلوبهم والتوبة والندامة على ما مضى منهم كشف الله عنهم العذاب بعد أن تدلّى عليهم".

وقال تعالى: [وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ] [هود: ٣].

والتوبة واجبة على كل أحد من المسلمين، فالواقع في كبيرة تجب عليه التوبة لئلا يبعثه الموت وهو على معصية، فيندم حين لا ينفع الندم والواقع في صغيرة تجب عليه التوبة لأن الإصرار على الصغيرة يكون من كبائر الذنوب، والمؤدّي

للواجباتِ التاركُ للمحرّماتِ تجب عليه التّوبة أيضاً لما يلحق العمل من الشّروط وانتفاء موانع قبوله، وما يُخشى على العمل من الشّوائب المحذّر منها كالرياء، لما ورد عن الأغرّ بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يا أيّها النّاس، توبوا إلى الله واستغفروه، فإنّي أتوب إليه في اليوم مائة مرّة) رواه مسلم.

والتّوبة بابٌ عظيم تتحقّق به الحسنات الكبيرة العظيمة التي يحبّها الله لأنّ العبد إذا أحدث لكلّ ذنب يقع فيه توبةً كثرت حسناته ونقصت سيئاته، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٦٨-٧٠].

أيّها المسلمون، تذكّروا سعة رحمة الله وعظيم فضله وحلمه وجوده وكرمه، حيث قبل توبة التائبين، وأقال عشرة المذنبين، ورحم ضعف هذا الإنسان المسكين، وأثابه على التّوبة، وفتح له أبواب الطّهارة والخيرات، عن أبي موسى الأشعريّ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إنّ الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء الليل» رواه مسلم.

والتّوبة من أعظم العبادات وأحبّها إلى الله تعالى، من اتّصف بها تحقّق فلاحه وظهر في الأمور نجاحه، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ} [القصص: ٦٧].

وكفى بفضل التّوبة شرفاً فرح الرّبّ بها فرحاً شديداً، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة} رواه البخاري ومسلم.

والتوبة من صفات النبيين عليهم الصلاة والسلام ومن صفات المؤمنين، قال الله تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١١٧].

وقال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: {قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى عن داود عليه الصلاة والسلام: {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ١٧]

وقال عز وجل: {الَّذِينَ الْعَبَدُونَ أَلْحَمِدُونَ أَلْسِنَتُهُمْ يَرْكَعُونَ أَلْسِنَةً أَلْحَمِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة: ١١٢]. ألا ما أجلّ صفة التوبة التي بدأ الله بها هذه الصفات المثلى من صفات الإيمان.

والتوبة عبادة لله بالجوارح والقلب، واليوم الذي يتوب الله فيه على العبد خير أيام العمر، والساعة التي يفتح الله فيها لعبده باب التوبة ويرحمه بها هي أفضل ساعات في الدهر؛ لأنه قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، عن كعب بن مالك رضي الله عنه في قصة توبة الله عليه في تخلفه عن غزوة تبوك أنه قال: فلما سلمت على رسول الله قال وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشّر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك» رواه البخاري ومسلم.

معشر المسلمين، إنها تُحيطُ بكم أخطارٌ عظيمة، وتندركم خطوبٌ جسيمة، وقد نزل من أعداء الإسلام بالمسلمين نوازلٌ وزلازل، وأصابتهم الفتن والمحن، وإنه لا مخرج لهم من هذه المضايق وهذه الكربات إلا بالتوبة إلى الله والإنابة إليه، فالتوبة واجبة على كل مسلم على وجه الأرض من الذنوب صغارها وكبارها؛ ليرحمنا الله في الدنيا والآخرة، ويكشف الشرور والكربات، ويقينا عذابه الأليم.

قال أهل العلم: إذا كانت المعصية بين العبد وبين ربه لا حق لآدمي فيها فشرطها أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فلا بدّ مع هذه الشروط أن يؤدّي إليه حقّه أو يستحلّه منه بالعفو.

والتوبة من جميع الذنوب واجبة، وإن تاب من بعض الذنوب صحّت توبته من ذلك الذنب، وبقي عليه ما لم يتب منه.

فتوبوا إلى الله أيها المسلمون، وأقبلوا إلى ربّ كريم، أسبغ عليكم نعمه الظاهرة والباطنة، وآتاكم من كلّ ما سألتموه، ومدّ في آجالكم، وتذكروا قصص التائبين المنيبين الذين منّ الله عليهم بالتوبة النصوح بعد أن غرقوا في بحار الشهوات والشبهات، فأنجّلت غشاوة بصائرهم، وحييت قلوبهم، واستنارت نفوسهم، وأيقظهم الله من موت الغفلة، وبصرهم من عمى الغي وظلمات المعاصي، وأسعدهم من شقاء الموبقات، فصاروا مولودين من جديد، مستبشرين بنعمة من الله وفضل {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} [آل عمران: ١٧٤].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من النفاق والارتياب، وأشهد أن نبينا وسيّدنا محمّداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد وعلى آله والأصحاب. أمّا بعد:

فاتّقوا الله تعالى وأطيعوه، فإنّ طاعته أقوم وأقوى، وتزوّدوا بهذه التّقوى لداركم الآخري، فإنّها دار القرار، نعيمها أبديّ، وعذابها سرمديّ، واشكروا نعم الله عليكم بطلب رضوانه وملازمة طاعته والبعد عن معصيته.

وأعظم النعم نعمة الإسلام والإيمان، وما أجلّ نعمة الأمن والأمان. الأمنُ تنتظم به مصالح الدّنيا والدّين، وتصلح به الحياة في جميع جوانبها وتندفع بوجوده الشّرور والمخاوف عن النّاس، وتدرّ معه الخيرات، وقد امتنّ الله به على أهل بيته العتيق في قوله: «أولمّ تمكّن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كلّ شيء رزقاً من لدننا ولكنّ أكثرهم لا يعلمون» [القصص: ٥٧].

وبين النبيّ قدر نعمة الأمن وفضلها بقوله: «من أصبح منكم آمناً في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنّما حيزت له الدّنيا بحذافيرها» رواه الترمذي.

وشكّر هذه النعمة بالمحافظة على أسبابها والحذر من أسباب اختلالها. ومن أسباب المحافظة على الأمن: التوبة إلى الله و الأخذ على يد العابثين من السّفهاء والفسّاق والمجرمين الذين يهدمون ولا يبنون ويفسدون ولا يصلحون، قد زين لهم الشيطان صنيعهم، ودفعهم إلى مزالق المعاصي.

فيتسببون في نزول عذاب الله على العباد، كما قال النبي ﷺ لما سئل أهلك وفينا الصالحون قال: «نعم إذا كثر الخبث» رواه مسلم.

كما أن رمضان شهر التوبة فمن لم يتب في رمضان فمتى يتوب، فقد صعد رسول الله ﷺ المنبر ذات يوم فقال: (آمين، آمين، آمين) فقيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين! فقال: (إن جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهرَ رمضان فلم يُغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين) أخرجه ابنُ خزيمة وابنُ حبان وانظر صحيح الترغيب والترهيب.

يا عبد الله ، هذا أوان الجد إن كنت مجدًّا، هذا زمان التعبّد إن كنت مستعدًّا، هذا نسيم القبول هبّ، هذا سيل الخير صبّ، هذا الشيطان كبّ هذا باب الخير مفتوح لمن أحبّ، هذا زمان الإياب، هذا مغتسلٌ بارد وشراب، رحمة من الكريم الوهاب، فأسرعوا بالمتاب، قبل إغلاق الباب.

ها هو موسم التوبة والإنابة، فباب التوبة مفتوح، وعطاء ربك ممنوح فمتى يتوب من أسرف في الخطايا وأكثر من المعاصي إن لم يتب في شهر رمضان؟! ومتى يعود إن لم يعد في شهر الرحمة والغفران؟! فبادر بالعودة إلى الله، واطرق بابَه، وأكثر من استغفاره، واغتنم زمنَ الأرباح فأيام المواسم معدودة، وأوقات الفضائل مشهودة ، فلا تضيّعها باللهو واللعب وما لا فائدة فيه.

فإنكم لا تدرون متى ترجعون إلى الله، وهل تدركون رمضان الآخر أو لا تدركونه. وإن اللبيب العاقل من نظر في حاله ، وفكّر في عيوبه، وأصلح نفسه قبل أن يفجأه الموت ، فينقطع عمله ، وينتقل إلى دار البرزخ، ثم إلى دار الحساب.

جعل الله صيامنا صيامًا حقيقيًّا مقبولًا، وجعله إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بما عنده واحتسابًا لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه

ويقومونه إيمانًا واحتسابًا، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائميين.

عبادَ الله، إنَّ الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال عزّ من قائل: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦]،

وقد قال ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاةً واحدةً صَلَّى الله عليه بها عشرًا». فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأوّلين والآخريين وإمام المرسلين. اللهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا. اللهم وارضَ عن الصّحابة أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين واجعلنا معهم بمنك ولطفك يا أرحم الرّحمين.

..

بعض خصائص رمضان

ملخص الخطبة

- ١- تكفير السيئات.
- ٢- شهر القيام.
- ٣- تُفتح فيه أبواب الجنة.
- ٤- تُغلق فيه أبواب النار.
- ٥- شهر القرآن.

بعض خصائص رمضان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} . {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} . {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} .

أما بعد:

قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} .

إن شهر رمضان أيها الأحبة، له في قلوب المسلمين معانٍ خاصة؛ لأن الله تعالى ميزه عن باقي الشهور بعدة خصائص وميزه بعدة سمات، فهذه بعضها:
أولاً: رمضان شهر تكفير السيئات:

فقد أنعم الكريم سبحانه على الأمة بتمام إحسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه وجعل شهرها هذا مخصوصاً بعميم غفرانه . فيا أيها الأحبة، أيام رمضان أيام محو ذنوبكم فاستغيثوا إلى مولاكم من عيوبكم، هي أيام الإنابة، فيها تفتح أبواب الإجابة ، فأين اللائذ بالجناب، أين المتعرض بالباب، أين الباكي على ما جنا، أين المستغفر لأمر قد دنا.

كم من منقول في هذه الليلة من ديوان الأحياء، عن قريب يفاجأ بالممات، وهو مقيم على السيئات. ألا ربّ غافل عن تدبير أمره قد انفصمت عُرى عمره، ألا ربّ معرض عن سبيل رشده، قد آن أوان شق لحده، ألا ربّ رافل في ثوب شبابه قد أزف فراقه لأحبابه، ألا ربّ مقيم على جهله، قد قرب رحيله عن أهله ألا ربّ مشغول بجمع ماله، قد حانت خيبة آماله، ألا ربّ ساع في جمع حطامه قد دنا تشتت عظامه. أين المعتذر مما جناه فقد اطلع عليه مولاه، أين الباكي على تقصيره قبل تحسره في مصيره.

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل فقال يا محمد: من أدرك شهر رمضان فمات ولم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله، قل آمين فقلت آمين».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر».

يا من كان يجول في المعاصي قبل رمضان، ها قد أعطاك الله الفرصة، لا تكن كمن زاد عمره زاد إثمه.

فيا أيها الغافل، اعرف نفسك، وانتبه لوقتك، يا متلوثاً بالزلل، اغسل بالتوبة أدرانك، يا مكتوباً عليه كل قبيح، تصفح ديوانك.

لو قيل لأهل القبور تمّنوا، لتمنوا يوماً من رمضان. وأنت كلما خرجت من ذنب دخلت في آخر، أما تنفك العبر؟ أصمّ السمع أم عُشى البصر؟ آن الرحيل وأنت على خطر، وعند الممات يأتيك الخير.

قال بعضهم: "السنة شجرة، والشهور فروعها، والأيام أغصانها والساعات أوراقها، وأنفاس العباد ثمراتها، فشهر رجب أيام توريقها وشعبان أيام تفريعها، ورمضان أيام قطفها، والمؤمنون قُطّافها".

يا من قد ذهبت عنه هذه الأشهر، وما تغير، أقولها لك صريحة: أحسن الله عزاءك.

أنا العبد الذي كسب الذنوبا	وصدته الأمانى أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا	على زلاته قلقاً كثيراً
أنا العبد المسئ عصيت سراً	فمالي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري	فلم أراع الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بلج بحر	أصيح لربما ألقى مجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا	وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا الغدار كم عاهدت عهداً	وكنت على الوفاء به كذوبا
فيا أسفي على عمر تقضى	ولم أكسب به إلا الذنوبا
ويا حزنه من حشري ونشري	بيوم يجعل الولدان شيبا
ويا خجله من قبح اكتسابي	إذا ما أبدت الصحف العيوبا
ويا حذره من نار تلظى	إذا زفرت أقلقنت القلوبا
فيا من مدّ في كسب الخطايا	خطاه أما آن الأوان لأن تتوبا

ثانياً: رمضان شهر التراويح، شهر التهجد والمصايح:

عجباً لأوقاته ما أشرفها، ولساعاته التي كالجواهر ما أظرفها، طوبى لعبد صام نهاره وقام أسحاره. إليك يا أخي الحبيب بعض فوائد صلاة التراويح: منها أن قيام رمضان من الإيمان ومغفرة لسالف الذنوب قال رسول الله ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

ومنها أن مصليها يستحق اسم الصديقين والشهداء، وهذا من فيض الكريم سبحانه وتعالى. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس وأديت الزكاة وصمت رمضان وقمته فممن أنا؟ قال: «من الصديقين والشهداء» رواه البزار وهو صحيح.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا دخل أول ليلة من رمضان يصلي المغرب ثم يقول: "أما بعد، فإن هذا الشهر كتب عليكم صيامه ولم يكتب عليكم قيامه فمن استطاع منكم أن يقوم فليقم، فإنها نوافل الخير التي قال الله".

ومن فوائد وبركات صلاة التراويح أن من قام مع إمامه كتب له قيام ليلة. لحديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام الليلة» صحيح. تصلي مع الإمام حتى ينصرف وتتصبر هذه الدقائق يكتب لك قيام ليلة كاملة.

فأقبل يا عبد الله على صلاة التراويح يُقبل الله عليك وانظر إلى سلفك من الصحابة، عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبي بن كعب وتميماً الداري رضي الله عنهما أن يقوموا بالناس بإحدى عشرة ركعة، قال وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر خشية أن يفوتنا الفلاح - أي السحور -.

وما صلاح الأجساد إلا بانتصابها لربها، في القيام والتراويح، وهو شفاء من أمراض الأجساد والقلوب ورفعة للدرجات عند علام الغيوب وهذا طريق الصالحين من قبلنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير السيئات، ومطرودة للداء عن الجسد» حديث صحيح رواه الترمذي وغيره.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور، صوموا يوماً شديداً حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير».

وقل ساعدي يا نفسُ بالصبر ساعةً فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلاً
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي ويصبح ذا الأحزان فرحان جاذلاً

ثالثاً: رمضان شهر فتح أبواب الجنان: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصدفت الشياطين» رواه البخاري ومسلم.

إن فتح أبواب الجنة في رمضان حقيقة، لا تحتاج إلى تأويل، وهذه نعمة عظيمة ومنة كريمة من الله، يتفضل بها على عباده في هذا الشهر. إنها الجنة التي اشتاق إليها الصاحون من هذه الأمة، فسلوا عنها جعفر الطيار وعمير بن الحمام وحرام بن ملحان وأنس بن النضر وعامر بن أبي فهيرة، وعمرو بن الجموح وعبد الله بن رواحة.

نعم إنها الجنة التي فتحت أبوابها هذه الأيام ولكن يا عجباً لها كيف نام طالبها، وكيف لم يدفع مهرها في رمضان خاطبها، وكيف يطيب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها، إنها الجنة، دار الموقنين بوعد الله المتعهدين في ليالي رمضان، الصائمين نهاره، المطعمين لعباد الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، قالوا لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام».

إن نبي الله موسى عليه السلام خدم العبد الصالح عشر سنوات، مهراً لزواجه من ابنته. فكم تخدم أنت مولاك لأجل بنات الجنان الحور الحسان.

إن مفاتيح الجنة مع أصحاب الليل، وهم حراسها، فيا قرّة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الله في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة قال الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقره﴾.

منازلك الأولى وفيها المخيم

نعود إلى أوطاننا ونسلم

فحي على جنات عدن فإنها

ولكننا سبى العدو فهل ترى

فله أبحار ترى الله جهرة
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة
أجئتنا عطفاً علينا فإننا
بنا ظمماً والمورد العذب أنتم
فلا الحزن يغشاها ولا هي تسأم
أمن بعدها يسلو المحب المتيم

رابعاً: رمضان شهر غلق أبواب النيران: قال الله تعالى: {إن جهنم كانت مرصاداً، للطاغين مآباً}. وقال رسول الله ﷺ: «وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: رأيت الجنة والنار».

النار التي رآها رسول الله ﷺ يحطم بعضها بعضاً، والتي قال عنها ﷺ لما رآها، لم أر منظرًا كالיום قط أفضع من النار.

هذه النار هي مخلوقة الآن، موجودة الآن، إنها معدة، فإياك ثم إياك أن تكون من وقودها.

لقد أخبرت بأن النار مورد الجميع، {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً}.

فأنت من الورود على يقين، لكنك من النجاة في شك. استشعر يا أخي في قلبك هول ذلك المورد، فعساك أن تستعد للنجاة منه، تأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا، فبينما هم في كربها وأهوالها ينتظرون حقيقة أبنائها، وتشفيح شفعتها، إذ أحاطت بالجرمين ظلمات ذات شعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق البريء من سوء المنقلب، وخرج المنادي من الزبانية قائلاً: أين فلان بن فلان، المسوّف نفسه في الدنيا بطول الأمل المضيع عمره في سوء العمل، فيبادرونه بمقارع من حديد،

ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، ثم ينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له: «ذق إنك أنت العزيز الكريم».

فأسكنوا داراً ضيقة الأرجاء مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير طعام أهلها الزقوم، وشراهم الحميم، ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم، أمانهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدَّت أقدامهم إلى النواصي، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي، ينادون من أكنافها، ويصيحون في نواحيها وأطرافها، يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد نضجت منا الجلود، يا مالك أخرجنا منها فإننا لا نعود، فتقول الزبانية: هيهات لات حين أمان، ولا خروج لكم من دار الهوان.

يا عبد الله: إن القضية جد، إنه لقول فصل، وما هو بالهزل، نار غمُّ قرارها، مظلمة أقطارها، حامية قدورها، فظيعة أمورها، عقابها عميم عذابها أليم، بلاؤها شديد، وقعرها بعيد، سلاسل وأغلال، مقامع وأنكال زمانهم ليل حالك، وضحيجهم ضحيج هالك، يصطرخون فيها فلا يجيبهم مالك، ومقامع الحديد تمشم جباههم، ويتفجر الصديد من أفواههم، وينقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الحدود أحداقهم ولهب النار سار في بواطن أعضائهم، وحيات الهاوية وعقاربها تأخذ بأشفارهم.

نعوذ بالله أن نكون من قوم لباسهم نار، ومهادهم نار، لُحْفٌ من نار ومساكن من نار، وهم والعياذ بالله في شر دار.

قلوبهم شدة أفسى من الحجر	فيها غلاظ شداد من ملائكة
وكل كسر لديهم غير منجبر	لهم مقامع للتعذيب مرصدة
دهماء محرقة لواحة البشر	سوداء مظلمة شعثناء موحشة
فالموت شهوتهم من شدة الضجر	يا ويلهم تحرق النيران أعظمهم

ضحوا وصاحوا زمانا ليس ينفعهم
دعاء داع ولا تسليم مصطبر
وكل يوم لهم في طول مدتهم
نزع شديد من التعذيب في سقر
فيا أخي الكريم، إذا كانت النار بهذه المثابة بل أشد، فإني أسألك أيها العاقل
أليست فرصة أن تغلق أبوابها هذه الأيام فإن لم تنتهز الفرصة الآن، فمتى يكون؟
فيا عجباً ندري بنار وجنة
وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
إذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا
فماذا بقي فينا من الخير يذكر
وليس لحر صابرين ولا بلى
فكيف على النيران يا قوم نصبر

بسم الله الرحمن الرحيم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ائْتِمْنَا بِمَا نُرَدُّنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)
[التحریم: ٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا،
وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدّر المقادير، فما شاء الله
كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب.
أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مبرّاة من النفاق والارتياب.

وأشهد أن نبينا وسيّدنا محمّداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمّد وعلى آله والأصحاب.
أمّا بعد:

فاتّقوا الله تعالى وأطيعوه، فإنّ طاعته أقوم وأقوى، وتزوّدوا بهذه التّقوى لداركم الأخرى، فإنّها دار القرار، نعيمها أبديّ، وعذابها سرمديّ، واشكروا نعم الله عليكم بطلب رضوانه وملازمة طاعته والبعّد عن معصيته.

خامساً: أنه شهر القرآن، بل هو شهر الكتب السماوية كلها. فعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضت من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشرة مضت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشر خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان» حسن رواه الطبراني وأحمد.

أما القرآن خاصة فيقول الله جل وتعالى: «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

إن للصيام علاقة خاصة بالقرآن، فإذا علم هذا فلعله يتضح سرّ إقبال الناس على القرآن في رمضان قراءةً وحفظاً واستماعاً دون بقية الطاعات والقربات.

قال ابن رجب: كان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها. وقال أيضاً: وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان قال: إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام.

وقال ابن الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفرّ من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم.

وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

فنسأل الله أن يجعل صيامنا صياماً حقيقياً مقبولاً، وجعله إيماناً واحتساباً إيماناً بما عنده، واحتساباً لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائمين.

عباد الله، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، فقال عزّ من قائل: {إِنَّ أَلَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦]، وقد قال ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشرًا». فصلّوا وسلّموا على سيّد الأوّلين والآخريين وإمام المرسلين.

اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلّم تسليمًا كثيرًا.

اللهم ألحقنا بنبيك ﷺ وآله وأصحابه، اللهم احشرونا في زمرةمهم وإن قصرت آماننا وأخلاقنا عنهم. ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعزّ فيها أولياؤك، ويذلّ فيها أعداؤك. اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.



رمح الصيام



ملخص الخطبة

- ١ - حقية الصيام.
- ٢ - فضل الصيام.
- ٣ - مقصد التقوى فى الصوم.
- ٤ - صرعى الفضائيات فى هذا الشهر الكرىم.
- ٥ - هدى النبىؐ فى رمضان.
- ٦ - الحث على الإنفاق والجرود.
- ٧ - رمضان شهر الانتصارات.

روح الصيام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فيا عبادَ الله، خيرُ ما استكنَّ في الجنانِ وثرَّ به اللسانِ الوصية بتقوى المولى الرحيم الرحمن، فاتَّقوا الله في السرِّ والعلن وأصلحوا من أنفسكم ما ظهر وما بطن. أيها المسلمون: إن أممتنا الإسلامية تُنيخ مطاياها بين يدي شهرٍ عظيمٍ وضيئٍ مبجلٍ كريم، بالخيراتِ جَمِيم، وبالفضائلِ عَمِيم، قد غمرَ الكونَ بضِيائه، وعمرَ القلوب المعنَّاة بحبه ببهائه وسنائه، شهرٍ جرَّت بالطاعات أنهاره، وتفتَّقت عن أكام الخير والبر أزهاره، واستمع المسلمون في لهفٍ وشوقٍ لمقاصده وأسراره تفيضُ أيامه بالقرباتِ والسرور، وتنيرُ ليليه بالآياتِ المتلواتِ والنور، موسمٌ باركه الرحمن وخلده القرآن: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» [البقرة: ١٨٥].

معاشرَ المسلمين: شهر رمضان المبارك الذي نجتني فيه أزهى أيام العمر بالتقرب إلى المولى جلّ في علاه والتنافس في عبادته هو موسمٌ مليء بالطاعات، متدفقٌ بالزكاءِ والتبلى، مكتنزٌ بالقوة والفضل، يعطي الروح لذتها البهية. إخوة الإيمان، إن الشارع الحكيم لم يقف عند مظاهر الصوم وصوره من تحريم تناول المباحات والطيبات فحسب، بل حرم كل ما ينافي مقاصد الصيام وغاياته السامية، وكل ما يخذل حركه الروحية والخلقية. ولا جرم، فقد أحاطه بسياج منيع من عفة اللسان والجوارح وطهر النفوس وصفائها ورغبتها إلى ربها وبارئها، ففي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يسخب، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم».

وفي زجر شديد يقول ﷺ فيما أخرجه البخاري وغيره: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه». عباد الله: إن للصيام الحقيقي فوائد شتى ومنافع جمة لما بنيت عليه الكمالات والفضائل من الصبر والورع والعفة والحياء والجود والعطاء وإشراق الروح وكسر شهوة النفس أفعمت أعطاف الصائم بالسمو والإعزاز وخص بالخطوة لدى الباري جلّ وعلا، كما يقول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى: «ولخلوف الصائم أطيب عند الله من ريح المسك». وإن امتنان المنان على عباده الصائمين والاحتفاء بعبادتهم الشريفة هذه فيقول في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به».

الله أكبر فإلى ما تطمحن — عباد الله — من خير عميمٍ ونعيمٍ مقيمٍ من رب رحيمٍ ومولّى حليمٍ كريم.

ناهيكم — يا إخوة الإيمان — بالفرح الوارف والغبطة اللذين يستوليان على الصائم إبان فطره أن وفقه الله لحسن الصيام في هذه الحياة ويوم القيام للملك العلام، وتلك البشرى مزفوفة في قوله عليه الصلاة والسلام: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» خرجه البخاري ومسلم.

أمة الإسلام: إن من أوضح المقاصد والمآلات التي قصدها الشارع من الصيام هي التقوى وهي صفة راسخة في الصائمين، تضيء ذروبهم وتندّي بالبصيرة قلوبهم، أعظم بها من ركن قوي، هي في الدنيا بريد السعادة، وفي الآخرة رائد الحسنى وزيادة، جاء ذلك مشرقاً في ختام آية الصيام في قوله سبحانه: «لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ١٨٣].

تلك حقيقة لا نراها غائبة عن أهل رضوان الله وطالبي مغفرته وهداه، الذين اتخذوا رمضان لقلوبهم ربيعاً، وعن الآثام سدّاً منيعاً، وللأنس بالله وسيلةً وشفيعاً، فيا سعداهم، الرحمة بهم قد حفت، والألطف الربانية بهم رقت ملؤا الأوقات بالأذكار والضراعات وصعدوا سامق الدرجات بكتاب الله وبلذيد المناجاة.

معاشر الصائمين، ذلكم شأن شهر رمضان، خير مغنم ومكتر للحسنات وتكفير السيئات، ولكن مع شديد الأسى والأسف ضلّ أقوام عن مسالك الرشد في هذه الأيام الغرّ المباركة، فصاموا عن الطعام والشراب، وما صاموا عن فضائيات الخلاعة والمجون ومشاهدة فنون الفتون ومجالس الغيبة والنميمة والبهتان ومنتديات الشائعات والطعون والاتهامات عبر وسائل الاتصال الحديثة التي تعدّ أقوى مقراض لفري الأعراس، لا سيما أعراض العلماء والدعاة وأهل الفضل والخير والصّلاح.

حصن صيامك بالسكوت عن الحنا أطبق على عينيك بالأجفان
لقد هتكوا حجاب الفضيلة هتكاً، وسفكوا حرمة شهر القرآن سفكاً.

ومن المخزيات القواصم التي أفضت من الغيور المضجع وفضت منه المدمع أن كثيراً من الناس يشاهدون تلك الشبكات والقنوات الخليعة دون ارعواء أو خجل، وا حسرتاه أين آثارُ الصيام؟! وا خجلتاه أين أنوارُ القيام؟! لقد ارتكسوا في المآثم والمهالك، وأحالوا الليالي العرَّ حوالك.

وأقوامٌ لا يجعلون التصون والفضيلة ملاكهم قد عجلوا هلاكهم.

فَعَفُوا يا رمضان، فَمَع كَوْنِ الشياطين تصفد فيك إلا أن بعض القنوات لا تجد رواجاً لها إلا في غرِّ لياليك، في سباقٍ محموم وطرحٍ مسموم لا يليق بزمانٍ فاضل وأمةٍ واعية.

فُرْحَمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ، أما يكفي واعظا ويُعني رادعاً قوله سبحانه: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقِضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا} [النحل: ٩٢]!؟

فَأَنَّى وكيف ومتى يستفيق هؤلاء من رقدتهم وينهضون من كبوتهم وهذا شهرُ النَّفْحَاتِ والهداياتِ والفتوحاتِ بين أيدينا ، وفنأم لا يزالون في غفلاتهم ساهين وعن مجدِ أممتهم لاهين.

فإلى المُمَكِّنِينَ من تلك القنوات والشبكات يوجّه النداءُ الحارَّ أن اتقوا الله اتقوا الله واخشوه في هذه الأمة أمة الصيام والقيام ، فلها في جديد مآسيها ما تحتاج معه إلى من يواسيها. فيا شديد الطول والإنعام إليك نشكو محنة الإسلام وهنا لفتة للمربين والمربيات والآباء والأمهات أن يتقوا الله في أسرهم ومن تحت أيديهم، فِيرَبُّوهم وَيُؤَدِّبُوهم، فكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته كما صحَّ بذلك الخبرُ عن سيِّد البشرِ ﷺ من حديثِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما.

كما أن هنا همسةٌ للأختِ المسلمة في رمضان بأن تجعل منه فرصةً للتوبة والإنابة والمحاسبة والمراجعة والتزام مسلك العفاف والحشمة والحجاب والحياء ومجانبة مسالك التبرُّج والسفور والاختلاط المحرم .

إخوتي الصائمين والصائمات {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١] يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "وكان هديّه فيه عليه الصلاة والسلام أكمل هدي وأعظمه تحصيلاً للمقصود وأسهله على النفوس"، وكان من هديه في رمضان الإكثار من العبادة.

أمّة الصيام والقيام، وإن من كمال هديه ﷺ في رمضان البذل والإنفاق، قال الإمام الماوردي رحمه الله: "منح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب، كيف لا وهو القائل عليه الصلاة والسلام بأبي هو وأمي: «أنفق بلائاً، ولا تخش من ذي العرش إقللاً»".

وما الإنفاق والإحسان في هذا الشهر المبارك الميمون للمعوزين والمعسرين والمدنين إلا دليل حب شفيف وإيمان مزهر رهيف يحمل النفس على المشاعر الرقيقة الحانية، فتسري في الأمة الإسلامية كالريح الرخاء، فتبدل في نداوة ورحاء. فمدوا أيديكم — رعاكم الله — لإخوانكم بالعطاء تحوزوا مرضاة رب الأرض والسماء.

أيها الأحبة — إنا إذ نقرع باب الودّ والعطف ونشرع قناة الحب واللفظ لنقول: شأهت وجوه الشائنين على الأعمال الخيرية والإغاثية التي يفوح شذاها في هذه الأرض المباركة، ولستم — يا بغاء الخير والمعروف — الذين تُضعف هممكم وعزائمكم الأراجيف والافتراءات والأكاذيب والمثبطات، ولا ينافي هذا ضبط الموارد والمصارف وترشيدها.

وإننا لنحمد الله عز وجل أن الجهات الموثوقة كثيرة والمؤسسات الأمنية عديدة، فلا تمسك يا محب الخير لعلك عن النار تُذاد بمن الله وكرمه. ولعله غير خاف على شريف علمكم — رعاكم الله — ما تعرض له إخواننا في العقيدة من جرّاء العدوان والكوارث والزلازل والحوادث، وآخرون من

ضراوة المعاة والمسعة وضنك العيش وشظفه، مما يعد من الفواجم المخرنة وما يتطلب يد العون والمساعدة ورفع أكف الضراعة بالدعاء لهم شعوراً بالواجب الإسلامى تجاه إخواننا المسلمين المنكوبين فى كل مكان ومسارة فى التنفيس عن كرتهم لا سيما فى هذا الشهر المبارك.

ويجدر التذكير فى هذا الشهر الكرم بفريضة الزكاة؛ فهى قرينة الصلاة فى كتاب الله، فأدوها طيبة بها نفوسكم.

رمضان — يا إخوة الإسلام — فرصة لوحدة الأمة على الكتاب والسنة بمنهج سلف الأمة وتربية الشباب والأجيال على المنهج الربانى والتجافى عن مسالك الغلو والجفاء وصراعات العولمة الثقافية والفكر التفرى أو التفرى المنحرف وإعلاء شعيرة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، {يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده} [الحج: ٧٧، ٧٨].

بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم، ونفنى وإياكم بما فىه من الآيات والذكر الحكيم، ونفنا بهدى سيد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولى هذا، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العزيز الغفور، العلى الشكور، أجزل للصائمين الأجور، وحباهم بالتقى والسرور، جل ثناؤه جعل الصيام جنة دون رماح الفجور. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو بها الفوز يوم النشور، وأشهد أن نبىنا محمداً عبد الله ورسوله خير من جاهد فى الله حتى اندحر

الكفر خاسئاً في ثبورٍ وعمِّ الحقِّ الأرجاء والتَّورُّ، صَلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وصَحْبِهِ الهداةِ البدورِ، وسلِّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وزكّوا أعمالكم وأقوالكم في شهر القرآن بالصدق والإخلاص، واغتنموا أوقاته الشريفة قبل أن يؤخذ بالتواص، ولات حين مناص. معاشر الإخوة الأحبة في الله، ها هي العشر الأولى عشر الرحمة من شهرنا قد تفصت وفارقتنا، ودلفت علينا عشر المغفرة وعانقتنا.

فيا بغاة الخير ألا فجدُّوا وأنبوا وبغاة الشرِّ ألا فأقصروا وتوبوا وأضمروا حُسنَ الفالِ وجليلَ الفعالِ وبادروا بالأخذِ بأسبابِ المغفرةِ والجدِّ في المحاسبة، فها هو الشهرُ الكريمُ كادَ أن ينتصفَ وكثيرٌ منا من نفسه لم ينتصفِ.

تنصَّفَ الشهرُ ولهفاه وانصرماً واختصَّ بالفوزِ بالجناتِ من خدماً وليكن منا بحسبانٍ رعاكم الله أنا في هذا الشهرِ الكريمِ الميمونِ نجدد عهدَ الولاءِ لله والوفاءِ لدينه والافتداءِ برسوله ومُصطفاه على حالٍ نرجو بها نصرَ الله وتأبيده. وإنا في هذه العشرِ المباركة لنستروح نوافح أيامِ الانتصاراتِ والفتوحِ والظَّفَرِ والبطولاتِ، حيث وقعت معركةُ بدرِ الكبرى في السابعِ عشرَ من رمضان، حسمت بين حياتين في تاريخِ البشريَّة، يومَ الفرقانِ يومَ التقى الجمعان: جمعُ الإيمانِ وهم قلة، وجمعُ الكفرِ الصِّلفِ وهم كثرة.

خرج المؤمنون بسلاحِ الإيمانِ واليقينِ ودُروعِ الصِّبرِ والعقيدةِ ومراكبِ الصِّبرِ والدَّعواتِ المعطرةِ بخلوفِ الصيامِ والرَّسولِ ﷺ قائم يدعو ربَّه في إلحاحٍ وإنابة: «اللَّهُمَّ آتِنِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ قَهَلْتُكَ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تَعْبُدْ فِي الْأَرْضِ أَبَدًا». وقضى الحكيمُ الخبيرُ سبحانه يُبشِرُ النَّصْرَ الْمُؤَزَّرَ: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» [القمر: ٤٥].

وانهزمَ حِزب الشيطان في ذلّة وصغار بعد العتوّ والاستكبار، وانزاح ظلام الشرك والضلال عن النور المنبجس من أفئدة المؤمنين الصائمين ، وارتفع الحقُّ شامخاً إلى الآفاق ، واستقام بهذا النصر العظيم التاريخ، وطلع بدرٌ يوم بدر عن دينٍ خالص زين الدنيا بالحق والعدل والأمن والسلام ، وطبق الأرض بالرحمة والخير للبشريّة جمعاء.

وإنّه لحريٌّ بنا — معاشر المؤمنين — والمحنُ قد برّحتنا وأثختتنا في بقاع كثيرة — لا سيما في مسرى سيّد الثقلين وأولى القبلتين في فلسطين المجاهدة وكذا في بلاد الرافدين وسوريا — أن نستلهم العبر والعظات وننتزع القوة والعزة من هذه الأوقات المباركات، {وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨].
فلا مكان لليأس، ولا مجال للإحباط، بل جدّ وإيجابية وإخلاص وفاعلية وليكن ملء بُرودكم أن لنا في كلِّ يومٍ بدرًا أخرى مع الشّهوات والملذّات وتيارات الأهواء الفكرية والشبهات.
ألا فلتبادروا بالأعمال الصالحات في هذا الزمان الشريف وهذا الوقت المنيف لعلكم تفلحون.

هذا وصلّوا وسلموا — رحمكم الله — على النبيّ المحبّي والرسول المصطفى والحبیب المرتضى ، سيّد الأنام ، خير من صلّى وصام وتهجد لله وقام ، كما أمركم بذلك المولى الملك العلام، فقال تعالى قولاً كريماً: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب: ٥٦].
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيّد الأولين والآخرين ورحمة الله للعالمين نبينا محمّد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين... اللهم تقبل صيامنا وقيامنا واعتق رقابنا وأصلح أحوالنا وانصر إخواننا بمنك وكرمك يا قوي يا متين والحمد لله رب العالمين.

رمضان و القرآن

ملخص الخطبة:

- ١- نبوة النبي ﷺ في رمضان وهو في الغار.
- ٢- تنزلات القرآن الكريم.
- ٣- حال النبي ﷺ مع القرآن في رمضان.
- ٤- حال السلف مع القرآن في رمضان.
- ٥- أيهما أفضل الإكثار من التلاوة أم الاقتصاد مع التدبر.
- ٦- اختصاص رمضان بالقرآن دون سائر الشهور.

رمضان والقرآن

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد :

عباد الله: في ليلة السابع عشر من رمضان والنبى ﷺ في الأربعين من عمره أذن الله عز وجل للنور أن يتزل، فإذا جبريل عليه السلام أخذ بالنبى ﷺ يقول له: اقرأ! فقال النبى ﷺ: «ما أنا بقارئ»، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} [العلق: ١-٣]. فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده» [البخاري: ٣].

وهكذا نزلت أول آية من هذا الكتاب العظيم على النبى الرؤوف الرحيم في هذا الشهر العظيم.

وهكذا شهدت أيامه المباركة اتصال الأرض بالسماء، وتزل الوحي بالنور والضياء فأشرقت الأرض بنور ربها وانقشعت ظلمات الجاهلية الجهلاء .

ومن قبل ذلك شهد هذا الشهر الكريم نزولاً آخر، إنه نزول القرآن جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، وكان ذلك في ليلة القدر {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]. {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ} [الدخان: ٢].

قال ابن عباس: "أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة" رواه النسائي والحاكم. وقال ابن جرير: "نزل القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان ثم أنزل إلى محمد ﷺ على ما أراد الله إنزاله إليه".

إنها تلك "الليلة الموعودة التي سجلها الوجود كله في فرح وغبطة وانبهار ليلة الاتصال بين الأرض والملا الأعلى، ليلة ذلك الحدث العظيم الذي لم تشهد الأرض مثله في عظمته وفي آثاره في حياة البشرية جميعاً.

والنصوص القرآنية التي تذكر هذا الحدث تكاد ترف وتير بل هي تفيض بالنور الهادي الساري الرائق الودود نور الله المشرق في قرآنه {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: ١]. ونور الملائكة والروح وهم في غدوهم ورواحهم {تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا} [القدر: ٤]. ونور الفجر {سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ٥]. [في ظلال القرآن].

"وأي نعمة أعظم من نعمة نزول القرآن؟ نعمة لا يسعها حمد البشر فحمد الله نفسه على هذه النعمة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا} [الكهف: ١].

أي رفعة للعمر يرفعها هذا التزليل؟ إنها منة الله على الإنسان في هذه الأرض المنة التي ولد الإنسان معها ميلاداً جديداً ونشأ بها الإنسان نشأة جديدة، المنة التي

التقطت البشرية من سفح الجاهلية لترقى بها في الطريق الصاعدة إلى القمة السامقة على المنهج الرباني الفريد" [الظلال].

وهكذا إذن، شهد شهر رمضان هذا النزول الفريد لكتاب الله، ومن يومذاك ارتبط القرآن بشهر رمضان {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥]. ومن يوم ذاك أصبح شهر رمضان هو شهر القرآن.

عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الرياح المرسله» [البخاري مسلم].

نعم السمير كتاب الله إن له	حلاوة هي أحلى من جنى الضرب
به فنون المعاني قد جمعن فما	تفتر من عجب إلا إلى عجب
أمر ونهي وأمثال وموعظة	وحكمة أودعت في أفصح الكتب
لطائف يجتنيها كل ذي أدب	وحكمة أودعت في أفصح الكتب

قال ابن رجب: دل الحديث على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك، وعرض القرآن على من هو أحفظ له.

وفيه دليل على استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان، وفي حديث فاطمة عليها السلام عن أبيها أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وأنه عارضه في عام وفاته مرتين. متفق عليه.

قال رحمه الله: وفي حديث ابن عباس أن المدارس بينه وبين جبريل كانت ليلاً مما يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً} [المزمل: ٦]. [لطائف المعارف].

وقد كان للسلف رحمهم الله اجتهاد عجيب في قراءة القرآن في رمضان بل لم يكونوا يشتغلون فيه بغيره.

وكان الزهري إذا دخل رمضان يقول: إنما هو قراءة القرآن وإطعام الطعام. وقال ابن الحكم: كان مالك إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم. وقال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن.

وقال سفيان: كان زبيد الياامي إذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع إليه أصحابه.

وكان لهم مجاهدات من كثرة الختمات رواها الأئمة الثقات الأثبات رحمهم الله.

فقد كان الأسود يختم القرآن في رمضان كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان كل ست ليال. وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع ليال مرة، فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة. وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر منه خاصة، وفي بقية الشهر في ثلاث. وقال ربيع بن سليمان: كان محمد بن إدريس الشافعي يختم في شهر رمضان ستين ختمة ما منها شيء إلا في صلاة.

وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الرجوي يختم كل يوم. وروى ابن أبي داود بسند صحيح أن مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل.

وكان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان. قال مالك: ولقد أخبرني من كان يصلي إلى جنب عمر بن حسين في رمضان قال: كنت أسمعه يستفتح القرآن في كل ليلة. [البيهقي في الشعب].

قال النووي: وأما الذي يختتم القرآن في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان، وتميم الداري، وسعيد بن جبيرة ختمة في كل ركعة في الكعبة. [التبيان: ٤٨].

قال الذهبي: قد روي من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختتم القرآن في كل يوم وليلة مرة، ولما حضرته الوفاة بكت أخته فقال: ما يبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة. [سير أعلام النبلاء].

قال القاسم عن أبيه الحافظ ابن عساكر: كان يختتم كل جمعة ويختتم في رمضان كل يوم. [سير أعلام النبلاء]. فإن قلت أي أفضل؟ أن يكثر الإنسان التلاوة أم يقللها مع التدبر والتفكير؟

قال النووي رحمه الله: والاختيار أن ذلك يختلف بالأشخاص فمن كان من أهل الهم وتدقيق الفكر استحب له أن يقتصر على القدر الذي لا يختل به المقصود من التدبر واستخراج المعاني وكذا من كان له شغل بالعلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة يستحب له أن يقتصر منه على القدر الذي لا يخل بما هو فيه، ومن لم يكن كذلك فالأولى له الاستكثار ما أمكنه من غير خروج إلى الملل، ولا يقرؤه هذرة. [الفتح: ٧١٥/٨].

ومعنى ذلك أن الإكثار — وإن كان مطلوباً لذاته — لا ينبغي أن يطغى على الفهم والتدبر، فلا يكن هم المرء كثرة الختم دون أن يعقل مما قرأ شيئاً. وأما حديث ابن عمر: «ما فقه القرآن من قرأه في أقل من ثلاث» فقد أجاب عنه الأئمة بالآتي:

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على مداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان، خصوصاً في الليالي

التي يطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره. [لطائف].

وقال ابن حجر: وكان النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق. وقال النووي: أكثر العلماء على أنه لا تقدير في ذلك، وإنما هو بحسب النشاط والقوة، فعلى هذا يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والله أعلم. [الفتح: ٧١٦/٨].

وإن قال قائل: هذا الذي ذكر لا يقبله عقل ولا يقره منطق، فإنني أقول له ما قاله الإمام اللكنوي رحمه الله. قال: فإن قلت بعض المجاهدات مما لا يعقل وقوعها؟ قلت: وقع مثل هذا وإن استبعد من العوام فلا يستبعد من أهل الله تعالى، فإنهم أعطوا من ربهم قوة وصلوا بها إلى هذه الصفات، ولا ينكر هذا إلا من ينكر صدور الكرامات وخوارق العادات.

وإن الذاكرين لهذه المناقب ليسوا ممن لا يعتمد عليه أو ممن لا يكون حجة في النقل بل هم أئمة الإسلام وعمد الأنام... كأبي نعيم وابن كثير والسمعاني وابن حجر المكي وابن حجر العسقلاني والسيوطي والنووي والذهبي ومن يجذو حذوهم. [إقامة الحجة: ١٠١].

وقد سبق أن ذكرت كلمة الإمام ابن رجب التي قرر فيها أن مثل هذا الاجتهاد سائغ في الأزمنة المفضلة والأماكن المفضلة وأما طوال العام فالأولى للمؤمن ألا يختمه في أقل من ثلاث وإن لم يكن ذلك ممنوعاً.

قال الذهبي رحمه الله: ولو تلا ورتل في أسبوع ولا زم ذلك لكان عملاً فاضلاً، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة

على النوافل الراءبة والضحي وتحيه المسجد مع الأذكار المأثورة الثابته والقول عند النوم واليقظة ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله مع الأمر بالمعروف وإرشاد الجاهل وتفهيمة وزجر الفاسق ونحو ذلك ... لشغل عظيم جسيم ولمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب فمتى تشاغل العبد بخرمة في كل يوم فقد خالف الحنيفية السمحة ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه. [السير ٣/٨٤]

قال نافع: لما غسل أبو جعفر القاري نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن. [معرفة القراء الكبار].
نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخرطة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وعلى آله الأولياء، وأصحابه الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى. أما بعد:

عباد الله: إن من فضل الله علينا في رمضان أن يجتمع الصوم والقرآن، فتدرك المؤمن الصادق شفاعتان يشفع له القرآن لقيامه، ويشفع له الصيام لصيامه، قال ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعه الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: رب منعه النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» [أحمد].

وعند ابن ماجه عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب يقول: أنا الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك».

واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه، جهاد بالنهار على الصيام وجهاد بالليل على القيام، فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفي أجره بغير حساب" [لطائف المعارف].

ومن صور اختصاص شهر رمضان بالقرآن الكريم صلاة التراويح، فهذه الصلاة أكثر ما فيها قراءة القرآن، وكأنها شرعت ليسمع الناس كتاب الله مجوداً مرتلاً، ولذلك استحب للإمام أن يختم فيها ختمة كاملة.

وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره. [لطائف المعارف].

ومما يؤيد ذلك ما رواه الإمام أحمد عن حذيفة قال: أتيت النبي ﷺ في ليلة من رمضان فقام يصلي، فلما كبر قال: الله أكبر، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة ثم قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، لا يمر بآية تخويف إلا وقف عندها ثم ركع يقول: «سبحان ربي العظيم» مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقال: «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد» مثل ما كان قائماً ثم سجد يقول: «سبحان ربي الأعلى» مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقال: «رب اغفر لي» مثل ما كان قائماً ثم سجد يقول: «سبحان ربي الأعلى» مثل ما كان قائماً ثم رفع رأسه فقام، فما صلى إلا ركعتين حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة. [أحمد مسند باقي مسند الأنصار رقم: ٢٢٣٠٩].

وكان عمر قد أمر أبي بن كعب وتميماً الداري أن يقوموا بالناس في شهر رمضان فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتى كانوا يعتمدون على العصي من طول القيام، وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر، وفي رواية أنهم كانوا يربطون

الجمال بين السواري ثم يتعلقون بها. وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال وبعضهم في كل سبع منهم قتادة، وبعضهم في كل عشرة منهم أبو رجاء العطاردي. [لطائف المعارف].

كل هذا التطويل والقيام من أجل تلاوة القرآن وتعطير ليالي شهر القرآن بآيات القرآن.

وإذا كان هذا شأن القرآن في رمضان فما أجدد العبد المؤمن أن يقبل عليه، ويدبم النظر فيه، وإني أقترح على الأخ المؤمن الصادق أن يجعل له مع القرآن في هذا الشهر ثلاثة مسارات:

المسار الأول: مسار الإكثار من التلاوة وتكرار الحتمات، فيجعل الإنسان لنفسه جدولاً ينضبط به، بحيث يتمكن من ختم القرآن مرات عديدة ينال خيراتها وينعم ببركاتهما.

المسار الثاني: مسار التأمل والتدبر، فيستفتح الإنسان في هذا الشهر ختمة طويلة المدى يأخذ منها في اليوم صفحة أو نحوها مع مراجعة تفسيرها وتأمل معانيها، والتبصر في دلالاتها واستخراج أوامرها ونواهيها ثم العزم على تطبيق ذلك ومحاسبة النفس عليه، ولا مانع أن تطول مدة هذه الختمة إلى سنة أو نحوها شريطة أن ينتظم القارئ فيها ويكثر التأمل ويأخذ نفسه بالعمل، ولعل في هذا معنى قول الصحابي: «كنا نتعلم العشر آيات فلا نجاوزهن حتى نعلم ما فيهن من العلم والعمل».

المسار الثالث: مسار الحفظ والمراجعة، فيجعل لنفسه مقدارا يومياً من الحفظ ومثله من المراجعة وإن كان قد حفظ ونسي فهي فرصة عظيمة لتثبيت الحفظ واسترجاع ما ذهب، ولست بحاجة إلى التذكير بجلالة منزلة الحافظ لكتاب الله ورفيع مكانته، وحسبه أنه قد استدرج النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى له.

"عباد الله هذا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، وفي بقيته للعابدين مستمتع، وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع، وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً يتصدع.

جعل الله صيامنا صياماً حقيقياً مقبولاً، وجعله إيماناً واحتساباً، إيماناً بما عنده، واحتساباً لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائمين.

ألا وصلوا وسلموا على نبي الرحمة والهدى، كما أمركم بذلك المولى جل وعلا شرفاً و تعظيماً، فقد قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

اللهم تقبل صيام شهر رمضان منا وعلى قيامه فأعنا وليلة قدره فوفقنا ولعبادتك فصبرنا وبالقرآن العظيم فاشفنا .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات إنك قريب مجيب الدعوات، والحمد لله رب العالمين.

الصوم والعادات السيئة في رمضان

ملخص الخطبة:

- ١- لماذا نصوم رمضان.
- ٢- معنى الصوم إيمانا واحتسابا.
- ٣- فوائد الصيام الإيمانية.
- ٤- فوائد الصيام الصحية.
- ٥- فوائد الصيام الاجتماعية.
- ٦- رمضان شهر الجهاد والتقليل من متاع الدنيا.
- ٧- العادات السيئة في رمضان.

حقيقة الصوم والعادات السيئة في رمضان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون: لماذا نصوم؟.. سؤال أطرحة على نفسي وعلى إخواني. قد يستغربه البعض..ولكن الحقيقة أننا بحاجة إلى الإجابة الصحيحة على هذا السؤال.. لماذا نصوم؟

والسبب في طرح هذا السؤال هو أن أكثر المسلمين يدخل عليه الشهر ويخرج ولم يتغير شيء من حياته إلى الأفضل .. بل ربما تحول إلى الأسوأ.. وذلك لأنه سمع الناس يصومون فصام .. وسمعهم يفطرون فأفطروا..

وفي نفس الوقت يندفع خلف دعاة الباطل بدون تفكير فيما يفسد صومه وينافيه من الأفعال والأقوال والتصورات. فإذا جئنا نقارن في نهاية رمضان بين ما هو مطلوب تحقيقه في رمضان وبين الواقع وجدنا أن الفرق كبير بين الواقع

والمطلوب؛ لأن المطلوب أن يصل المسلم في نهاية صيامه إلى درجة التقوى كما قال سبحانه وتعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } . فهل يحصل هذا لكل شخص؟

أيها الإخوة، إن الإجابة عن هذا السؤال تعني أن نستعرض جميع ما يتعلق بمرضان من حكم وأحكام .. وهذا لا يخفى عليكم صعوبته في مثل هذا الوقت القصير .. ولكن لعل المناسب أن أذكر بشي من الإجابة عن هذا السؤال المهم والذي ينبغي أن لا يغيب عن بال كل مسلم ومسلمة..

أيها الإخوة، إن المسلم يجب أن يصوم رمضان إيماناً واحتساباً؛ ليرتفع إلى درجة التقوى والتي عاقبتها مغفرة الذنوب السابقة .. يقول ﷺ مبيناً هذا الأصل: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [أخرجه البخاري].

قوله: (إيماناً) بأن الذي فرض الصيام هو الله سبحانه.. إيماناً بأن الله تعالى لا يفرض شيئاً على الناس يضرهم ويشق عليهم. إيماناً بأن الخير كل الخير في صيام رمضان .. إيماناً بوعده الله عز وجل .. وبالتالي فإن المسلم الحق لا يتضايق عند قدوم رمضان . بل يفرح فرحاً شديداً .. ومن تضايق أو كره ذلك فعليه أن يراجع نفسه فإن في إيمانه خلل..، هذا ينطبق على جميع ما شرع الله تعالى .. يدل على ذلك قوله سبحانه: { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } [محمد: ٩].

أما معنى (احتساباً): فهو أن يؤمن الصائم بأن جميع ما يقوم به من أعمال وأقوال، أو ما يلحقه من مشقة في الشهر الكريم مسجل في كتاب يقرؤه يوم القيامة كما وعد به المولى تبارك وتعالى حين قال: { يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِإِيمَانِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِتْيلاً } [الإسراء: ٧١].

لذلك كان ﷺ يصوم شهر رمضان ويقومه فإذا جاء العشر الأواخر التي يرجى فيها ليلة القدر.. قام الليل كله. وأيقظ نساءه .. وامتنع عن إتيانهن.

أيها الإخوة: لقد غابت عن بعض الناس حِكْمُ وفوائد الصيام فيدخل عليهم رمضان ويخرج دون تغير نحو الأفضل في حياتهم ولم يعلموا أن الصيام زيادة في الإيمان .. وصحة في الأبدان. وتقوية للمجتمع .. وإرهاب للأعداء.

أما زيادة الإيمان فواضح فبمجرد الصيام طاعةً لله تعالى يزيد الإيمان فإذا أضيف إليه فعل الطاعات المشروعة في رمضان، وتركت المعاصي وضيق على الشيطان بالجوع والذكر.

لاشك يا عباد الله أن ذلك سيؤدي إلى زيادة الإيمان، وبالتالي تحول حياة الإنسان من الحياة الحيوانية التي هي مجرد الأكل والشرب واتباع الشهوة، إلى حياة المسلم التي يرضاها الله ويحبها، جسده في الأرض وروحه في السماء.

لقد تعود المسلم في رمضان على كبح جماح نفسه وتقوية إرادته.. لقد أضعف سلطان العادة التي بلغت بالبعض إلى درجة الاستعباد.. حيث تعود البعض على الأكل في وقت معين والشرب في وقت معين، فجاء رمضان فساعد المسلم على الانفلات من سلطان العادة السيئة.

لقد انطلق المسلم بعد صومه حرّاً طليقاً كما يجب ربه ويرضى، لا يخضع إلا لأمر الله، ولا يضعف إلا أمام ربه وهذا هو المطلوب.

أما فوائد الصيام الصحية فلا تخفى على عاقل مطلع حتى إن الكفار شهدوا بأن الصيام الإسلامي هو أفضل ما يتعالج به الإنسان لكثير من الأمراض.

ونحن لسنا بحاجة إلى هذه الشهادة لأن ربنا سبحانه يقول: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ} [البقرة: ١٨٤]. ولكن الحق ما شهدت به الأعداء.

فقد ثبت طبيّاً أن الصيام علاج لاضطرابات المعدة المزمنة.. وعلاج لزيادة الوزن الناتج من كثرة الغذاء وقلة الحركة.. كما أنه وقاية من مرض الضغط والسكر ومن التهاب الكلى الحاد والمزمن، وأمراض القلب المصحوب بالتورم..

ومن التهاب المفاصل .. وغيرها من الأمراض.
وعموماً فالصيام وقاية للإنسان من جميع الأمراض الجسمية والنفسية كما قال ﷺ: (الصِّيَامُ جُنَّةٌ). والجنة معناها: الوقاية والستر.. هذا إضافة إلى أنه وقاية من النار يوم القيامة لمن صامه إيماناً واحتساباً.

ومما يؤسف له أن بعض الناس لا يزداد وزنه إلا في رمضان. وبعضهم تبدأ به الأمراض في رمضان.. والسبب أنهم لم يعرفوا الحكمة من صيام رمضان، فقلة الأكل والتخفيف على المعدة هدف من أهداف الصيام، ولكن أكثر الناس لم يهتموا بهذا الأمر، فأصيبوا بالأمراض المختلفة، ولم يستفيدوا فعلاً من رمضان في وقاية أنفسهم منها.. هذا بالنسبة لصحة الأبدان.

كما أن الصيام فيه تقوية لروابط المجتمع وهذا يتجلى من خلال التعاون والتقاء المصلين في مختلف الأوقات .. وكذلك في الاعتكاف والعمرة ونحوها..

كما أن تفتير الصائمين وسد حاجة المحتاجين ودفع زكاة الفطر لأهلها كل هذا وغيره مما يقوى روابط المجتمع .. فهل يا ترى فهم الناس هذه الحكمة، أم أنهم تركوا الصلاة مع الجماعة بحجة التعب من العمل. وتركوا صلاة التراويح بحجة أنه ليست فريضة ..

كما أن الصيام فيه إظهار قوة المسلمين وإرهاب الأعداء وهذا يتضح عندما يشعر العالم أن هناك حركة غير طبيعية بين المسلمين خصوصاً عندما يشاهدونهم يفطرون في وقت محدد، ويمتنعون عن الأكل في وقت محدد ويتجهون إلى قبلة واحدة وعندما يرونهم يدفعون زكاة الفطر ويبحثون عن المحتاجين من إخوانهم وعندما تتحول إذاعاتهم إلى النصائح والتوجيهات الرمضانية. لاشك أن هذا وغيره سيولد الرهبة في قلوب الأعداء فيحسبون للمسلمين ألف حساب.

ولكن هل يشعر المسلمون بهذا الأمر .. أم أنهم يعيشون في حالة من الذل والهوان،

يعيشون تحت رحمة أعدائهم، وكلما شعروا بالخوف اتجهت أنظارهم إلى البيت الأسود المسمى بالأبيض .. وإذا استأسد الواحد منهم جعل كيده في نحر أخيه المسلم .. فنسأل الله الهداية للجميع.

أيها المسلمون: إن الصيام ينبغي أن يتحول إلى سلوك راق جداً، في التعامل مع النفس ومع الآخرين، فلو رجعنا إلى معنى الصيام في اللغة لوجدنا أن معناه المنع والحبس.

ولذلك نجد أن الصائم يمنع نفسه عن الأكل والشرب وإتيان الشهوة ومعلوم أن هذا الامتناع لا يكفي عند الله تعالى، بل لابد من الامتناع عن مزاولة الأخلاق الرديئة. يدل على هذا قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» أخرجه البخاري.

إن من مفاهيم الصيام أن نرتقي بأخلاقنا إلى الأفضل ونتعود على الصبر والحلم فنهدب ألسنا، ونتحمل ما يصدر من الآخرين، حتى وإن اخطأوا علينا، استجابة لأمر نبينا ﷺ حين قال: «فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» رواه البخاري.

إن صيامنا أجرة لنا؛ ولكن المطلوب أيضاً أن يستفيد الآخرون منه.. وكما أن المطلوب أن نرتقي بسلوكنا إلى الأفضل فالمطلوب أيضاً أن نرتقي بتفكيرنا.. لابد أن نحترم عقولنا وعقول الآخرين.. لابد أن نفكر تفكيراً صحيحاً فيما ينفعنا.

إن هذا الإنسان لم يحترم عقله الذي وهبه الله إياه، ولم يقدر له قدره وإلا كيف يسمح لنفسه بتضييع الأوقات في متابعة الساقطين والساقطات، يضحك إذا أضحكوه، ويحزن إذا أحزنوه قد سلم عقله للعاثين يلعبون بعواطفه كيف شاءوا. وبعضهم يحتج بأن هناك وقت فراغ فنقول له: إذا فرغت من الأعمال فعليك بطاعة الله تعالى .. فهي الوصية التي أوصى الله بها رسوله بعد أن ذكره

بنعمه عليه فقال سبحانه: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ}. فالأصل أن المسلم إذا فرغ من أداء العبادات المفروضة. والأعمال الدنيوية أن يتفرغ للدعاء وأداء النوافل واللجوء إلى الله تعالى والرغبة فيما عنده.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه يا فوز المستغفرين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحببيه وخليله ﷺ، وعلى آله الأولياء، وأصحابه الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى. أما بعد:

عباد الله: إن من خصائص رمضان أنه يوفر الجو الرباني الروحاني بما يتيسر فيه من عبادات متنوعة لا تُتاح في غيره من الشهور.

فعندما يحل هذا الشهر ضيفاً على المسلمين ينالون من بركاته المتنوعة وتتحفهم رحماته، وتغمرهم نفحاته الإيمانية، إلا أن بعض الناس بل أغلب الناس ضعف عندهم معنى الصوم أو غاب عنهم مفهومه الحقيقي كلياً، وأصبحوا ينظرون إلى الصيام كإحدى العادات الاجتماعية التي تعودوا استقبالها وإحياءها كل سنة، دون أن يتأملوا في مقاصده وأبعاده، ولا أن يتفكروا في أسرارها، ولا أن تظهر عليهم فوائده وآدابه، وبالتالي غاب تأثيره في حياتهم وواقعهم وفي حالهم مع ربهم.

وإن من أهم هذه العادات وأكبرها ضرراً وأثرها في إفساد صومهم:
 أولاً: يُلاحظ أن بعض الناس يستأوون ويغضبون إذا دخل رمضان، وكم
 يتمنون مرور ساعاته وأيامه بسرعة، ويترقبون خروجه بتلهّف؛ لأنهم يرون أن فيه
 حرماناً لأنفسهم من شهواتها وملذاتها وقطعاً لمألوفاتها وكبحاً لرغباتها،
 ولأنهم يرون أن الصيام يسبب لهم التعب والإعياء والعطش، مما يقلل من
 عطائهم، ويُضعف جهودهم في أعمالهم، فترى أنفسهم قلقة، وصدورهم حرجة
 ضيقة، ووجوههم عابسة مكفهرّة يشكون ويتألمون، ولا يصومونه إلا بمجاعة
 وتقليداً للناس، وخوفاً من الفضيحة والعار، ولذا فهم يفضلون عليه غيره من
 الشهور، ويرونه كضيف ثقيل حل بهم يتمنون رحيله سريعاً.
 وعلى العكس من حال هؤلاء ينبغي للمؤمن أن يفرح ويُسرّ بقدوم رمضان،
 ويستبشر بحلوله، ويسعد بأيامه العظيمة، وينعم بلياليه الكريمة، وتطيب نفسه بمنافعه
 الجسيمة، قال الله سبحانه: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ} [يونس: ٥٨].

ويعقد العزم على صيامه أحسن صيام، وإكرامه غاية الإكرام، ويحرص أن لا
 تفوته فرصه وفوائده وخيراته ويستعد لذلك أفضل استعداد وليجمع لذلك من الزاد
 ما يؤهله ليكون أحسن من استفاد، وإذا أكمل صوم رمضان تمنى حلوله بشوق.
 ثانياً: كثير من الناس يفهمون أن رمضان شهر للأكل والشرب والتمتع
 فتراهم يستعدّون له قبل حلوله ودخوله، وذلك بإعداد أنواع الحلويات والمأكولات
 وادّخار بعض الأطعمة التي قد تنفد في رمضان، وكأنه قد حل موسم جوع
 وقحط، ويزعم البعض أن الصيام يقطع عنهم أكلهم وشهواتهم في النهار، فتراهم
 إذا جاء الليل ملؤوا الموائد بأنواع المأكولات وألذ المشروبات، فيجعلون ليالي
 الصيام للمزيد من الاستهلاك والإسراف والتبذير والنهم والشره.

وترى الناس في الأسواق والمتاجر يزدحمون ويتسابقون على السلع والمشتريات ويتزايدون في أثمانها، فترتفع أسعارها، وتحدث الفوضى والشجار والتدافع حولها، فتتفد السلع لكثرة الطلب عليها، مما يسبب لكثير من الفقراء الحرمان منها وهم في أشد الحاجة إليها، ويدفع بعض التجار الفجار لاحتكارها لبيعوها بأثمان باهظة.

وأغلب الناس تُضاعف ميزانية إنفاقهم في هذا الشهر، ولا يكفيهم مرتبهم الشهري فيه، بل يلجئون إلى مدخراتهم أو إلى الاقتراض أو إلى الحرام من سرقة أو رشوة أو غير ذلك فيسقطون في الحرام وفي مستنقع الآثام وأكثر الموظفين يشتكون مما يحدثه لهم هذا الشهر حسب زعمهم من نفاذ في أموالهم، وما يترك خلفه من ديون ثقيلة عليهم يستمر تسديدهم لها شهوراً بعد رمضان.

فهذا الإسراف وكثرة الإنفاق والاستهلاك المنتشر بيننا ليسا من مقاصد الصيام، بل على العكس فرمضان شهر الاقتصاد والتقليل والزهد والتقشف وترشيد النفقات والاكتفاء بالضروريات دون الكماليات وشهر لحلول البركات من الأرض والسموات شهر غذاء الأرواح والقلوب لا الأجساد، يقول الله عز وجل: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]. والتقليل سنة عاش عليها ﷺ ومات عليها. قال ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» متفق عليه.

والقوت: ما يكفي دون زيادة، والتقليل: إمساك على زمام النفس لكيلا تجتلبها المغريات، وكان رسول الله ﷺ سيد هذه المترلة أوصى بالتقليل حتى يكتفي المؤمن في خاصة نفسه بمثل زاد الراكب، قال الرسول ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة كن ورعاً تكن أعبد الناس، وكن قنعاً تكن أشكر الناس» رواه ابن ماجه وصححه الألباني. وقال الرسول ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» رواه الترمذي.

ثالثاً: نرى بعض الصائمين يغضبون لأتفه الأسباب فيسبّون ويقولون فُحشاً وقُبْحاً ومُنكراً من القول وزوراً ويطراشقون بالكلام الساقط ويتشاجرون ويخرج من أفواه بعضهم كلام قد يُخرج من الملة والعياذ بالله وقد ينشب العراك وتسيل الدماء وتسقط الأرواح.

وهذا سلوك يتنافى مع أخلاق هذا الشهر الكريم، ومع ما هو مطلوب منا فيه من إمساك للسان عن اللغو والفحش وصون له عن البذاءة والصَّخَب، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي عن الصيام: «كل عمل ابن آدم له الحسنه بعشر أمثالها إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إني امرؤ صائم» متفق عليه، وفي رواية: «فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم» مرتين. فينبغي للصائم أن يمسك لسانه عن القول الذي لا يرضي الله، وليكن عفواً صفوحاً حليماً، ولا يعباً بعبارات الطائشين، ولا يستخفُّ أصحاب اللسان الآثم فيهلك مع الهالكين.

رابعاً: ومن العادات السيئة عند الناس في رمضان أنه شهر السمر والسهر إلى ساعات متأخرة من الليل، فأغلب الناس يحيون ليالي رمضان في الغفلة والقييل والقال والغيبة والنميمة والخوض في الباطل والزور والبهتان وينسون قول النبي ﷺ «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» رواه البخاري.

خامساً: من العادات السيئة عند الناس في رمضان أنه شهر السمر والسهر إلى ساعات متأخرة من الليل أمام شاشات التلفاز لمشاهدة القنوات الفضائية والانتقال من واحدة إلى أخرى بحثاً عن أغنية أو منظر أجمل أو متعة أكمل أو مسلسل أو فلم أفضل أو ينكب على وسائل الضحك وضياع الأوقات.

فتارة يتابع الكاميرا الخفية وتارة يتابع مسلسلات الفكاهة والضحك والعري والانحلال، فبدلاً من أن يشكر الله الذي أطعمه من جوع وآمنه من خوف وتمعنه بالصحة و الهداية إلى شهر رمضان. يقابله بالوقوع فيما يغضب الله تعالى، ويعتبر أنه قد صام رمضان.

والبعض يقضي ليله بحثاً في شبكة الإنترنت عن المواقع الإباحية ومواقع الرذيلة، وآخرون يلجؤون إلى لعب الورق وغيرها وربما القمار المحرم، الشيء الذي يجعلهم يعوّضون سهرهم بالليل بنوم النهار، مما يُضِرُّ بأعمالهم، خاصة الموظفين منهم، فتراهم في مكاتبهم متكاسلين، تظهر عليهم علامات الخمول والإرهاق والإعياء، مما يقلل من عطائهم في العمل وإخلاصهم فيه، الشيء الذي يجعلهم يُخلُّون بوظائفهم ولا يؤدونها على الوجه الأكمل ويعطلون مصالح الناس، ويغلقون أبواب المكاتب في وجوههم، ويردوهم يوماً بعد يوم بدعوى تعب الصوم.

وإن رمضان ليتعرض لحملة تشويهٍ لصورته وقلباً لحقيقته من طرف الإعلام والقائمين عليه، حيث يعملون على تضليل الناس وإخفاء حقيقته في نفوسهم، إذ يملؤون برنامج هذا الشهر بالسهرات والحفلات والمسرحيات والأفلام ومختلف الفكاهات، وكأن رمضان شرع من أجل ذلك.

كما تفتح المقاهي والملاهي ودور السينما أبوابها مباشرة بعد الإفطار وعلى مدار الليل لجلب الناس وإمتاعهم بسهرات رمضان الغنائية المسلية الملهية طلباً للربح الوفير ضاربين بعرض الحائط حرمة رمضان، وهذا ضلال عظيم وفهم سقيم.

والأولى للساهرين في التوافه أن يشغلوا أنفسهم بذكر الله والاستغفار وقراءة القرآن والاستماع لدروس الوعظ والعلم، ومجالسة العلماء في المساجد، وحضور الندوات والمحاضرات التي تكثر في رمضان ومتابعة البرامج النافعة في القنوات مما يزيد من فهمهم لأحكام الدين عامة وأحكام وآداب الصيام خاصة.

والسهر فيما لا نفع فيه نهي عنه رسول الله ﷺ حيث كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها. رواه البخاري، باب: ما يكره من السمر بعد العشاء إلا في خير. قال ﷺ: «لا سَمَر بعد الصلاة — يعني العشاء الآخرة — إلا لأحد رجلين: مصل أو مسافر» رواه أحمد وحسنه السيوطي وصححه الألباني.

وكان من موقف أمير المؤمنين الملهَم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يضرب الناس على السَمَر في الليل ويقول: "أَسَمَرًا أول الليل ونومًا آخره؟!".

كما أن للسمر الكثير بالليل مضار ومفاسد، أهمها تضييع الأوقات الفاضلة والتفريط فيما يتاح فيها من الخير، والحرمات من القيام في آخر الليل وما يكون فيه من بركات وكرامات وهبات، وتضييع لصلاة الصبح، وزهد في عطاءات الله لعباده المصلين الداعين المستغفرين في الأسحار، حيث يتزل إليهم إكرامًا وإنعامًا.

ألا فليعلم الصائمون أن رمضان إنما جاء ليكون وقاية وصيانة لنا من أخلاق منحطة، وليزيل منا عادات سيئة ترسخت فينا طوال السنة وليربنا على الكمال الخلقى، وليدربنا على الصبر والتحمل والإنتاج والبذل والعطاء والاقتصاد والجهاد والإحسان إلى خلق الله، والإخلاص والإتقان في الأعمال، وليزود روحنا بالتقوى والزهد والورع، وليزكي نفوسنا حتى تسمو إلى بارئها عبر مدارج القرب والزلفى، وليطهر المجتمعات مما انتشر فيها من فساد خلقي واقتصادي واجتماعي وسياسي، وليحقق فينا العزة والإباء والشموخ. وتظهر هذه المعاني جليلة من سيرة الرسول ﷺ وأصحابه، والتابعين الذين فهموا القصد من الصيام، فصاموه وصالوه وقدروه حق قدره، فكانت لهم العزة والمجد والسؤدد.

جعل الله صيامنا صيامًا حقيقيًا مقبولًا، وجعله إيمانًا واحتسابًا، إيمانًا بما عنده، واحتسابًا لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن

يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائمين.

ألا وصلوا وسلموا على نبي الرحمة والهدى، كما أمركم بذلك المولى جل وعلا شرفاً و تعظيماً، فقد قال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

اللهم تقبل صيام شهر رمضان منا وعلى قيامه فأعنا وليلة قدره فوفقنا ولعبادتك فصبرنا و بالقرآن العظيم فاشفنا .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء والأموات إنك قريب مجيب الدعوات، والحمد لله رب العالمين.

صوموا لعلكم نلقون

ملخص الخطبة:

- ١- الوصية بتقوى الله وبيان فضلها.
- ٢- غاية الصوم تقوى الله، ومعنى ذلك.
- ٣- كيف يصوم القلب، وأثر صلاحه على الجوارح.
- ٤- حال الصائمين المتقين.
- ٥- من فوائد الصيام.

صوموا لعلم تقون

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} .

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي أيها الناس بتقوى الله، فالعز والشرف في التقوى والسعادة والعلا عند أهل التقوى. التقوى أيها السلمون كثر عظيم وجوهر عزيز. خير الدنيا والآخرة مجموع فيها: {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: ١٩٧].

القبول معلق بها: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} [المائدة: ٢٧]. والغفران والثواب موعود عليها {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا} [الطلاق: ٥].

وأهلها هم الأعلون في الآخرة والأولى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

غير أن أزمنتنا المتأخرة، وعصورنا المادية كست قلوب أصحابها طبقات من الغفلة، وغشت على أبصارها سحب من الصدود كثيفة. فعموا عن الطريق وحسن

ظنهم بالترقي في جاه الدنيا وسلطانها، فالشقي في ميزانهم من قلت مادته وقدر عليه رزقه. وهذا لعمر الحق غفلة شنيعة وجهل في المقاييس عريض. قال تعالى: {وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ} [طه: ١٣٢، ١٣١].

نعم أيها الإخوة، المتقون تفر أعينهم بالطاعات في الدنيا، وبعلى الدرجات من الجنة في الأخرى. يقال ذلك أيها المسلمون وقد أظلكم هذا الشهر الكريم المبارك، شهر فرض الله عليكم صيامه لعلكم تتقون.

أيها الإخوة، غاية الصيام تقوى الله عز وجل. تقوى يتمثل فيها الخوف من الجليل، والعمل بالتزليل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل.

تقوى صادقة دقيقة يترك فيها الصائم ما يهوى حذرًا مما يخشى. ولئن كانت فرائض الإسلام وأحكامه وأوامره ونواهيه كلها سبيل التقوى، فإن خصوصية الارتباط بين الصيام والتقوى شيء عجب.

أيها الإخوة، جوارح الإنسان عين وأذن ويد ولسان، وبطن وفرج، والقلب من ورائها أصلها وحاكمها.

قلب تقى يرى الهوى والشهوة والظن والبغى، والعداوة والبغضاء، والغل والحسد والجدل والمرء أمراضًا قلبية فتاكة تقتل الأفراد وتهلك الأمم. القلب التقى يرفضها ويأبأها ويتقيها ويتقيؤها، وصيامه ينفىها ويجفوها.

قلب صائم متدين لله بالطاعة مستسلم له بالخضوع والاستجابة منقاد لتنفيذ الشرع في الأمر والنهي. عبودية لله خالصة لا يصرفه عنها شهوة ولا شبهة، ولا يشوش عليه فيها أمان ولا طمع، قلب قوي تقى، لله صلواته وصيامه ونسكه ومحياه ومماته قال ﷺ: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وإذا صلح القلب صلحت الجوارح ، فقامت بحق الطاعة وكفت عن الآثام. فالبطن محفوظ وما حوى، ترك الطعام والشراب والشهوة من أجل الله، تقى عالٍ يقي النفس جماح غرائزها، وإرادة مستعلية مستحكمة تأخذ أمر ربها بقوة، وتزدجر عن النواهي باستسلام.

لقد كان على الهدى، واثمر بالتقوى من منع جسده تخمة الغذاء ليمنع جوارحه السوء والأذى. قلة الشبع تكبح الجماح وتبعد نزغات الشياطين والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

إن قلة الشبع تجعل الجوارح أقرب لفعل القربة، يرق القلب، ويغزر الدمع ويخذل الشيطان. وانظر — حفظ الله دينك وزاد في تقاك — في ضعافٍ مهازيلٍ؛ ممن جاع نهاره، وملاً في الليل بطنه، فهو صريع لذة عارمة وعبد لشهوة جامحة. هل حقق معنى التقوى حين تفنن بأطياب الطعام وألوان الموائد؟! بينما قليل منه قد يشبع جياحاً ويسعد أسراً، قليل منه قد يكفكف دموعاً ويوقف عبراتٍ؟ هل أعطى واتقى — أم كيف أعطى؟ وماذا اتقى؟ من جعل رمضان تذييراً، وفطره تخمة؟! مسكين بائس لا يرى في الصوم إلا جوعاً لا تتحمله معدته، وعطشاً لا تقوى عليه عروقه.

أي تقوى وأي مقاومة عند أمثال هؤلاء المهازيل؟! أولئك أقوام انهمت عزائمهم أمام جوع بطونهم. لقد أورثهم الشبع قسوة، فجعلهم نُؤومين، وأقعدهم كسالى. ألا فاقعدوا أنتم الطاعمون الكاسون،

من أعلن استسلامه في معركة لقيمات لا تدوم سوى سويغات فليس جديراً بأن يعيش عزة المتقين وعلية الشهداء والمجاهدين.

الله أكبر؛ لقد فرض الصيام لتمحيص التقوى ، وليصبح المسلم صائماً بقيامه بترك مطعمه ومشربه؛ قصده رضا محبوبه: «الصوم لي وأنا أجزي به» متفق عليه.

هذا حال البطن وما حوى. فبا ترى ما بال الرأس وما وعى ؟
قال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه
وشرا به» كيف صام؟ وماذا اتقى؟ حظه من صيامه الجوع والعطش ونصيبه من
قيامه السهر والنصب.

أين التقوى في أسماعهم وأبصارهم؟ لغو ولهو وقيل وقال، وأصوات معازف
وصور ماجنة، وقصص خالعة. في النهار نوم في تقصير، وفي الليل سهر في غير
طاعة، متبرمون في أعمالهم، سيئون في معاملاتهم، ويتناقلون في أداء مسؤولياتهم،
نشاط في اللهو والسمر، وكسل في الجد والعبادة.

أيها الأحبة شهركم شهر التقوى، شهركم موسم عظيم للمحاسبة، وميدان
فسيح للمنافسة، تصفو فيه نفوس من داخلها، وتقرب فيه قلوب من خالقها تفتح
فيه أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد الشياطين، وتكثر دواعي الخير
وأسباب المثوبة.

رحمة ومغفرة وعتق من النار. فأقبلوا على الطاعة، وتزودوا من التقى
واستروحوا روائح الجنة، وتعرضوا للنفحات.

الصائمون المتقون لا يزالون في صلاة وصيام وتلاوة وذكر وصلة وإحسان
وجدٍ وعملٍ. فاطلبوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات ربكم، فخيركم من طال
عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله.

أيها المتقون الصائمون، فتشوا عن المحتاجين من أقربائكم والمساكين من
جيرانكم والغرباء من إخوانكم، لا تنسوا برهم وإسعادهم، أشركوهم معكم في
رزق ربكم. اذكروا جوع الجائعين، ولوعة المتناعين، وعبرات البائسين، وغربة
المشردين ووحشة المهجرين. اسألوا في شهر التقوى والمحاسبة: هل قام بحق التقوى
من بات شعبان وحوله جائع يستطيع إشباعه فلم يفعل ؟

وهل قام بحق الشهر من رأى نفساً مؤمنة بائسة يستطيع إسعادها فلم يفعل؟
أيها المسلمون، صوموا حق الصيام لعلكم تتقون. ومن يتق الله يكن معه
ومن كان الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا
يضل، وإذا كان الله معك يا عبد الله فمن تخاف؟ وإذا كان عليك فمن ترجو؟!!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا
أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ
فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرَ رَمَضَانَ
الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ
الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُم
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُم الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُم وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٣-١٨٥].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا،
وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو
الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله جعل الصيام جنة وسبباً موصلاً إلى الجنة، أحمده سبحانه وأشكره؛
هدى إلى خير طريق وأقوم سنة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بعثه إلينا فضلاً منه ومنه، اللهم صل
وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فاتقوا الله أيها الناس، فالشهور والأعوام والليالي والأيام مواقيت الأعمال ومقادير الآجال، تمر سريعاً، وتنقضي جميعاً. إنها أيام الله خلقها وأوجدتها وخص بعضها بمزيد من الفضل، فما من يوم إلا والله فيه على عباده وظيفة من وظائف طاعته، ولطيفة من لطائف نفحاته، يصيب بفضله ورحمته من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم. وإن بين أيديكم شهراً عظيماً، وأياماً فاضلة وليالي شريفة، فأحسنوا فيها الوفاة وجدوا فيها بالعمل. فلم يكن سلفكم يستعدون لها بمزيد من الأكل والشرب، ولكن بالطاعة والعبادة والجود والسخاء، فهم مع ربهم عباد طائعون، ومع إخوانهم بررة محسنون، والأسوة في ذلك والإمام نبيكم محمد عليه ﷺ فهو أجود ما يكون في رمضان، ويجتهد فيه ما لا يجتهد في غيره يجيي ليله ويوقظ أهله ويشد المنزر. ذلكم هو مسلك التقوى، وهذه مراسم الاستقبال فاعملوا وأحسنوا وأبشروا.

واعلموا رحمكم الله أن من فوائد وأسرار الصيام :

١- تزكية النفوس بطاعة الله، وتدريب النفوس على العبودية لله والصبر عليها قال: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، بترك طعامه وشرابه من أجلي كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» متفق عليه.

٢- إن الصوم فيه إعلاء ورفع للجانب الروحي المهم في الإنسان، فالإنسان ليس مادة فقط بل هو روح كذلك، فالصوم يعزز هذا الجانب فيجعله في الملكوت العلوي قريباً من مرتبة الملائكة وصدق من قال:

يا خادم الجسم كم تشقى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على الروح وإستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

٣- إن الصوم يعلم الإخلاص لصاحبه فهو شهر الإخلاص، لأن الصائم يمكنه أن يفطر خفية عن الناس ولكنه يمنعه إخلاصه لله تعالى والصوم يعلم الصبر، والصبر بمتزلة الرأس من الجسد، فهو قاعدة التكاليف ولولا الصبر ما شرع الصوم ولا شرع الجهاد في سبيل الله، ولهذا أجر الصابر والصائم بغير حساب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

٤- إن الصوم جاء ليكسر الشهوة الجنسية التي هي أخطر الغرائز في الإنسان إذا لم تنظم وفق الفطرة الإسلامية، فإن هذه الغريزة هدمت أمماً بأكملها وتهدم آخريين، وأسألوا التاريخ واعتبروا يا أولي الأبصار.

ونحن نتعجب كل العجب فالإسلام جاء ينظم هذه الغريزة ويهدبها ويضع لها حدوداً، أما هذه الحضارة الغربية الساقطة فأعطتها كل الحرية وقدستها بحجة أن الإنسان خلق حراً. لا بد أن يستجيب لكل غريزة فيه استجابة بيولوجية، وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض البصر وأحصن الفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» رواه البخاري ومسلم.

٥- التكافل والشعور بالوحدة لأن الصوم يسوي بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والقوي والضعيف في الشعور بأنهم على صفة واحدة توجب عليهم التعاون على الخير.

فنسأل الله أن يجعل صيامنا صياماً حقيقياً مقبولاً، وجعله إيماناً واحتساباً، إيماناً بما عنده، واحتساباً لثوابه، كما أسأله تعالى أن يجعلنا وإياكم وسائر المسلمين ممن يصوم الشهر، ويستكمل الأجر، وفاز بليلة القدر، كما أسأله أن يجعلنا ممن يصومونه ويقومونه إيماناً واحتساباً، اللهم اكتب صيامنا في عداد الصائمين، وقيامنا في عداد القائمين.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا بأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحييتنا واجعله اللهم الوارث منا

عباد الله، إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦]، وقد قال ﷺ: «من صَلَّى عليَّ صلاة واحدة صَلَّى الله عليه بها عشراً».

فصلُّوا وسلِّموا على سيِّد الأوَّلِين والآخِرِين وإمام المرسلين.

اللهم صلِّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

والحمد لله رب العالمين .

فضائل العشر الأواخر من رمضان

ملخص الخطبة

- ١- فضل العشر الأواخر والاجتهاد فيها.
- ٢- فضل ليلة القدر وقيامها وتحريها.
- ٣- الحث على إخراج الزكاة وبيان فضلها.
- ٤- فضل الذكر وقراءة القرآن. والحكمة منها.
- ٥- التذكير بما يتعرض له المسلمون من اضطهاد وعدوان.

فضائل العشر الأواخر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون، اتقوا الله حق التقوى، فإن تقوى الله عز وجل سبيل المؤمنين وزاد الصالحين، وبها النجاة والصلاح يوم الدين، فاتقوا الله في كل وقتٍ وحين واتقوه في كل ما تأتون وتذرون لعلكم تفلحون، واشكروه عز وجل أن هداكم للإيمان، ومنّ عليكم ببلوغ هذا الموسم العظيم، والشهر الكريم، الذي فضله على سواه من الشهور، واختصّه بخصائص عظمى وفضائل كبرى، أنزل فيه القرآن، {هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ} [البقرة: ١٨٥].

شهرٌ كله رحمة، ومغفرة، وعتقٌ من النار، من صامه إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليله إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه.

ألا وإن أفضل أيام هذا الشهر ولياليه عشره الأخيرة، فأيام العشر أفضل أيام الشهر، ولياليه أفضل ليالي العام كله، وقد كان رسول الله ﷺ يخصُّ هذه العشر

بمزيد من العبادة، ويضاعف فيها الأعمال الصالحة، ويجتهد فيها بأنواع من القرب والطاعة ما لا يجتهد فيما سواها من الأزمنة، لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدّ وشدّ المنزر" متفق عليه.

وحسب هذه الليالي شرفاً ورفعة وفضلاً أن الله اختصّها بليلة القدر التي عظم سبحانه قدرها، وأعلى شأنها، وشرفها بإنزال الوحي المبين على سيد المرسلين وفيها يُفرك كل أمر حكيم، والعبادة فيها تفضل عبادة ألف شهر خلت من ليلة القدر، فهي ليلة عظيمة البركات، كثيرة الخيرات، لما يتزل فيها على العباد من عظيم المنح الربانية، وجيل النفحات الإلهية.

وإن من صدق إيمان العبد، ودلائل توفيق الله له أن يغتنم هذه الليالي المباركة بجلال الأعمال الصالحة، وأنواع العبادة والطاعة، والتذلل بين يدي الله عز وجل، والإنابة إليه، أملاً في إحراز فضل ليلة القدر، ونيل بركاتها، فلقد بلغ من عظيم فضلها وجيل ثوابها أن من قامها بنية خالصة وعبودية صادقة كفر الله عنه ما سلف من ذنوبه وخطاياها، فقد قال ﷺ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وقد ندب رسول الهدى ﷺ أمته إلى التماس ليلة القدر في ليالي الوتر من العشر الأواخر، أو السبع البواقي من هذا الشهر الكريم، لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي»، وفي لفظ آخر له: «فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» وقد سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عما تدعو به ليلة القدر إن هي علمتها، فأرشدتها أن تقول: «اللهم إنك عفو، تحب العفو، فاعف عني».

فلتغتنموا - أيها المؤمنون - ما هياً لكم الحق عز وجل من هذه الأزمنة الفاضلة، والمواسم المباركة، التي تضاعف فيها الحسنات ، وتقال فيها العثرات، بما يقربكم إلى الله، ويبلغكم رضاه.

أيها المؤمنون: فضيلة الزمان، هي فضيلة عظيمة، ومزية جلييلة، هيأها تعالى لكم، فضلاً منه وإحساناً، فمن التوفيق والرشاد ونفاذ البصيرة وسداد الرأي أن يغتنم المسلم هذه الفضائل الربانية والمنح الإلهية بالتزود بالصالحا، والمسابقة إلى الخيرات، والمحافظه على العبادات من صلاة وصيام، وصدقة وبر وإحسان، وعطف على الفقراء والأيتام، والإكثار من الاستغفار، وإدامة ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار، فإن ذكر الله تعالى يزكي النفوس، ويشرح الصدور، ويورث الطمأنينة في القلوب، كما قال عز شأنه: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [الرعد: ٢٨].

وإن مما ينبغي التذكير به - يا عباد الله - ولا سيما تذكير ذوي الغنى واليسار أن يعنوا بأداء الزكاة، فإنها من أكد أركان الدين، ومن أجل محاسن الشرع المبين، فرضها الحق عز وجل لمصالح ومنافع عظمي، فهي سبب لزكاء النفوس، وطهارة القلوب، ونماء الأموال.

ومن أكبر عوامل الألفة والمودة بين المؤمنين، ومن أعظم مظاهر التكافل الاجتماعي بين المسلمين فأخرجوها - أيها المؤمنون - كاملةً غير منقوصة، بنية صالحة، ونفوس بالخير مغتبطة، دون من ولا أذى، ومن غير استكبار ولا استعلاء، فقد قال جل وعلا: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» [البقرة: ٢٦١، ٢٦٢].

أيها المسلم: إن المال وَدِيعَةٌ فِي يَدِكَ، ليس لك منه إلا ما أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أو لَبَسْتَ فَأَبْلَيْتَ أو تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، فتواضع بقلبك للمسكين، وابذل له كَفًّا النَّدى، وادنُ منه، واحنُ عليه، ولا تحتقر فقيراً، «فإنَّ أكثرَ أهلِ الجَنَّةِ همُ الفقراء» متفق عليه.

وباليسيرِ مِنَ النَّفَقَةِ مع الإخلاصِ تنجو من النَّارِ، يقول النبي: «أتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وقِ نَفْسِكَ شُحَّهَا، وأيقن بالغنى من الكريم فالمنفق مخلّف، يقول ﷺ: «قال الله تعالى: أنفق — يا ابن آدم — يُنفق عليك» متفق عليه، ويقول: «ما نَقَصَتْ صدقةٌ من مالٍ» رواه مسلم.

والشَّيْطَانُ يُوسِسُ لَكَ وَيَأْمُرُكَ بِالْإِمْسَاكِ وَيَزِينُ لَكَ خَدِيعَةً وَمَكْرًا، قال جل وعلا: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا} [البقرة: ٢٦٨]، فلا تقهر يتيماً، ولا تنهر سائلاً، وأنفق بسخاوة نفس يبارك لك في المال والولد.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمُ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج: ٧٧].

فلتحافظوا على هذه الفريضة، وغيرها من فرائض الله، وأن تخلصوا القصد والنية فيها لله عز وجل، وفي جميع أعمالكم الصالحة، فإن العمل الصالح إذا شابته شيء من الرياء أو السمعة كان من أسباب حبوطة وعدم قبوله، فقد ورد في الحديث القدسي عند مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

فاتقوا الله عباد الله، ولتغتنموا ما تبقى من أيام هذا الشهر ولياليه بالمسارعة إلى طاعة الله ومرضاته، والتعرض لنفحاته وألطافه، فربما أدركت العبد نفحةً من

نفحات ربه، فارتقى بسببها إلى درجات المقربين وكان في عداد أولياء الله المتقين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ولتحذروا الذنوب والمعاصي والانقياد للأهواء والشهوات، وإضاعة الأوقات باللهو والباطل مما يصدّ عن ذكر الله وطاعته، ويستجلب سخطه ومقته، فتندموا على تفريطكم عند لقاء ربكم، ولات ساعة مندم.

أيها المؤمنون: ابتهلوا إلى ربكم ضارعين مخبتين لمغفرة الذنوب والآثام وحثّ الخطايا والأوزار، وسؤاله العتق من النار {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤَفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر: ٢٩، ٣٠].

نفعي الله وإياكم بالقرآن الكريم، وبهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وحببيه وخلييله، صلى الله وسلم عليه، وعلى آله الأولياء، وأصحابه الأتقياء، ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعد:

ففي شهر الصيام نزل كتاب ربنا العظيم، من قرأه فله بكل حرفٍ منه حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وهو شافعٍ لصاحبه، قال ﷺ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرْتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَإِنْ مَرَّتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةِ كُنْتَ تَقْرَأُهَا» رواه ابن حبان وصححه الألباني.

فاجعل لتلاوة كتاب الله على لسانك في العشر الباقية طراوة، ولصوتك منه نداوة؛ لتظفر بشفيعين في الآخرة: القرآن والصيام.

وإن خير أنواع الذكر قدرًا، وأعظمها عند الله أجرًا تلاوة كتاب الله {الذي لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد} [فصلت: ٤٢].

فقد كان من هديه الإكثار من تلاوته في رمضان أكثر من تلاوته في غيره وكان جبريل يأتيه في رمضان يدارسه القرآن، كما ثبت في الصحيحين .

وقد أبان عن فضل تلاوة كتاب الله، وعظيم ثوابه بقوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف» [رواه الترمذي وصححه].

والصلاة قرّة عيون الصالحين وراحة أفئدة الخاشعين، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل، حث النبي أصحابه على قيام الليل، يقول النبي لابن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل» متفق عليه.

فما ترك القيام بعد ذلك رضي الله عنه، والعبد مذمومٌ على ترك قيام الليل، يقول صلى الله عليه وسلم: لعبد الله بن عمرو بن العاص: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل» متفق عليه.

قيام الليل من أفضل الأعمال ومن أسباب دخول الجنان، «يا أيها الناس، أفسئوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» رواه الترمذي.

وليالي رمضان مبشرٌ من قامها بغفران الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» متفق عليه.

وفي كل ليلة ساعة إجابة، الأبوابُ فيها تفتح، والكريم فيها يمنح، فسئل فيها ما شئتَ فالمعطي عظيم، وأيقن بالإجابة فالربُّ كريم، وُبثَّ إليه شكواك فإنه الرَّحمنُ الرَّحيم، وارفع إليه لأواك فهو السَّميع البصير، يقول ﷺ: «إنَّ في اللَّيلِ لساعةً لا يُوافقها رجلٌ مُسلم يسأل الله خيراً من أمرِ الدُّنيا والآخرة إلاَّ أعطاه إياه، وذلك كلَّ ليلة» رواه مسلم.

ونسَماتُ آخرِ اللَّيلِ مظنةُ إجابةِ الدَّعوات، قيلَ للنبيِّ ﷺ: أيُّ الدَّعاءِ أسمع؟ قال: «جوفُ اللَّيلِ الآخرِ ودُبرُ الصَّلواتِ المكتوباتِ» رواه الترمذي.

والعبدُ مفتقرٌ إلى محوِ أدرانِ خطاياها، والانكسارُ بين يديِ الله والافتقارُ إليه في هذه العشرِ المباركاتِ بالاعتكافِ في بيتٍ من بيوتِ الله أحرى بمَغفرةِ دنسِ الخطايا وأرجى لِقبولِ العبدِ عندِ الله ورضاه عنه، وقد كان نبينا يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من رَمَضانَ حتى توفاه الله.

فارغبَ إلى ربِّك بالاعتكافِ، وداومِ على ذكرِ الله فيه، وأكثرِ من الدَّعاءِ في ساعاتِ الإجابةِ فتلك لحظاتٌ تُعتمَمُ، يقول القرطبيُّ رحمه الله: " فضيلةُ الزَّمانِ إنما تكون بكثرةِ ما يقع فيه مِنَ الفضائلِ"، وإذا قُربَ العبدُ من ربِّه لطفَ اللهُ به وساقَ إليه الإحسانَ من حيث لا يشعُر، وعصمه من الشرِّ من حيث لا يحتسبِ ورفعَه إلى أعلى المراتبِ بأسبابٍ لا تكون من العبدِ على بال.

فيا أيها المسلمون، اتقوا الله حق تقاته، واستقيموا على طاعته ومرضاته وتذكروا عباد الله وأنتم ستفيئون ظلال هذا الشهر الكريم شهر الرحمة والمواساة حال إخوان لكم في العقيدة والدين، في أنحاء من المعمورة، قد أصيبوا بمصائب عظمي، وتوالت عليهم فجائع كبرى، تتكرر على مرور الليالي والأيام، في أوطانها قد استبدَّ بها الطغيان، واستباحها الظالمون المعتدون، شعوبٌ شرَّدت عن أوطانها واستبيحت حرماؤها، وأذيقت ألوانا من الاضطهاد وصنوفاً من النكال، ذنبهم كما

قال تعالى: { وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } [البروج: ٨].
 وإن من أبشع ذلك ما يحل بإخواننا في الأرض المباركة فلسطين، من عدوان
 أثيم من قبل اليهود الغاصبين، ومن شايعهم من الكفرة الظالمين في تحدٍ سافر،
 وعدوان ظاهر، على مرأى ومسمع من العالم، وفي هذا الشهر الفضيل، حتى
 استباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات، وسفكوا الدماء وبغوا في الأرض فساداً
 وعدواناً، غير مبالين بالعهد الدولية، ولا بالأعراف الإنسانية، { لَا يَرْقُبُونَ فِي
 مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ } [التوبة: ١٠].

وآخرون من إخواننا في بلادٍ شتى، يعيشون أياماً قاسية، ويدوقون مرارات
 متنوعة، قد غلت النكبات أيديهم، وتوالت عليهم نوائب الدهر، واشتد عليهم
 شظف العيش، وانتشر فيهم الجوع وفتكت بهم الأمراض، في أوضاع مؤلمة، ومأس
 محزنة، تذوب منها قلوب أهل الإيمان كمدا وحزناً، فلتلتفتوا - أيها المسلمون -
 إلى إخوانكم المضطهدين في كل مكان، { وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ
 عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [المزمل: ٢٠].

ألا وصلوا وسلموا على نبي الرحمة والهدى، كما أمركم بذلك المولى جل
 وعلا شرفاً و تعظيماً، فقد قال سبحانه: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } الأحزاب: ٥٦ .

اللهم تقبل صيام شهر رمضان منا وعلى قيامه فأعنا وليلة قدره فوفقنا
 ولعبادتك فصرنا و بالقرآن العظيم فاشفنا .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم
 والأموات إنك قريب مجيب الدعوات، والحمد لله رب العالمين.

طور من حفاة الفاروق عمر بن الخطاب

ملخص الخطبة:

- ١- التعرف بعمر رضي الله عنه وشجاعته عندما أعلن إسلامه وهجرته.
- ٢- الصورة الأولى: استشعاره للمسؤولية وتفقدته لأحوال الناس.
- ٣- الصورة الثانية: عام الرمادة والشدة على المسلمين.
- ٤- الصورة الثالثة: امرأة مع صبيائها في خيمة خارج المدينة.
- ٥- الصورة الرابعة: تعهده للمرأة العمياء.
- ٦- الصورة الخامسة: قيامه على ابل الصدقة.
- ٧- الصورة السادسة: قبوله للحق.
- ٨- الصورة السابعة: خشوعه عند العبادة وسماع القرآن.
- ٩- الصورة الثامنة: محاسبته لنفسه.

صور وعبر من حياة الفاروق

الخطبة الأولى:

الحمد لله المبدئ المعيد، الغني الحميد، ذي العفو الواسع، والعقاب الشديد، من هداه فهو السعيد السديد، ومن أضله فهو الطريد البعيد ومن أرشده إلى سبل النجاة ووفقه فهو الرشيد، يعلم ما ظهر وما بطن وما خفي وما علن، وهو أقرب إلى الكل من حبل الوريد. قَسَمَ الخَلْقَ قَسَمِينَ فَرِيقَ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقَ فِي السَّعِيرِ.

إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يَرِيدُ {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} أحمده وهو أهل الحمد والتحميد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ذو العرش المجيد، والبطش الشديد، شهادة تكفل لي عنده أعلى درجات أهل التوحيد، في دار القرار والتأييد وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، أشرف من أظلت السماء، وأقلت البيد ﷺ تسليمًا كثيرًا، وعلى آله وأصحابه أولي العون على الطاعة والتأييد، صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد، ولا تنفد ما دامت الدنيا والآخرة ولا تبيد.

روحي الفداء لمن أخلاقه شهدت *** بأنه خير مبعوث من البشر
عمت فضائله كل البلاد كما *** عم البرية ضوء الشمس والقمر

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }.

عباد الله يقول الله تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى}.

أيها المسلمون: إن الصحابة الأبرار كما تعلمون هم حملة الإسلام وحفظته بعد رسول الله ﷺ اختارهم الله واصطفاهم لصحبة نبيه، ونشر رسالته من بعده،

عدّهم وزكّاهم، ووصفهم بأوصاف الكمال في غير ما آية من كتابه، رضي الله عنهم ورضوا عنه، تالله لقد وردوا الماء عذباً زلالاً وأيدوا قواعد الإسلام فلم يدعوا لأحدٍ مقالاً، فتحوا القلوب بالقرآن:

بيضُ الوجوه ترى بطون أكفهم *** تندى إذا اعتذر الزمانُ الممحلُّ
من كان متأسياً فليتأس بهم ؛ فهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً
وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً.

عباد الله: إن الكلام عن هؤلاء العظماء، وكشف الستار عن الصفحات الناصعة التي سطروها، واجب محتّم علينا في هذا العصر.

أيها الأحبة: لنعيش هذا اليوم معكم في ظلال محطة صور، ومائدة عبر من حياة علم في سلسلة أعلام هذه الأمة المباركة، إنه من أظهر إسلامه يوم كانوا يخفونه، إنه من تقلّد سيفه وتنكب قوسه، وأخرج أسهمه وأتى الكعبة وأشرف قريش في فنائها فطاف سبعاً رغم أنوفهم، وصلى ركعتين، وأتى حلقهم واحدة واحدة يقول: شأهت الوجوه، من أراد أن تتكله أمه، ويستم ولده، وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه أحد.

إنّه مرّقع القميص، وبين يديه الغالي والنفيس، إنّه من يسلك الشيطان فجاً غير فجه، إنّه الوقّاف عند كتاب الله، المجاهد في سبيل الله إنّه القيم والمثل بعينها، وما أروع المثل يوم تكون رجالاً فتكون الأخلاق فعلاً، إنّه العادل إن ذكر العادلون، هو من سهر لينام الناس، وجاع ليشبع الناس، هو من لا تأخذه في الله لومة لائم، هو قائل الحق ولو كان مرّاً إنّه من اشترى أعراض المسلمين من أحد الشعراء بثلاثة آلاف درهم، حتى قال ذلك الشاعر:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدعُ *** شتّمًا يضر ولا مديحًا ينفعُ
ومنعني عرض البخيل فلم يخفُ *** شتمي وأصبح آمنا لا يفزعُ

زلزل عروش الظالمين، ودكّ قلاع الأكاسرة والقياصرة، وخضعت لعدالته الجبابة والأباطرة، إنه الزاهد العالم العابد الغيور الخائف من الله وكفى أظنكم قد عرفتموه إنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه. عمر الذي لا يجهله أحد، وفي نفس اللحظة قلّ أن يعرفه أحد في هذا العصر. يعرف بعضهم بعض أخباره، وثنفاً من نسبه وأعماله أما روح تلك الأخبار فلا يدركها إلا من تأملها من الأخيار، وإني لأرجو الله أن نكون وإياكم من أولئك الأبرار.

الصورة الأولى: عَلِمَ عمر رضي الله عنه أن الخلافة أمانة لا استعلاء، وتكليف لا تشريف، وغُرْمٌ لا غُنْمٌ، فقام يمشي في الأسواق بلا مواكب ولا مراكب يطوف الطرقات يقضي حاجات الناس ويقضي بينهم، يَخْلُفُ الغزاة في أهلهم، يتفقد أحوال رعيته، همهم همُّه، وحزهم حزنه، لينُّ، قوي حازم رحيم، راع أمين، يقول تحت وطأة المسؤولية كما روى [مجاهد] عن [عبد الله بن عمر] يقول: لو مات جَدِّي بطرف الفرات لخشيتُ أن يحاسب الله به عمر يوم القيامة. وفي رواية: لو عثرت دابة بضاف دجلة لخشيتُ أن يسألني الله عنها لِمَ لم تُمهّد لها الطريق يا عمر؟ يا لله! كلمات تدعو للتأمل في شخصية ذلك الرجل الذي ضربت به الأمثال في العدل والزهد والحرص على رعاية الأمة بالليل والنهار. فلا عبقرى يفري فريه في ذلك العهد وفي ذلك الزمن.

أيها الأحبة: إن المسلم وهو يستعرض مثل هذا الموقف ليأسى ويجزن يوم يصبح المسلم في عالمنا الإسلامي يتمنى أن يحظى بالاهتمام الذي كان يحظى به الحيوان في زمن عمر رضي الله عنه، وأعود فأقول وأكرر مراراً وتكراراً: كل ذلك بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير.

الصورة الثانية: كان يرى مسؤوليته عن كل فرد في سربه وأيماً في بيتها ورضيع في مهده هو القائل: ما مثلي ومثل هؤلاء إلا كقومٍ سافروا فدفَعوا نفقاتهم

إلى رجل منهم، فقالوا له: أنفق علينا، فهل له أن يستأثر منها بشيء؟ قالوا: لا يا أمير المؤمنين، قال: فكذلك مثلي ومثلكم.

في عام الرّمادة؛ وهو عام شديد القحط والجذب، ما قُدِمَتْ له لقمة طيبة فأكلها بل كان يؤثر بها الفقراء والمساكين، يوم زار الشام جيء له بطعام طيب، فنظر إليه وقال: يا لله! كل هذا لنا، وقد مات إخواننا لم يشبعوا من خبز الشعير؟! والله لا أطعمه.

جوع الخليفة والدنيا بقبضته *** في الزهد مترلة سبحان موليها

يتغير لونه في عام الرمادة من أبيض حتى يصبح مسوداً من شدة الهمّ بأمر المسلمين يأكل الخبز بالزيت، ويمسح بطنه ويقول: "والله لتمرّننّ أيها البطن على الخبز والزيت مادام السمن يباع بالأسواق، والله لا تشبع حتى يجيى الناس" رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: لما كان عام الرّمادة جاءت وفود العرب من كل ناحية فقدموا المدينة، فأمر عمر رجلاً يقومون بمصالحهم، فسمعتة يقول ليلة من الليالي: أحصوا من يتعشى عندنا، فأحصوهم في القابلة فوجدوهم سبعة آلاف رجل، أما المرضى والعيال الذين لا يحضرون تلك المائدة فقد بلغوا أربعين ألفاً، فكان يرسل إليهم عشاءهم في بيوتهم. فما برحوا حتى أرسل الله السماء.

فوكّل عمر بهم من يخرجهم إلى البادية ويعطيهم قوتاً، وحملاناً، ومتاعاً، وكان قد وقع الموت فيهم فأراه قد مات ثلثاهم، وقد كانت قدور عمر رضي الله عنه يقوم لها العمال من وقت السحر ليعملون الطعام، ونفذ ما في بيت المال، فلم يبق منه قليل ولا كثير.

يروى [ابن كثير] في تاريخه: أن عمر عس ذات ليلة في ذلك العام، وقد بلغ بالناس الجهد كل مبلغ فلم يسمع أحداً يضحك، ولم يسمع متحدثاً في مترله

كالعادة، ولم يرَ سائلاً يسأل، فتعجب وسأل فقيل: يا أمير المؤمنين قد سألوا فلم يجدوا فقطعوا السؤال؛ فهم في همٍّ وضيق لا يتحدثون ولا يضحكون ولا يمزحون، فيا لله! ماذا يفعل عمر؟ قد نفذ كل ما في بيت المال، فكان يث له في الخل بالزيت حتى اسودَّ لونه، وتغير جسمه، وخشي عليه خشية عظيمة ﷺ.

وعن [أبي وجزة السعدي] عن أبيه قال: رأيت عمر خرج بنا يوم الرمادة إلى المصلى يستسقي فكان أكثر دعائه الاستغفار حتى قلت: لا يزيد عليه ثم دعا الله وأوصى الناس بتقوى الله - عز وجل - فقال: اتقوا الله في أنفسكم، وما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم وابتليت بي فما أدري السخطة عليّ دونكم أو عليكم دوني، أو قد عمّتكم وعمتني، فهلّموا فلندعُ الله أن يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا البلاء، فرئيت يومها رافعاً يديه يدعو الله ويكي، والناس يدعون وراءه ويكون، ثم نزل فلم يزل هذا شأنه حتى جاءت الرحمة من الله، وأذن الله للناس بالغيث والفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، فله الحمد أولاً وآخر، وظاهراً وباطناً.

أيها الأحبة: هذه مؤهلات الفرج، وهذه مؤهلات الغوث من رب العالمين؛ الجباه الساجدة لله والعيون الدامعة من خشية الله، والأيدي المتوضئة المرتفعة يا رب يا رب، ومطعمها حلال ومشربها حلال، وتغذيتها حلال فأني يرد من هذا حاله؟ يقول [أسلم]: فلو لم يرفع الله المحل عام الرمادة؛ لظننا أن عمر يموت همماً بأمر المسلمين.

قد عرف مسئوليته تجاه رعيته وراقب الله فيمن تحت ولايته، فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه، عفاً فغفوا وصدق فصدقوا ولو رتع لرتعوا.

قف أيها التاريخ سجل صفحة *** غراء تنطق بالخلود الكامل
حرّك بسيرته القلوب وقد قست *** وعدت بقسوتها كصمّ جنادل

الصورة الثالثة: روى [الإمام أحمد] بإسناد حسن في الفضائل قال: عن [زيد بن أسلم] عن أبيه قال: خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى (حرة واقم) حتى إذا كنا بمرتفع إذ بنار بعيدة فقال عمر: يا أسلم إني لأرى هناك ركباً حبسهم الليل والبرد فانطلق بنا، قال: فخرجنا نُهْرَوِلُ حتى دنونا منهم فإذا هي امرأة معها صببية صغار، وإذا بقدرٍ منصوبة على النار، وصبياها يتضاغون.

فقال: السلام عليكم يا أهل الضوء. قالت: وعليكم السلام، قال عمر: أأدنو؟ قالت: اذنٌ بخير أو دع. فدنا فقال: ما بكم قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: فمال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: الجوع، قال: فأي شيء في هذه القدر؟ قالت: ماء أُسْكِتَهُمْ به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر.

كلمات يهتز لها قلب كل مؤمن، فما بالك بعمر؟ يقول: أي رحمك الله، وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا، ثم يغفل عنا، الله بيننا وبينه.

قال [أسلم]: فأقبل عليَّ عمر به ما به، يقول: انطلق، فأتينا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عدلا من دقيق، وكبة من شحم، ثم حملها عمر على ظهره، فقلت: أحمّلها عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا أمّ لك، أتحمل عني وزري يوم القيامة؟! قال: فانطلقنا حتى أتيناها، فألقى العدل عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً، وجعل يقول: دُرِّي عليّ وأنا أُحْرِكُ، وجعل ينفخ تحت القدر، والدخان يتخلل لحيته، فلو رأيت لرأيت عجباً، ثم أنزل القدر فأنته بصحفة فأفرغ فيها الطعام، ثم جعل يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم، فلم يزل كذلك حتى شبعوا، ثم ترك عندها فضل ذلك الطعام، ثم قام وهي تقول: جزاك الله خيراً. كنت أولى بهذا الأمر من عمر، قال: قولي خيراً، ثم تنحى عنهم واستقبلهم وقد ربّضَ مَرَبُضًا يراقبهم يقول أسلم: فقلت إن له لشأناً وهو لا يكلمني حتى رأى الصبية يصطرعون، ثم ناموا، فقال: ما أسهرهم إلا الجوع، فأحببت ألا أنصرف حتى أرى ما رأيت.

يا لها من كلمة تكشف عن رهافة الحس ونقاء الضمير! كل ذلك قبل أن يعرف العالم حقوق الطفولة، وقبل أن تُنشأ لها المنظمات العالمية، سبق الإسلام إلى تقري حقوق الطفولة والأسرة فرضي الله عن عمر وعن صحبه وعن رسول الله ﷺ ومن قرر مثل هذه الحقوق.

أيها الأحبة: إن هذه الصورة لتذكرنا بصورة أخرى مضيئة في حياة عمر ﷺ يذكر [الأوزاعي] أن عمر خرج في سواد الليل، فراه طلحة فتبعه، فذهب عمر حتى دخل بيتاً، ثم خرج منه وطلحة يراقبه، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل الذي يأتيك؟

قالت: إنه يتعهد بي منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى، فجزاه الله عني خيراً. فيقول طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعثرات عمر تتبع؟ يا لله! هل يفعل الواحد منا مع أهله ما يفعله عمر مع رعيته؟ لا، إنه الإيمان الذي وقر في القلب وصدقه العمل فلا والله لا ينسأه الأيامى والشكالي واليتامى مادام في الأرض أيم أو ثكلى أو يتيم، ولا والله ما تنسأه البطون الجائعة والأكباد الظامئة ما دام في الأرض بطن جائع أو كبد ظمأى.

فمن يباري أبا حفص وسيرته ومن يحاول للفاروق تشبيها
ومن رآه أمام القدر منبطحاً والنار تأخذ منه وهو يُزكِيها
وقد تحلل في أثناء لحيته منها الدخان وغاب فوه في فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على حال تروع لعمر الله رائيتها
يستقبل النار خوف النار في غده والعين من خشية سالت مآقيها

صورة أخرى: كان ﷺ عظيم التواضع للخلق والحق وكل الصور تدل على ذلك. رفعه الله بتواضعه درجات في الجنة. فعن [الفضل بن عميرة] أن [الأحنف بن قيس] قدم على عمر في وفد من العراق في يوم صائفٍ شديد الحر وهو محتجز

بعباءة، يهنأ بغيراً من إبل الصدقة، فقال: يا أحنف ضع ثيابك، وهلم فأعِنُ أمير المؤمنين على هذا البعير؛ فإنه من إبل الصدقة، فيه حق لليتيم والمسكين والأرملة، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، هلا أمرت عبداً من عبيد الصدقة يكفيك هذا، قال عمر: ثكلتك أمك، وأيُّ عبدٍ هو أعبد مني ومن الأحنف. إنه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين، يجب عليه ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة، فيا لله! ورب عمر إن مشهداً كهذا خير من الدنيا وما فيها.

يقول عبد الله بن عمر: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحمل القربة على عنقه، فيقال له في ذلك. فيقول: إن نفسي أعجبتني فأردتُ أن أذها. بل إنه لربما أخذ بيد الصبي يلقاه، فيقول: له ادعُ لي؛ فإنك لم تذب قط. بل إن ابن عباس رضي الله عنه دخل عليه يوم طعن فقال: أبشر يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس وقاتلت مع رسول الله حين خذله الناس، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنك راضٍ، ولم يختلف في خلافتك رجالان.

فقال عمر: أعد، أعد. فأعاد. فقال عمر: المغرور من غر. ولو أن لي ما على ظهرها من بيضاء وصفراء لافتديتُ به من هولِ المطلاع، وددتُ أني أنجو كفافاً لا أجر لي ولا وزر. {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

وكان متواضعاً للحق يقبله في السر والعلن، لقد كان بينه وبين رجل كلام في شيء - كما أورد [ابن الجوزي] في تاريخه - فقال له الرجل: اتق الله يا أمير المؤمنين. فقال له رجل من القوم: أتقول لأمر المؤمنين اتق الله؟! فقال له عمر على الفور: دعه، فليقلها لي، نعم ما قال. لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نقبلها منكم. يا ليت هذه الكلمة تكون عنواناً ولجاماً يلجم به نفسه كل من ولي

من أمر المسلمين شيئاً صَعُرَ أو كَبُرَ إذا لصلح الحال، وتغيرت الحال، وكسدت سوق النفاق. ولكن أشد عيوبنا أننا إذا ما نُصِحْنَا خَدَّرْنَا الكبرياء.

كان خوفه من الله عظيمًا بل ما قاده وحاده لتلك الأعمال المُشْرِقة الخالدة إلا خوفه من الله عز وجل. كان يمر بالآية فيغلبه البكاء وهو يصلي بالناس، حتى يقول ابنه عبد الله: إني لأسمع حنينه من وراء ثلاثة صفوف، وإنه لينشج حتى أقول: اختلفت أضلاعه. بل ذُكِرَ أَنَّهُ خرج يعس ليلة من الليالي فمر بدار رجل من الأنصار، فوافقه قائمًا يصلي، يوم كانت دور المسلمين تعمر بالقرآن لها دوي كدوي النحل، وقف يستمع لقراءته فقرأ {وَالطُّورِ* وَكِتَابٍ مُسْتُورٍ} حتى بلغ {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ* مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} فقال عمر: قسم حق ورب الكعبة، ثم نزل عن حماره، واستند إلى حائط فمكث مليًا به ما به، ثم رجع إلى منزله فعاده الناس، لا يدرون ما مرضه؟ هذه حاله مع آية من آيات القرآن. فما حالنا مع كتاب الله؟

عُمِّيُّ عَنِ الذِّكْرِ وَالآيَاتِ تَنْدُبُنَا *** لو كَلَّمَ الذِّكْرَ جُلْمُودًا لَأَبْكَاهُ

كان شديد المحاسبة لنفسه، يقول أنس: خرجت مع عمر فدخل حائطًا، فسمعتة يقول ويبني وبينه جدار: عمر أمير المؤمنين بخٍ وبخٍ والله لتتقين الله أو ليعذبك الله، فهلا خلا أحدٌ منَّا بنفسه يعاتبها ويحاسبها، علها أن تذكر الله فتسبل دمعة يستحق بها أن يكون ممن يستظل بظل الله يوم لا ظل إلا ظله، نشكو إلى الله قسوة قلوبنا وغفلتنا، ونسأله بعزته وقدرته أن يلين قلوبنا فيه حتى تكون ألين من الزبد. هو ولي ذلك والقادر عليه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ والمعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمدُه سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

صورة أخرى أيها الأحبة: إن الزهد في الدنيا، والإعراض عن طلب زينتها، والعزوف عن شهواتها من كمال الإيمان ورجاحة العقول. إذ الدنيا حقيرة، وزينتها خداع وسراب، شهواتها آلام تدفع بآلام، عرف ذلك الفاروق فركلها وقد أناخت عند قدميه. وذلك - والله - هو الزهد بعينه.

ذكر [السيوطي] في كتابه تاريخ الخلفاء الراشدين أن [ابن سعد] أخرج أن [حفصة] [وعبد الله] ابني عمر كلما عمر فقالا له: "لو أكلت طعامًا طيبًا كان أقوى لك على الحق. قال: أكلكم على هذا الرأي؟ قالوا: نعم، قال: قد علمت نصحكم لي، ولكني تركته، لقد تركني صاحباي على جادة؛ يعني رسول الله ﷺ وأبا بكر فإن تركت جادتهما لم أدركهما في المتزل.

له أمنياتٌ قَدَسَ اللهُ سِرَّهَا *** لتحقيقها في الأرض يرسو ويبحرُ
يَكِلُّ جناح النسر دون بلوغها *** وفي درهما الخيل الأصيله تعثرُ
يذكر [القرطبي] في تفسيره عن [قتادة] أنه قال: ذُكِرَ لنا أن عمر رضي الله عنه قال:
لو شئتُ لكنتُ أطيبيكم طعامًا وألينيكم لباسًا ولكني أستبقى طيباتي للآخرة.

قال: ولما قدم الشام صنِعَ له طعامٌ لم يُرَ مثله، قال: هذا لنا! فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا ولم يشبعوا من خبز الشعير؟

فقال خالد بن الوليد: لهم الجنة، فاغرورقت عينا عمر بالدموع، وقال: لأن كان حظنا من هذه الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم بالجنة، لقد باينونا بونا بعيداً، ثم أجهش بالبكاء.

لقد تلقى الزهد دروساً عملية تربوية من سيد الزاهدين محمد ﷺ فاسمع يوم يروى [مسلم] فيقول: دخل عمر على النبي ﷺ وهو في مشربة له فالتفت في بيت

رسول الله ﷺ وسلم فلم يجد شيئاً يرُدُّ البصرَ إلا جلوداً قد سطع ريحها، ورسول الله مضطجع قد أثرت حبال السرير في جنبه الشريف ﷺ فتدمع عينا عمر رضي الله عنه فيقول ﷺ ما بك يا [عمر]؟

فيقول: أنت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا، [وكسرى] [وقيصر] في الدياج والحريير وما تعلم؟! فاستوى ﷺ جالساً وقال: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟! أولئك أقوام عجلت لهم طيباتهم في الدنيا. أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟" أو كما قال: ﷺ {وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ}

تموت الأسد في الغابات جوعاً *** ولحم الضأن تأكله الكلابُ
وعبد قد ينام على حريير *** وذو نسب مفارشه الترابُ

بمثل هذا الدرس النبوي الشريف تشبعت روح عمر بمعاني الكمال وأصبح في ذلك نعم المثال. يدخل بيته ذات يوم وقد أصابه الجوع، فقال: أعندكم شيء؟ فقالت امرأته: نعم ما تحت السرير، فتناول وعاءً من تحت السرير فيه تمر فأكل ثم شرب من الماء ثم مسح على بطنه، وقال: الحمد لله، ويل لمن أدخله بطنه النار! ويل لمن أدخله بطنه النار! ونهدي هذه المقالة للذين لا يتورعون، أأكلوا من حلال أو حرام؟

هاهو عمر والرهط المؤمنون معه أمام غنائم كسرى من الفرس؛ بساط كسرى وسواريه وجواهره وحلله وأمواله، وبينما هو كذلك إذ بعينه تذرِف الدموع حرّى يكفكفها بطرف ثوبه. فيقولون: ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فينهد باكياً، قائلاً: فدت نفسي رسول الله وهو الأحب إلى الله منا فدت نفسي أبا بكر وهو عند الله خير منا، وآ لهف نفسي! مضوا إلى الله وخلفونا، ولم يروا من زهرة الدنيا شيئاً، ثم فُتح علينا من الدنيا ما ترون، وأخشى

أن تكون طبيبات عجلت لنا. فضج المسجد بالبكاء فما تسمع إلا النشيج والحنين.
إيه يا عمر !

قد عشت عمرك زاهداً في كل ما جمع البشر

أتعبت من سيجيء بعدك في الإمارة يا عمر.

صورة أخرى: أورد ابن كثير في تاريخه عن قيس بن الحجاج قال: "لما
فُتِحَتْ مصر أتى أهلها إلى عمرو بن العاص حين دخل بؤونة شهر من أشهر العجم
فقالوا له: أيها الأمير؛ إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها، فقال لهم: وما ذاك؟
فقالوا: إذا كانت اثني عشرة ليلة تخلوا من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر بين
أبويها فأرضينا أباهما، وحملنا عليها من الحلبي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في
النيل، فقال لهم عمرو عليه السلام: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما
كان قبله، ومنعهم فأقاموا ثلاثة أشهر والنيل لا يجري منه قليل ولا كثير فتنة وابتلاء
من الله حتى هموا بالجللاء من مصر، فلما رأى عمرو بن العاص ذلك الأمر وما حل
بهم، كتب إلى عمر بن الخطاب عليه السلام بذلك فكتب إليه عمر: لقد أصبت بالذي
فعلت والإسلام يهدم ما قبله، ثم كتب بطاقة داخل كتابه، وقال لعمر: إني قد
بعثت إليك ببطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل إذا أتاك الكتاب، فلما قدم كتاب
عمر أخذ البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد،
فإن كنت إنما تجري من قبلك فلا تجري، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي
يجريك فنسأله أن يجريك. فألقى عمرو البطاقة في النيل، وقد تهيأ أهل مصر للجللاء
والخروج منها؛ لأنها لا تقوم مصلحتهم فيها إلا بالنيل، فلما ألقى البطاقة أصبحوا
وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة فقطع الله عادة السوء تلك عن أهل
مصر إلى اليوم. الله أكبر من أطاع الله وصدق وأخلص مع الله طَوَّعَ الله له كل
شيء طَوَّعَ له الجبال والأنهار والقلوب والأرواح وأتته الدنيا راغمة.

اللهم إنا نشهدك على حبنا لنبيك محمد ﷺ وصحابته الكرام، والتابعين لهم بإحسان.

اللهم ألحقنا بهم، اللهم احشرونا في زمرةهم وإن قصرت آمالنا وأخلاقنا عنهم.

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

اللهم ارحم هذه الأمة رحمة عامة، تعز فيها أولياؤك، ويذل فيها أعداؤك. اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك. اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك. يا ذا الجلال والإكرام،

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين . والحمد لله رب العالمين .

وظيفة المسجد في الإسلام

ملخص الخطبة :

- ١- المسجد دار للتعبد من صلاة ودعاء وقراءة للقرآن واعتكاف.
- ٢- المسجد دار للتعلم والتعليم.
- ٣- المسجد دار للفتوى ومحكمة للقضاء.
- ٤- المسجد دار للدعوة والإرشاد.
- ٥- المسجد رباط يأوي إليه المحتاجون.
- ٦- المسجد مقر لشورى أهل الحل والعقد.
- ٧- المسجد دار لاستقبال الوفود والمفاوضات.
- ٨- المسجد ساحة للتدرب على الفروسية.
- ٩- المسجد منطلق لتصحيح الأوضاع الفاسدة و المخالفات الشرعية.
- ١٠- المسجد مركز للوحدة و التلاحم والتكافل بين الأمة الإسلامية.

وظيفة المسجد في الإسلام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

أما بعد:

فإن وظيفة المسجد في الإسلام شاملة لأكثر مناحي الحياة، ولقد حاول بعض أعداء الله تعالى قصر دور المسجد في الأمة على بعض الشعائر التعبديّة فقط؛ لخطر المسجد - في نظرهم - في تربية المسلمين على هدي النبي ﷺ ولكي لا يخرج جيل تربي على مائدة النبوة، وسنحاول في هذه الدقائق معرفة بعض وظائف المسجد في الإسلام لكي نطبق دين ربنا وهدى نبينا ﷺ للفوز بسعادة الدارين.

فأول وظيفة للمسجد في الإسلام أنه:

أولاً : دار للتعبّد من إقامة للصلوات والدعاء وقراءة للقرآن والاعتكاف:

كان مسجد النبي ﷺ موضعاً لإقامة الصلاة الخاشعة لله ربّ العالمين في أوقاتها المعلومة، إضافة إلى النوافل، وكانت الصلوات اليومية تقام جماعة بإمامة رسول الله ﷺ وكانت صلاة الجمعة أكثر الصلوات اهتماماً من قبل المسلمين، إذ من خلالها

بيث النبي ﷺ ثوابت الإسلام وقواعده العظام، إضافة إلى عبادة الاعتكاف والتسبيح والذكر كما قال سبحانه: { فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ }

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَازُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ» رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ فَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنْنَ الْهُدَى وَلَعَمْرِي لَوْ أَنَّ كَلَّكُمْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ وَلَقَدْ رَأَيْتُ الرَّجُلَ يُهَادِي بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الصَّفِّ وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ فَيَعْبُدُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَمَا يَخْطُو خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً" رواه مسلم.

وفي صلاة التراويح ورد عن عائشة زوج النبي ﷺ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ ثُمَّ صَلَّى اللَّيْلَةَ الْقَابِلَةَ فَكَثَرَ النَّاسُ ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ" رواه البخاري ومسلم.

وفي قراءة القرآن في المسجد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رواه مسلم.

ثانياً : المسجد دار للتعلم والتعليم:

كان المسجد في عهد النبي ﷺ معهداً لتعلم القرآن الكريم وتلاوته وتعلم أحكام الشريعة الإسلامية، ومفاهيمها، منذ أيامه الأولى وحث ﷺ على هذا الدور العلمي بقوله ﷺ: «مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا لَمْ يَأْتِهِ إِلَّا لِيُخَيَّرَ بِتَعَلُّمِهِ أَوْ يُعَلِّمَهُ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَنْ جَاءَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الرَّجُلِ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعٍ غَيْرِهِ» أخرجه ابن ماجه في المقدمة، وقال اسناده صحيح.

وهذا المقصد التعليمي أوضحه وبينه ﷺ في حديثه ليفرق بينه وبين إقامة الصلوات في المساجد، ولم يقتصر الدور التعليمي للمسجد على الرجال فقط بل نافست عليه النساء أيضاً... وقد أعجبت عائشة أم المؤمنين بإقبال الأنصاريات على العلم فقالت: "نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين" رواه البخاري ومسلم.

وقد كان المسجد هو الجامعة العلمية التي خرجت أئمة الدين والصحابة الملتزمين، وحفظة الشرع العظيم عبر الحلق العلمية التي كان يعقدها النبي ﷺ في المسجد لما ورد عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل نفر ثلاثة فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فلما وقفا على مجلس رسول الله ﷺ سلما فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فادبر ذاهباً فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن نفر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله فأواه الله وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه» رواه البخاري ومسلم.

وعن عبد الله بن عمرو قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم من بعض حجره فدخل المسجد فإذا هو بحلقتين إحداهما يقرءون القرآن ويدعون الله والأخرى يتعلمون ويعلمون فقال النبي ﷺ: «كل على خير هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله

فَإِنْ شَاءَ أَعْطَاهُمْ وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُمْ وَهَؤُلَاءِ يَتَعَلَّمُونَ وَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّمًا فَجَلَسَ مَعَهُمْ» رواه ابن ماجة.

كما أن التعليم في المسجد يكتنفه جو عبادي يكون فيه المعلم والمتعلم أقرب إلى الإخلاص والتجرد والنية الحسنة ولذلك تجد غزارة العلم وإتقانه عند كثير ممن تعلموا في المساجد بخلاف طلاب المدارس والجامعات، والواقع التاريخي يشهد بذلك، كما أن التعليم في المسجد أشمل حيث يدخله جميع طبقات المجتمع على اختلاف مستوياتهم العلمية، بخلاف المدارس والجامعات، كما أن علماء المساجد وطلابها أقرب إلى عامة الشعب من غيرهم حيث تجد عامة الناس يقبلون على عالم المسجد وطلابه ويستفيدون منهم كما تجد عالم المسجد وطلابه يهتمون بعامة الناس في التعليم والدعوة أكثر من غيرهم ولا شك أن هذا الارتباط له مزاياه الكثيرة في التعليم والدعوة والتوجيه.

ثالثاً : المسجد دار للفتوى ومحكمة للقضاء:

كان النبي ﷺ يجلس لأصحابه في المسجد يسألونه ويحييهم وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه (باب ذِكرِ العِلْمِ وَالْفُتْيَا فِي الْمَسْجِدِ) ثم ساق حديثاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَجُلًا قَامَ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَيْنَ تَأْمُرُنَا أَنْ نُهَلِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُهَلُّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ وَيُهَلُّ أَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ وَيُهَلُّ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ»، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَيُهَلُّ أَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمَلَمَ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ لَمْ أَفْقَهُ هَذِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ" رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ فَقَالَ كَيْفَ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَقَالَ: «مَثْنَى مَثْنَى فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ تُوتِرُ لَكَ مَا قَدْ صَلَّيْتَ» رواه البخاري ومسلم.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ قَالَ احْتَرَقْتُ قَالَ مِمَّ ذَاكَ قَالَ وَقَعْتُ بِامْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ قَالَ لَهُ تَصَدَّقْ قَالَ مَا عِنْدِي شَيْءٌ فَجَلَسَ وَأَتَاهُ إِنْسَانٌ يَسُوقُ حِمَارًا وَمَعَهُ طَعَامٌ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَيْنَ الْمُحْتَرِقُ فَقَالَ هَا أَنَا ذَا قَالَ خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ قَالَ عَلَى أَحْوَجَ مِنِّي مَا لِأَهْلِي طَعَامٌ قَالَ فَكُلُوهُ، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ أُبَيِّنُ قَوْلَهُ أَطْعِمَ أَهْلَكَ. رواه البخاري ومسلم.

وكان النبي ﷺ يقضي في المسجد وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه: باب من قضى ولاعن في المسجد، ثم أورد حديثاً عن سهلٍ أخي بني ساعدة أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ فقال: أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً أيقنله؟ فتلاعنا في المسجد وأنا شاهد. رواه البخاري ومسلم.

رابعاً: المسجد دار للدعوة والإرشاد:

كان المسجد النبوي هو منطلق الدعوة إلى الله، كما كان يجري فيه الحوار مع الدينيين من أصحاب الديانات السابقة، وأصحاب الآراء والاجتهادات المخالفة للإسلام، كما تجري دعوة هؤلاء، وأولئك إلى اتباع الهدى، والتمسك بالإسلام الحنيف، وقد كان النبي ﷺ هو القدوة في تعليم الناس أمور دينهم، ودعوتهم إلى الحق والصواب، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ دخل المسجد فدخل رجل فصلى فسلم على النبي ﷺ فرد وقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثاً فقال والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعاً ثم ارفع حتى تعدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً وأفعل ذلك في صلاتك كلها» متفق عليه.

وقد كان من أساليب دعوته أحياناً أن يجلس الأسير المدعو في المسجد ليتعرف على الإسلام عن قرب كما حصل مع ثمامة بن أثال رضي الله عنه سيد بني حنيفة فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ما عندك يا ثمامة» فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم علي شاكراً وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت فترك حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك إن تنعم تنعم علي شاكراً فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة فقال عندي ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فأنطلق إلى نجل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله يا محمد والله ما كان علي الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فمأذا ترى فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من الإمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم» رواه البخاري و مسلم.

خامساً: المسجد رباط يأوي إليه المحتاجون.

كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مأوى للمحتاجين، فكان به مكان يسمى (الصفة) يسكن به من لا سكن له من الفقراء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يشرکهم فيما يهدى إليه ويخصهم بالصدقة التي تأتيه وكان إذا قدم عليه قوم ولا مأوى لهم أنزلهم صلى الله عليه وسلم في المسجد لما ورد عن أنس قال: قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في الصفة وقال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كان أصحاب الصفة الفقراء. رواه البخاري.

وقد كان القراء من الأنصار يجتطبون ويبيعون الحطب ويشترون به الطعام لأهل الصفة كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: أن أبعث معنا رجالاً يُعلِّمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يُقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يحيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللقراء فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم قبل أن يبلغوا المكان فقالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا قال وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه فقال حرام فزت ورب الكعبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا» متفق عليه.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأثر ويبدو عليه الحزن والغضب إذا أوى إلى المسجد من حلت به الفاقة ولم يجد من يتصدق عليه، بل ويجمع أصحابه في المسجد لحثهم على الإنفاق والصدقة على الفقراء والمحتاجين، فعن المنذر بن جرير عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة محتاجي النمار أو العباء متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة إلى آخر الآية إن الله كان عليكم رقيباً» والآية التي في الحشر { اتقوا الله ولتنظروا نفس ما قدمت لعدو واتقوا الله } تصدق رجل من دينار من درهم من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت قال ثم تتابع الناس حتى رأيت كومي من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

سَنَ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةٌ حَسَنَةٌ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سَنَةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ) رواه مسلم.

كما كان المسجد مكاناً لوضع الصدقات وتوزيع ما أفاء الله على رسوله لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل جاد بعشرة أوسقٍ من تمرٍ بقنو يعلق في المسجد للمساكين" سنن أبي داود.

وعن أنس رضي الله عنه قال: أُتِيَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: «اأُثْرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ جَاءَ فَحَلَسَ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَعْطَاهُ» متفق عليه.

كما كان المسجد هو مأوى الشباب الذين لازلوا عزاباً لا أهل لهم، ويقرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، كما روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقْصَاهَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَكُنْتُ غُلَامًا شَابًّا أَعْزَبَ وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم" رواه البخاري.

كما كان المسجد مكاناً لراحة غير المحتاجين، وملاذاً لمن ضاقت به نفسه في منزله بسبب محاصرة أو غيرها لما ورد عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مُسْتَلْقِيًّا فِي الْمَسْجِدِ وَأَضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَعُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا يَفْعَلَانِ ذَلِكَ. رواه البخاري ومسلم. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ والمعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: وإن من وظائف المسجد كذلك:

سادساً: أنه مقر لشورى أهل الحل والعقد:

كان النبي ﷺ يجمع أصحابه في المسجد إذا طرأ أمر أو أراد أن يشاورهم في قضية من القضايا كما حصل ذلك في استشارتهم في أصحاب الإفك، فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ما تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِي قَوْمٍ يَسُبُّونَ أَهْلِي مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ... وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سُبْحَانَكَ { مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } رواه البخاري ومسلم

وعن عروة، فذكر قصة أحد وإشارة النبي ﷺ على المسلمين بالملكث في المدينة وأن كثيراً من الناس أبوا إلا الخروج إلى العدو قال ولو تناهوا إلى قول رسول الله ﷺ وأمره كان خيراً لهم، ولكن غلب القضاء والقدر، قال وعامة من أشار عليه بالخروج رجال لم يشهدوا بدرًا وقد علموا الذي سبق لأهل بدر من الفضيلة فلما صلى رسول الله ﷺ صلاة الجمعة وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والاجتهاد ثم انصرف من خطبته وصلاته فدعا بلامته فلبسها ثم أذن في الناس بالخروج...). المستدرك على الصحيحين للحاكم.

قال الإمام ابن تيمية: "وكانت مواضع الأئمة ومجامع الأمة هي المساجد، فإن النبي ﷺ أسس مسجده المبارك على التقوى ففيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب، وفيه السياسة وعقد الأولوية والرايات وتأمير الأمراء وتعريف العرفاء، وفيه يجتمع المسلمون لما أهمهم من أمر دينهم ودنياهم. الفتاوى الكبرى سابعاً : المسجد دار لاستقبال الوفود والمفاوضات .

كان النبي ﷺ يستقبل الوفود ويكرمهم ، وقد كثر الوفود وخاصة بعد فتح مكة وإسلام ثقيف وفراغه من تبوك ولم يكن ثمة مكان إلا المسجد فعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله ﷺ أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ولا يُعشروا ولا يُجَبَّوا فقال رسول الله ﷺ لكم أن لا تحشروا ولا تُعشروا ولا خير في دين ليس فيه رُكوعٌ. سنن ابن ماجه

ثامناً: المسجد ساحة للتدرب على الفروسية. منه منطلق المجاهدين وإليه عودتهم.

لقد كان مسجد النبي ﷺ محل الإعداد للجهاد ومنه الانطلاق وإليه العودة ، بل لقد ترك ﷺ بعض جنود الإسلام يتدربون فيه على السلاح وهو ينظر إليهم وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم من خلفه كما قال: عروة بن الزبير أن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حُجرتي والحبشة يُلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبيهم. رواه البخاري ومسلم

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "واللعب بالحِراب ليس لعباً مجرداً بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب والاستعداد للعدو، وقال المهلب: المسجد موضوع للأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه فتح الباري شرح صحيح البخاري .

وفي قصة كعب بن مالك حين تخلف قال: (وَكَانَ إِذَا قَدِمَ ﷺ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكَعَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ) رواه البخاري و مسلم.

كما كان من العدة للمعركة إلهاب الحماسة بالأشعار والرد على الكفار في المسجد، إذ كان ذلك لا يقل أهمية عن عدة الحرب حتى أن النبي ﷺ كان يدعو الله أن يؤيد حسان بروح القدس فقد ورد عن أبي هريرة أن عمر مر بحسان وهو يُنشد الشعر في المسجد فلحظ إليه فقال: قَدْ كُنْتُ أَنْشِدُ وَفِيهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ ثُمَّ التفت إلى أبي هريرة فقال: أَنْشِدْكَ اللَّهُ أَسْمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ أَجِبْ عَنِّي اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ. متفق عليه.

تاسعاً: المسجد منطلق لتصحيح الأوضاع الفاسدة و المخالفات الشرعية.

كان مسجد النبي ﷺ مكان التوجيه والتصحيح للمخالفات الشرعية ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأُتَيْبَةِ عَلَى صَدَقَةٍ فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ - قَالَ سُفْيَانُ أَيْضًا فَصَعِدَ الْمِنْبَرِ - فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَأْتِي يَقُولُ هَذَا لَكَ وَهَذَا لِي فَهَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَأْتِي بِشَيْءٍ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُورًا أَوْ شَاةً تَبْعُرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَتِي إِبْطِيهِ أَلَا هَلْ بَلَغْتَ ثَلَاثًا) رواه البخاري و مسلم.

كما كان المسجد مكاناً لإعلان أسس الإسلام وعدم التمايز على أساس النسب أو غيره من أمور الجاهلية في تطبيق الأحكام الشرعية، فقد صح عن عائشة زوج النبي ﷺ أن قرينها أهمهم شأن المرأة التي سرقت في عهد النبي ﷺ في غزوة الفتح فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا ومن يحترق عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فأتى بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد

فَتَلَوْنَ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ اسْتَعْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاخْتَطَبَ فَأَتْنِي عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنِّي وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَطَعْتُ يَدَهَا» رواه البخاري و مسلم.

كما كانت خطبة الجمعة مصدراً من مصادر البيان لقواعد الإسلام والتصحيح للمخالفات الشرعية.

عاشراً : المسجد مركز للوحدة و التلاحم و التكافل بين المسلمين.

كان النبي ﷺ يتفقد أصحابه في المسجد فكان إذا غاب شخص سأل عنه ما فعل فلان ، فإن كان مريضاً عاده ودعا له وإن ألم به شيء جمع أصحابه لمساعدته فقد ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ افْتَقَدَ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمُهُ فَأَتَاهُ فَوَجَدَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ مِنْكَسًا رَأْسُهُ فَقَالَ لَهُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ شَرٌّ كَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ حَبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَأَتَى الرَّجُلُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ مُوسَى فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْمَرْءَ الْآخِرَةَ بِبِشَارَةٍ عَظِيمَةٍ فَقَالَ أَذْهَبَ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَلَكِنَّكَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) رواه البخاري و مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ أَوْ شَابًا فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ فَقَالُوا مَاتَ قَالَ أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي قَالَ فَكَانَتْهُمْ صَعْرُوا أَمْرَهَا أَوْ أَمْرَهُ فَقَالَ دُلُونِي عَلَى قَبْرِهِ فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ قَالَ إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» متفق عليه.

كما أن المسجد موقع للتجمع والتلاقي بين المؤمنين، وكم لهذا التجمع والتلاقي اليومي في داخل المسجد من عطاء كبير في كيان الأمة والمجتمع؛ إذ أنه يعطي الجماعة المؤمنة قوة ومناعة مما قد يفرقها أو يعيث بأفكارها، بل ويؤكد الإسلام تأكيداً كبيراً على فضيلة الصلاة في المسجد؛ لأن الصلاة في المسجد تزرع الروح الجماعية والتكافل حيث يتعارف أبناء الحي الواحد، ومع مرور الأيام يألف بعضهم بعضاً وتدخل بينهم المحبة في الله ثم تتقوى بينهم أواصر الأخوة الإسلامية، وعند ذلك تظهر آثار هذا التعارف وهذه الأخوة في الله في ترابط أفراد المجتمع وانسجامهم جميعاً في أسرة واحدة، فالكبير يرحم الصغير ويعطف عليه، والصغير يحترم الكبير ويوقره والغني يجود على الفقير، وإذا وقع أحد أفراد الحي بمصيبة أو أصابته جائحة في ماله وجد من إخوانه من يواسيه ويعيده إلى حال كريمة، كما قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» رواه البخاري و مسلم.

وأخيراً فإني أذكر بالوعيد الرباني كل متآمر على وظيفة المسجد وكل ساعٍ لخراب المساجد وتحييدها عن حياة الأمة بقول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: ١١٤].

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين. والحمد لله رب العالمين.

نعمة الامن

عناصر الخطبة:

- ١ - مقدمة عن الأمن.
- ٢ - تعريف الأمن لغة واصطلاحاً.
- ٣ - عناية الإسلام بالأمن.
- ٤ - مقومات الأمن في الأوطان.
أولها: تحكيم شرع الله.
ثانيها: إصلاح العقيدة .
ثالثها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
رابعها: شكر النعم .
خامسها: الاستقرار السياسي .
سادسها: الاستقرار الاقتصادي .
سابعها: جهاز الأمن القوي .
ثامنها: التزام الإعلام بالمنهج الإسلامي.

نعمة الأمن

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين: حب الأمان مطلب فطري لكل الناس وهذا الأمان والأمان من الخير الذي فطر الله الإنسان على حبه لقوله تبارك وتعالى عن الإنسان وإنه لحب الخير لشديد.

وفي ظل الأمان والأمان تحلو العبادة ويصير النوم ثباتاً والطعام هنيئاً والشراب مريئاً وهو مطلب الشعوب كافة والأمان هبة من الله لعباده ونعمة يغبط عليها كل من وهبها ولا عجب في ذلك فقد قال الله تعالى: {فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف} وقال ﷺ: «من أصبح آمناً في سربه معافاً في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بما فيها».

ومن أجل استتباب الأمن في المجتمعات جاءت الشريعة الغراء بالعقوبات الصارمة والحدود القاطعة حفظاً للأمن والأمان.

غضب النبي ﷺ على من شفع في حد من حدود الله وأكد على ذلك بقوله: «وأيّم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وما ذلك إلا من أجل سد باب الذريعة المفضية إلى التهاون بالحدود أو التقليل من شأنها ولا عجب في ذلك فإن في قتل مجرم واحد حياة هنيئة لأمة بأكملها كما قال سبحانه: «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون» وقال ﷺ: «لحد يقيم في الأرض أحب إليكم من أن تمطروا أربعين يوماً»؛ لأن في إقامة الحدود ردع لأولئك الذين في قلوبهم مرض وقديماً قيل القتل أنفى للقتل.

عباد الله: إن نعمة الأمن والاستقرار لمن أعظم النعم التي يظفر بها الإنسان فيكون آمناً على دينه أولاً ثم على نفسه وعلى ماله وولده وعرضه بل وعلى كل ما يحيط به ولا يكون ذلك إلا بالإيمان والابتعاد عن العصيان؛ لأن الأمن مشتق من الإيمان والأمانة وهما مترابطتان قال الله جل في علاه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [الأنعام: ٨٢].

والمقصود بالظلم هنا الشرك كما بينه الله في وصية لقمان لابنه: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] وبين النبي ﷺ ذلك في مواضع عدة.

والأمن هو طمأنينة النفس والاستقرار في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية في الدولة شاملاً لكل طبقات المجتمع مع أمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وقدرة الدولة على الدفاع عن نفسها من أي اعتداء خارجي على الأرض والثروات والمصالح الداخلية والخارجية.

والأمن كذلك هو السلامة والاطمئنان على ما تقوم به حياة الإنسان من مصالح وأهداف وأسباب ووسائل ويشمل أمن الفرد وأمن المجتمع.

والأمن هو الأساس في ازدهار الحضارة وتقدم الأمم ورفي المجتمعات وإذا ضاع الأمن اختلت الحياة وتوقف موكب التقدم وأصبح هم كل فرد هو الحفاظ على أمنه وأمن من معه دون النظر إلى أي شيء مهما كان ولقد اهتم الإسلام بالأمن غاية الاهتمام واعتبره هدفاً لذاته فلقد دعا القرآن الكريم بشكل صريح وفي آيات كثيرة إلى المحافظة على الأمن بكافة جوانبه محافظاً على الكليات والضرورات التي لا تقوم الحياة إلا بها وهي حفظ الدين، والنفس والعقل والمال والعرض، بل جاءت لحفظها جميع الشرائع والأديان،

كما أن الإسلام يعتبر الأمن من أعظم نعم الله على الإنسان لهذا اهتم بالمحافظة عليه غاية الاهتمام فنهى عن كل ما يخل بالأمن مهما كان صغيراً.

فقد نهى ﷺ عن ترويع المسلم فقال: { لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً } وقال: { لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً }، لأن فيه ترويع له.

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالأمن مراعاته لأحوال الناس في حالة فقدان الأمن أو في حالة اختلاله وخوف الإنسان والناس مما قد يحدث لهم.

ومن ذلك إسقاط أو تخفيف بعض التكاليف الشرعية كالتييمم عند وجود سبب أو غيره مما يخيف، وتشرع صلاة الخوف عند عدم الأمن فيصلح على حسب حاله حتى أنه يجوز له الصلاة إلى غير القبلة وترك الركوع والسجود والاستعاضة عنهما بالإيماء إذا اضطر إلى ذلك.

كما يأمر الإسلام بحفظ الأمن حتى لغير المسلمين كأهل الذمة والمستأمنين ما داموا ملتزمين بالعهد مؤدين ما اشترطه الإسلام عليهم يدل على ذلك ما جاء في الحديث: أن زيد بن سعنه وكان من أحبار اليهود جاء إلى النبي ﷺ يطالبه بدين له

لم يجل أجله ومع ذلك تعامل مع النبي ﷺ بقسوة وجلا فه فجذب النبي من ثوبه وأغلظ له في القول فنهر عمر رضي الله عنه اليهودي وهدده بالقتل ولكن النبي ﷺ كان يتبسم ويقول لعمر: «أنا وهو كنا أحوج لغير هذا يا عمر كنا أحوج أن تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي»، ثم قال النبي ﷺ لعمر: لقد بقي من أجل الدين ثلاث، وأمر عمر أن يقضيه حقه ويزيده عشرين صاعاً من تمر مقابل التهديد الذي هدده فكان ذلك سبباً في إسلامه.

بل إن الإسلام لشدة اهتمامه بتوفير الأمن والطمأنينة للناس لا يمانع من عقد اتفاقيات أو معاهدات دولية إلى أجل مسمى حتى مع غير المسلمين طالما أن الهدف من هذه العهود والمواثيق والاتفاقيات هو إقامة الحق والعدالة ورفع الظلم عن المظلومين وحفظ حقوق الإنسان التي يدعون أنهم يحفظونها.

ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ قد حضر حلف الفضول الذي تعاقدت قريش عليه في الجاهلية وأثنى عليه؛ لأنه يهدف إلى نصرة المظلومين وردع الظلمة فقال ﷺ: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت لمثله في الإسلام لأجبت»؛ لأن فيه نصرة للمظلومين وفيه ردع للظلمة والطغاة والمتكبرين.

وحتى ننعم بالأمن والأمان في الأوطان لا بد من مقومات وضوابط على رأسها: أولاً: تحكيم شرع الله بين الناس؛ لأنه الضامن الوحيد للعدل والمساواة بين الناس فلا ضامن للعدل بين الناس إلا منهج لا إله إلا الله لذلك كان اتباع الأنبياء هم الضعفاء لأن منهج لا إله إلا الله يضمن لهم العدل والمساواة مع الآخرين، ومن صور عدل الإسلام التي لا يمكن أن تتكرر في أي شريعة أخرى ومن الأمثلة على ذلك: اختصام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه مع يهودي في درع له، فذهب إلى القاضي شريح ولما لم تكن عند علي رضي الله عنه بينه إلا شهادة ابنه

الحسن ومولاه قنبر وهي شهادة لا تقبل شرعاً فقد حكم القاضي بالدرع لليهودي رغم أنه يعلم أن الدرع لعلي عليه السلام. فمن مثل علي لا يكذب ولا يدعي ما ليس له به حق ورغم أن اليهود أشد الناس عداوة للمسلمين ولكن القاضي طبق مبدأ العدل في القضاء حتى مع الأعداء فذهل اليهودي من ذلك الحكم وقال بل الدرع لأمر المؤمنين، وقال هذا والله هو الدين الحق وكان ذلك سبباً في إسلامه فأكرمه علي عليه السلام ووهبه الدرع ووهبه فرساً معها، هذا هو ديننا وهذه هي أخلاقنا.

ثانياً: إصلاح العقيدة بإخلاص العبادة لله تبارك وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

لا بد من إخلاص العبودية لله ولا بد من تصحيح العقيدة حتى ننعى بالأمن والأمان والمعنى واضح لا يحتاج إلى مزيد بيان.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا هو سبب خيرية هذه الأمة به تنتشر الفضيلة وبه تنقمع الرذيلة وهو وظيفة كل فرد في المجتمع. وبتركه تحل العقوبات ويختل الأمن ليس المطلب أن نكون صالحين لكن لا بد أن نكون مصلحين لحديث زينب بنت جحش، أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ من نومه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب، فتوح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وعقد سفيان بيده عشرة، قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثرت الخبث» متفق عليه.

ولا خير في مجتمع لا يحارب الرذيلة ويدعو إلى الفضيلة قال صلى الله عليه وسلم: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يسلط عليكم عذاباً فتدعونه فلا يستجيب لكم».

رابعاً: شكر النعم بالقلب والجوارح والأركان وذلك بالإقرار بالمنعم وحبه والثناء عليه واستعمال تلك النعم في طاعته، أما ترون أن النعم لا تدوم إلا بحقها قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧].

انظر ماذا يصنع كفران النعم بالأمم والشعوب قال الله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢] يعني لم تقدر تلك النعم حق قدرها ولم تقم بشكرها وأداء الفضل الذي لله فيها فحول ذلك الأيمن إلى خوف وجوع بما كانوا يصنعون.

خامساً: الاستقرار السياسي للبلاد فهو من أهم عناصر استتباب الأيمن انظر إلى تلك الدول وإلى تلك الديار التي تعاني من عدم الاستقرار السياسي لا يآمن الناس على حياتهم ولا على أموالهم ولا على أعراضهم فكيف يهنئون بطعام وشراب في ظل فقد الأيمن والأيمان.

ولقد اهتم الإسلام بتأمين استقرار البلاد فأمر بطاعة ولاة الأمر في غير معصية لله وجعل طاعتهم متممة لطاعته وطاعة الرسول ﷺ فقال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩] وحذر الإسلام من الخروج على الحكام فقال ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» صححه الألباني إرواء الغليل، بل شدد في الالتزام بطاعة ولي الأمر مهما كان أصله ونسبه لحديث أبي ذر قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ» رواه مسلم.

ولأهمية الأمر وخطورته لم يجعل الإسلام ارتكاب الحاكم لبعض المعاصي والمخالفات مبرراً للخروج عليه ما لم يصل ذلك إلى إعلان الكفر البواح الذي يكون عليه دليل قاطع لحديث عبادة قال: "دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعَنَا، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا تُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»، قَالَ: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» متفق عليه.

كما أوصي ولاية أمور المسلمين بتقوى الله والرفق بالرعية وأذكريهم بقول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَكَلِي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَكَلِي مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَفَرَّقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» رواه مسلم.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله المبدئ المعيد، ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، أحمده سبحانه وأشكره؛ فبالشكر تدوم النعم وتزيد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أنذر القريب والبعيد، ﷺ وبارك وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: عباد الله وإن من مقومات الأمن:

سادساً: الاستقرار الاقتصادي للبلاد نعم فتأمين الحياة الطيبة للجميع بتوفير حاجاتهم وسد مطالبهم يوفر الأمن للبلاد والعباد فشرع الإسلام الزكاة وحث على الصدقات وأمر بالعدل بتوزيع الأعطيات بسد حاجات الناس وتلبية رغباتهم قال

الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النحل: ٩٠].

سابعاً: وجود جهاز أمن قوي يقوم بتطبيق دين الله والمحاسبة على من يخالفه ولا بد أن يكون هذا الجهاز الأمني قوي بكل ما تعنيه القوة؛ قوي بإيمانه وبأفراده وقوي بسلاحه وخبرته والأهم من هذا أمانة ونزاهة فلقد حث القرآن الكريم أن يكون الموظف والعامل متصفاً بالقوة قال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

ولا بد من توافر هذه الصفات في رجال الأمن؛ لأنه مؤتمن على نفوس الناس وعلى أعراضهم وعلى أموالهم وحتى يكون جهاز الأمن قوياً نزيهاً لا بد له من ضوابط وأمور أولها تقوى الله تبارك وتعالى وهي جماع الخير كله ورجل الأمن التقى هو الذي يراقب الله في كل أحواله فيقوم بعمله خير قيام.

مرَّ ابن عمر رضي الله عنهما على ربيع غنم يرتاد بأغنامه أحسن المراعي وأحسن الأماكن فأراد أن يمتحنه في تلك الخلوة فقال له امتحانا:

بعنا من هذه الشياه فقال ربيع الغنم إني مؤتمن ولا أستطيع أن أتصرف في أي شيء من هذا فقال له ابن عمر رضي الله عنهما وأرضاه قل لصاحبها قد أكلها الذئب فقال ربيع الغنم وما أقول لربي يوم القيامة فبكى ابن عمر وأرسل إليه من يعتقه. ومن مقومات الأمن:

ثامناً: التزام الإعلام بالمنهج الإسلامي فالإعلام سلاح ذو حدين فكم أفسد الإعلام بسلاحه الآخر في بيوت المسلمين وأحدث فيها خللاً لا يعلمه إلا الله، كم أفسدت الشاشات والقنوات وأقلقت الأمن الاجتماعي بإثارة الشهوات والطاقات الجنسية عند الشباب والشابات فلجأ بعضهم إلى الحرام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

هذه مقومات الأمن لجميع الأوطان على قدر حرصهم يكون لهم الأمن من الله والأمان وعلى قدر تفريطهم يحل عليهم العذاب والهوان.

عباد الله إن الذنوب والمعاصي هي أعظم سبب لزوال الأمن واختلال الأمان وما يحصل اليوم من فتن وبلايا وجرائم مخلة بالأمن هي بسبب كسب الأيدي وجزاء الأعمال التي تصدر من العباد قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]

وعن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا النبي ﷺ فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويجهروا بما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم» رواه ابن ماجه وصححه الألباني في الجامع برقم (٧٩٧٨).

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنه ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة، قال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور: ٣١].

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا ولاة أمورنا واجعل ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع رضاك يا رب العالمين اللهم وفق ولاة أمور المسلمين للعمل بكتابك وسنة نبيك يا رب العالمين اللهم اجعلهم سلماً لأوليائك حرباً على أعدائك يا حي يا قيوم اللهم من أرادنا وبلادنا وبلاد المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل كيده في نحره يا رب العالمين.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}،

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

صنائع المرفوف

ملخص الخطبة

- ١- مصائب الدنيا .
- ٢- حق المسلم على أخيه المسلم .
- ٣- فضل تفريج الكرب وقضاء الحوائج .
- ٤- علاج الكرب والهم .

صنائع المعروف

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا }.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله: إن أعباء الدنيا جسام، والمتاعب تتل بالناس من اليتامى والأرامل والغرباء والضعفاء والمعسرين. والإنسان بمفرده أضعف من أن يصمد طويلاً تجاه هذه الشدائد، ولئن صمد فإنه يبذل من الجهد ويقاسي من المعاناة ما كان في غنى عنه لو أن إخوانه التفتوا إليه وهرعوا لنجدته وأعانوه في مشكلته، فالمرء قليل ضعيف بنفسه كثير قوي بإخوانه.

ومن حق المسلم على أخيه المسلم أن يتألم لألمه، ويجزن لحزنه، ويعينه على دفع كربته، أما موت العاطفة وقلة الاكتراث وكأن الأمر لا يعنيه فهو تنكّر لهذه الأخوة، فضلاً عن أنه جفاء في الخلق وجمود في الطبع.

والتألم الحق هو الذي يدفعك إلى كشف ضوائق إخوانك، فلا تهدأ حتى تزول الغمة وتنكشف الظلمة، «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته».

عباد الله، إن من رحمة الله حين خلق المعروف أن خلق له أهلاً فحببه إليهم وحبب إليهم إسداءه، ووجههم إليه كما وجه الماء إلى الأرض الميتة فتحيا به ويحيا به أهلها، وإن الله إذا أراد بعبد خيراً جعل قضاء حوائج الناس على يديه، ومن كثرت نعم الله عليه كثر تعلق الناس به، فإن قام بما يجب عليه لله فيها فقد شكرها وحافظ عليها، وإن قصر وملّ وتبرّم فقد عرضها للزوال، ثم انصرف الناس عنه.

وقد ورد في الحديث: «إن لله أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع عباده، يقرّها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحوّنها إلى غيرهم» أخرجه الطبراني وابن أبي الدنيا وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره.

وعن ابن عباس مرفوعاً: «ما من عبد أنعم الله عليه نعمة وأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرّم فقد عرض تلك النعم للزوال» رواه الطبراني بسند جيد وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

وقال ﷺ أيضاً: «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه، ومن أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» رواه مسلم. فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء، والجزاء من جنس العمل، فكما تعامل الخلق في الدنيا يعاملك الخالق في الآخرة فاحتر لنفسك.

ولما سئل نبينا ﷺ عن أحب الناس إلى الله وأحب الأعمال إلى الله، قال: «أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبَّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً — أي: المسجد النبوي — ومن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظمَ غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهياً له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» رواه الأصبهاني وصححه الألباني في الترغيب.

وخيرُ عبادِ الله أنفعهم لهم رواه من الأصحاب كلُّ فقيه
وإن إله العرش جلَّ جلاله يُعينُ الفتى ما دامَ عونَ أخيه

فهنيئاً لمن يسارعُ في صنائع المعروف وقضاءِ حوائجِ الناس، وهنيئاً للموظف الذي يسعى لذلك ولو لم يكن من صميم عمله، أو مساعدة محتاج أو تنفيس كربة مكروب مهموم، هنيئاً لمن شفع شفاعة حسنة له أجرها وبرّها في الدنيا والآخرة، قال حبيبا ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء» رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن والألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره

وقال: «وكلُّ معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة». رواه الطبراني في الأوسط وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره

والغبطة — أيها الأحبة — فيمن يسرَّ الله له خدمة الناس وأعانه على السعي في مصالحهم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه.

إن دروب الخير — أيها المسلمون — كثيرةٌ وحوائجُ الناس متنوعة: إطعامُ جائع وكِسوةُ عاري وعبادةُ مريض وتعليمُ جاهل وإنظارُ معسر وإعانةُ عاجز

وإسعافٌ منقطع، تطردُ عن أخيك همًّا وتزيلُ عنه غمًّا، تكفلُ يتيماً وتواسي أرملة، تُكرمُ عزيزَ قومٍ ذلٍّ وتشكرُ على الإحسان وتغفرُ الإساءة، تسعى في شفاعاة حسنة تفكُّ بها أسيراً وتحقن به دمًا وتجرُّ بها معروفًا وإحسانًا، وشهادةٌ حق تردُّ وتحفظُ بها حقًا لمظلوم.

كلُّ ذلك تكافلٌ في المنافع وتضامنٌ في التخفيف من المتاعب وتنفيسٌ للكروب ودفعٌ للخطوب، وتصبيرٌ في المضائق وتأمينٌ عند المخاوف، وإصلاحٌ بين المتخاصمين، وهدايةٌ لابن السبيل، فإن كنتَ لا تملكُ هذا ولا هذا فادفع بكلمة طيبة وإلا فكفَّ أذاك عن الناس، فإنه صدقةٌ منك على نفسك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرُك بالمعروف ونهيُّك عن المنكر صدقة، وإرشادُك الرجلَ في أرضِ الضلال لك صدقة، وإمطتُك الحجرَ والشوكَ والعظمَ عن الطريق لك صدقة، وإفراغُك من دلوك في دلو أخيك صدقة» رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

نعم أيها الإخوة، كلُّ معروف صدقة، وأهلُ المعروف في الدنيا هم أهلُ المعروف في الآخرة، والصدقةُ تطفئُ غضب الرب، وصلة الرحم تزيدُ في العمر، والمال إن لم تصنع به معروفًا أو تقض به حاجة أو تدخر لك به أجرًا فما هو إلا لوارثٍ أو لحادث، وصنائع البر والإحسان تستعبدُ بها القلوب.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحساناً والشحيحُ البخيلُ كالحُ الوجه، يعيشُ في الدنيا عيشةَ الفقراء، ويجاسبُ يوم القيامة حسابَ الأغنياء، فلا تكن خازنًا لغيرك.

أيها الإخوة إن صفوة العيش لا يدومُ وإن متاعب الحياة ليست حكرًا على قوم دون قوم، وإن حساب الآخرة لعسير، وخُذلان المسلم شيءٌ عظيم.

المسلمون اليوم هانوا أفرادًا وهانوا أُممًا، حين ضعفت فيهم أواصيرُ الأخوة، ووهت فيهم حبالُ المودة واستحكمت فيهم الأنايات، وساد حب الذات، فوقعت الآفات، ومحقت البركات. فعن مصعب بن سعد قال رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلًا على من دونه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» رواه البخاري.

وعند النسائي: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما تنصر هذه الأمة بضعيفها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم» وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فاتقوا الله رحمكم الله، وأصلحوا ذات بينكم ولتكن النفوسُ سخيةً والأيدي بالخير ندية، واستمسكوا بعرى السماحة، وسارعوا إلى سداد عَوَزِ الْمُعْوزِينَ، ومن بذلَ اليوم قليلًا جناه غدًا كثيرًا.

تجارةٌ مع الله رابحة، وقرضٌ لله حسن مردودٌ إليه أضعافًا مضاعفة، إنفاقٌ بالليل والنهار والسر والعلن،

قال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ١١٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي رسوله الكريم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، له الملك وله الحمد، هو المتفضل وصاحب الفضل، هو الكريم وصاحب الكرم، خلق عباده وفضل بعضهم على بعض، وجعل بعضهم فوق بعض درجات، يعزّ ويذل، يغي ويفقّر، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: ٢٣].

والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، الذي وصفته زوجته خديجة رضي الله عنها لما بُعث: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق" فكان المصطفى يفرج كرب المعدم ومن أصابته النوائب، ﷺ وبارك وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فالمعروف أفضل كثر، ولا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله، وتصغيره، وستره، فمن وفق لبذل المعروف والإحسان إلى الناس فليكن ذلك بنية صالحة ووجه طلق ومظهر بشوش، وليحرص على كتمان معرفه وإحسانه مراعاة للإخلاص وحفظاً لكرامة أخيه المسلم.

أيها الإخوة في الله، ويبلغ الأدب غايته حين يعلم باذل المعروف أن ما يقدمه من المعروف هو حق لمن قدمه لهم، ساقه الله على يديه، فلا ينتظر منهم جزاءً ولا شكوراً، بخلاف من يتبع معرفه بالمن والأذى، فإنه يمحق أجره ويُيطل ثوابه، ويُعرض ما أنعم الله به عليه للزوال.

فالمال والجاه والمنصب وغيرها كلها من الله، هو واهبها، وهو القادر أن يسلبها من العبد في أي لحظة.

فيا من جعل الله حوائج الناس إليه، ابذل المعروف لهم، صدقة وإحساناً، مساعدة وشفاعة، فقد كان السلف رحمهم الله يفرحون بقضاء حوائج الناس أيما فرح، يقول حكيم بن حزام: "ما أصبحت وليس بيبي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب". وأنت أخي المحتاج، يا صاحب الحاجة، ويا أيها المكروب، لا تكن عن الله غافلاً أو معرضاً، ولا تكن على غيره معتمداً أو متوكلاً، فربما وكلك الله إلى نفسك أو إلى من سألتهم قضاء حاجتك فتخسر الدين والدنيا.

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكليني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت» حديث صحيح.

وعن علي رضي الله عنه قال: علّمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين» رواه أحمد وهو صحيح.

وكان نبينا ﷺ إذا كربه أمر يقول: «يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث»، فالله هو فارح الهمّ وكاشف الكرب وميسر العسير ومسهّل الأمور والناس عن دعاء ربه غافلون، وعن سؤاله والإلحاح عليه معرضون، وبغيره من البشر متعلّقون، وعليهم معتمدون، وهذا نقص في التوحيد وكماله، وخلل في التوكل وصدقه، «قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [آل عمران: ٢٦].

أيها الإخوة المؤمنون، ليس للمعروف حدّ، بل لا يقتصر بذل المعروف على بني آدم، فحتى البهائم والحيوان في بذل المعروف لها أجر، فالرحمة في ديننا شملت البهائم حتى القطط والكلاب، قال رسول الله ﷺ: «دخلت امرأة النار في هرة؛ حبستها لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض» متفق عليه، وفي صحيح مسلم: «إن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف في بئر قد أدلّع لسانه من العطش، فترعت له موقها — أي: خفها — فسقته فغُفِر لها».

فيا عباد الله، إن كانت الرحمة وبذل المعروف لكلب من امرأةٍ بغيةٍ أوجب لها ما أوجب، ألا تكون الرحمة وبذل المعروف والإحسان للمسلمين أعظم وأنفع؟! فالمعروف وصنائع المعروف تثمر حتى مع البهائم العجماء.

يذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء عند حديثه عن الإمام سفيان الثوري رحمه الله قال: يقول أبو منصور: بات سفيان الثوري في هذا البيت، وكان هنا بلبل لابني، فقال سفيان: ما بال هذا محبوساً؟! لو خُلِّي عنه، قال: فقلت: هو لابني وهو يهبه لك، قال سفيان: لا، ولكن أعطيه ديناراً، قال: فأعطاه ديناراً وأخذ البلبل وخلّي عنه. يقول أبو منصور: فكان البلبل يذهب يرعى فيجيء بالعشي — آخر النهار — فيكون في ناحية البيت، فلما مات سفيان الثوري تبع البلبل معنا جنازته — سبحان الله العظيم — فكان البلبل يضطرب على قبره، ثم اختلف بعد ليالٍ إلى قبره، فكان ربما بات عند القبر، وربما رجع إلى البيت، ثم وجدوه ميتاً عند قبر سفيان الثوري رحمه الله، فدفن عنده.

هكذا يصنع المعروف مع الطير والبهائم فكيف مع بني الإنسان؟! كيف مع إخواننا المسلمين؟! إنه لأعظم أجراً ومثوبة ونفعاً في الدنيا والآخرة.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء .. ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا بأبصارنا وقواتنا أبداً ما أحييتنا واجعله اللهم الوارث منا ،

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال: [إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً]، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

أسباب صلاح الأمة

ملخص الخطبة:

- ١- صلاح الأمة ببعثة النبي ﷺ .
- ٢- النهي عن الإفساد بعد الإصلاح .
- ٣- صلاح الأمة بتحكيم شرع الله تعالى .
- ٤- صلاح الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- ٥- صلاح الأمة بإقامة الحدود الشرعية .
- ٦- صلاح الأمة بالعناية بالتعليم والتربية .
- ٧- صلاح الأمة بصلاح إعلامها .
- ٨- ضوابط الصراع الفكري .
- ٩- حقيقة حبّ وطن الإسلام .

أسباب صلاح الأمة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

عباد الله، لقد بعث الله رسوله محمداً بالهدى ودين الحق، بعثه على حين فترة من الرسل واندراس من العلم والهدى، وقد أطبق على الأرض جهلٌ عظيم وضلال مبین، واندرست الملة الحنيفية، فأصبحت الخليفة في فوضى في كل أحوالها عقيدة وسلوكاً ومنهجاً وعلاقات فردية واجتماعية، فبعث الله محمداً رحمة للعالمين، كما قال سبحانه: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] [الأنبياء: ١٠٧]. أجل، إنه رحمة للعالمين كلهم، ورسالته رسالة عالمية، [تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا] [الفرقان: ١].

رحم الله به الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم، من آمن به وأتبعه عاش في خير في دنياه وآخرته، ومن لم يؤمن به عاش تحت ظل عدالة الإسلام آمناً مطمئناً.

أيها المسلمون، بعث الله محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. دعا إلى الله بمكة واهتم بالعبادة وتثبيتها في النفوس واستئصال داء الشرك من القلوب، وهاجر إلى المدينة ففرضت الفرائض وحُدَّت الحدود وشرعت الأحكام، فما توفي إلا وقد أكمل الله به الدين وأتم به النعمة وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.

أيها المسلمون، إن الله ذكرنا هذه النعمة فقال لنا في كتابه العزيز: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف: ٥٦].

عباد الله: لتدبر هذه الآية: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}. حقًا إن الله أصلح بمحمد البلاد، وأصلح به العباد، أصلح به الأرض وساكنيها، وقطع دابر الفساد فساد الأرض وفساد ساكنيها بما جاء به من الخير والنور والهدى، فصلوات الله وسلامه عليه أبدًا دائمًا إلى يوم الدين، يقول لنا ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم» رواه مسلم.

إن الصلاح والفساد أمران متناقضان، أحدهما مضاف للآخر، وإذا وجد أحدهما حقًا انتفى الآخر أو ضعف. إذا فعل سؤالاً يرد: ما معنى صلاح الأرض؟ وكيف تصلح الأرض؟ وكيف تفسد؟ وكيف صلاح ساكنيها وفسادهم؟

نعم أيها المسلمون، إن صلاح البلاد والعباد هو بشرع الله القويم، وإن الفساد في الأرض وفساد العباد عندما تتحلَّى الخليفة عن شرع الله، فشرع الله هو المصلح للأرض معنويًا وحسيًا وترك الدين هو المفسد للأرض حسًا ومعنى.

وأسباب الصلاح هي:

أولاً: تحكيم كتاب الله وسنة رسوله، فهما من أعظم وسائل الإصلاح إذ الكتاب والسنة أحكامهما هي الأحكام العادلة على الإطلاق؛ لأنها أحكام صادرة

من ربنا جل وعلا، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [المك: ١٤]. فأحكامُ شرع الله هي الأحكامُ العادلةة، وسواها أحكامُ ظالمة جائرة، مهما أراد أربابُ القوانين الوضعية ومهما بذلوا قصارى جهدهم أن يوجدوا للخليفة أحكاماً تعدل بينهم فلن يستطيعوا لذلك سبيلاً، أحكامُ متناقضة، ونظمٌ متباينة، وليسَ أعدلَ من حكم الله لقوم يوقنون.

إنَّ الله أنزل كتابه العزيز ليكون نبراساً للأمة ودستوراً ترجع إليه ومنهج حياة تستقي منه نظمها ومنهجها لتكون على طريقة مستقيمة، {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُعْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} [الحج: ١٨، ١٩]. فأحكامُ الله أحكامٌ عادلة، كما صلح بها الرعيل الأول يصلح بها الخلق إلى يوم القيامة، وصدق إمامُ دار الهجرة مالكُ بن أنس رحمه الله حيث يقول: "النَّ يُصلح آخرَ هذه الأمة إلا ما صلح به أولها".

ثانياً: الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر فهو من أعظم وسائل إصلاح البلاد، إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلق هذه الأمة كما قال تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: ١١٠]. وهو صمامُ أمانٍ لهم، به تحقن الدماء وتُصان الأعراض وتحفظ الأموال وتثبت دعائم الأمن ويعيشُ الناس في خيرٍ. وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحصل التمكين في الأرض ويستمر العطاء وتمتدُّ قوَّة الأمة وصلتها برها جل وعلا، قال سبحانه: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [الحج: ٤٠، ٤١].

وبالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ تجتمع القلوب وتتآلف النفوس، وبتركه فرقةُ الأمةِ وضعفها، وفي الحديث: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وبالأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتزل عذاب الله على الأمة، كما قال سبحانه: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧].

أي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى الظالمة بظلم وأهلها مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى.

ثالثاً: تنفيذُ حدودِ الله، فهي من وسائل إصلاح البلاد والعباد، فهي الحدود الشرعية التي جعلها الله حاجزاً بين المجرمين وإجرامهم، كلما تذكّر المجرم ذلك الحدّ ردّعه عن إقدامه وحال بينه وبين فساده لأنّه يعلم المصير المحتوم، وقد قال تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٧٩].

وفي الحديث: «لحدُّ يُقام في الأرضِ خيرٌ من أن تمطّروا أربعين خريفاً» أخرجه أحمد وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

نعم حدُّ يُقام في الأرض يصلح الله به البلاد والعباد خير من مطر أربعين عاماً؛ لأنّ المطر منفعته محدودة وحدود الشرع مصلحةٌ عامّة للفرد والمجتمع في الحاضر والمستقبل.

ومن أسباب صلاح الأمة واستقامة حالها رابعاً: العناية بالتعليم والتربية على الوجه الشرعي، فأمة الإسلام بأمرٍ حاجةٌ إلى مناهج مؤصّلةٍ تأصيلاً صحيحاً مبنية على قواعد الشرع حتى تكون مناهج نافعةٌ ومناهج مثمرةٌ ومناهج مؤثرة تقضي على أسباب الفرقة والاختلاف، وتبعد التطرّف بكلّ نوعيه من [غلو] وجفاء. مناهج تصل حاضرنا بماضيها، وتعلم حاضرنا بسيرة ماضيها وسلفنا الماضي وأمجاده الماضية.

مناهج يعلم بها كل متعلم حال الماضين وسيرتهم الفاضلة وأعمالهم الجليلة، يعرف بها الرعيل الأول من هذه الأمة؛ بأي شيء سادوا، وبأي أسلوب سادوا وقادوا، وما أسباب بروزهم ونفوذهم وسيطرتهم على أرجاء المعمورة وإزالتهم الظلم عن العباد، رعاء الشاء والبعير بأي قوة سيطروا وبأي قوة تمكّنوا؟

إنها العقيدة السليمة والتربية الصالحة والمنهج القويم والسلوك الحسن والإخلاص لله في القول والعمل والتفاني في أداء الواجب، حتى رفعوا أعلام الإسلام على أرجاء المعمورة، وتردّدت "لا إله إلا الله"

إن الأمة بحاجة إلى مناهج أصيلة تؤصل العقيدة في النفوس، ثم تمتد لتربّي الأجيال المستقبلية على كل خلق عظيم، وتربط حضارتها ورقّيتها برباط الشرع، فدين الإسلام ليس عقبة أمام أيّ تقدم للأمة ورقّي لها، وليس حاجزاً أمام الأمة أن تبلغ الشاؤ البعيد صناعياً ومادياً، لكنه يربط كل ذلك بالمنهج الإسلامي الصحيح لتنتقل الأمة في كل تصرفاتها من منهج إسلامها العظيم الذي يهيئها لكل خير ويأمرها بالأخذ بالأسباب وقوة العلم والمعرفة واتّساع الآفاق في كل علوم الحياة،

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى. واعلموا أن من أسباب صلاح الأمة: خامساً: أن يكون الإعلام الإسلاميّ إعلاماً واقعياً وإعلاماً متجرداً وإعلاماً يحمل على عاتقه هموم الأمة ومشاكلها؛ ليعالج قضاياها ويعالج مشاكلها ويخاطب فتياتها وشبابها بخطاب يمكن من خلاله تأصيل القيم والفضائل ومكافحة الشرور ومحاربة الدعايات المضلّة والقنوات الخليعة والقنوات المنحرفة عن الهدى.

إنّ إعلام الأمة متى قويّ بثه وقويّت برامجه وأخذ على عاتقه هموم الأمة يعالج مشاكلها ويدافع عن قضاياها ويزيل عنها كلّ غشاوة وشبهات ضالة تعلق بها المنحرفون فذاك هو واجبها ليكون إعلاماً نافعاً ومنبراً توجيه وإصلاح.

أيها المسلمون، إنّ الصراع الفكريّ يجب أن يقف عند حدّه، ولا يجاوز حدّه. إنّ لنا ثوابت ومسلّمات يجب أن تكون بعيدة عن نقاش صحفيّ أو إعلامي، يجب أن تكون النقاشات الإعلامية في قضايا الأمة وفي طرح أيّ مصلحة للأمة تخدم دينها وأخلاقها، أمّا ثوابت الأمة فيجب أن تكون بعيدة عن أيّ نقاش.

إنّ الأمة اليوم بحاجة إلى وحدة الصفّ، وبخاصّة إلى الالتحام في هذا الزمن الذي تضاعفت فيه التكتّلات السياسيّة والاقتصاديّة، وأريد بالأمة ما أريد بها، ولكن يأبي الله ذلك، وله الفضل والمنّة، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف: ٨].

إنّ البلاد الإسلاميّة إذا أرادت لنفسها القوّة والثبات فلا بدّ أن تعود إلى شرع الله لتجد فيه الأمن والاستقرار والطمأنينة.

أيها المسلمون: إن حبّ المسلم لوطن الإسلام أمرٌ مطلوب، لكن كيف يكون المسلم محباً لوطنه؟ وكيف يكون مدافعاً عن وطنه؟ وكيف يكون مصلحاً لوطنه؟

إِنَّ حَبَّ الْوَطَنِ حَقًّا يَتَمَثَّلُ فِي حَبِّ الْخَيْرِ لِلْأُمَّةِ وَالسَّعْيِ فِيهَا يَصْلِحُهَا وَإِبْعَادِ
شَبْحِ أَيِّ خِلَافٍ وَنِزَاعٍ يُرَادُ بِهِ تَفْرِيقُ كَلِمَتِهَا.

إِنَّ الْأُمَّةَ بِأَمْسٍ الْحَاجَةِ إِلَى الْاجْتِمَاعِ وَالتَّالْفِ وَالْقُوَّةِ وَالانْتِظَامِ حَتَّى لَا يَجِدَ
الْعَدُوُّ ثَغْرًا يَلْجُ مِنْ خِلَالِهِ.

إِنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَقُولُ أَوْ يَكْتُبُ قَدْ يَكْتُبُ مَا لَا يَدْرِي عَنْ أْبْعَادِ مَا يَكْتُبُ وَلَا
عَنْ نَتَائِجِ مَا يَكْتُبُ، فَلْيَتَّقِ الْمُسْلِمُونَ رَبَّهُمْ فِي أُمُورِهِمْ كُلِّهَا.

إِنَّ الْجُهُودَ يَجِبُ أَنْ تَتَضَافَرَ مِنْ كُتَابِنَا وَمِنْ خُطْبَائِنَا وَمِنْ أُمَّةٍ مَسَاجِدِنَا مِنْ
كُلِّ فِرْدٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا يَصْلِحُ الْأُمَّةَ وَيُثَبِّتُ دَعَائِمَ أَمْنِهَا وَيُخَلِّصُهَا مِنْ كُلِّ
الْأَفْكَارِ الدَّخِيلَةِ عَلَيْهَا، وَمِنْ كُلِّ الْآرَاءِ الشَّاطِطَةِ الَّتِي لَا تَخْدِمُ هَدَفًا وَلَا تَحَقِّقُ غَرَضًا.

فاحذر — أخي المسلم — من أن تكونَ عدوًّا لدينك أو عدوًّا لأُمَّتِكَ، كن
مُحِبًّا لِلْخَيْرِ سَاعِيًّا فِيهِ دَاعِيًّا إِلَيْهِ مُؤَلِّفًا لِلْقُلُوبِ جَامِعًا لِلْكَلِمَةِ سَاعِيًّا بِمَا يَصْلِحُ الْأُمَّةَ
فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَنَفْسٍ طَيِّبَةٍ.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَحْفَظَ الْجَمِيعَ بِحِفْظِهِ، وَأَنْ يَعِيدَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ.
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عَيْشَ السَّعْدَاءِ وَمَوْتَ الشَّهْدَاءِ وَالْحِشْرَ مَعَ الْأَتَقِيَاءِ وَمُرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ
اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا
تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ وَمَنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مِصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَا اللَّهُمَّ بِأَسْمَاعِنَا
بِأَبْصَارِنَا وَقَوَاتِنَا أَبَدًا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ اللَّهُمَّ الْوَارِثَ مِنَّا ،

أَلَا وَصَلُوا وَسَلَمُوا عَلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَقَدْ أُمِرْتُمْ بِذَلِكَ فِي
كِتَابِ اللَّهِ حَيْثُ قَالَ: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا}، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَارْضَ
اللَّهُمَّ عَنْ خَلْفَائِهِ الْأَرْبَعَةِ وَعَنْ سَائِرِ الْآلِ وَالصَّحَابَةِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَاتَّبَعَ
سَبِيلَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَكَرَمِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

علو الهمة

ملخص الخطبة:

- ١- علو الهمة مجمع الفضائل.
- ٢- ثناء الله عز وجل على عالي الهمة.
- ٣- علو همته ﷺ وكذا أصحابه والسلف من بعدهم.
- ٤- دنو الهمة خلق المنافق وضعيف الإيمان.
- ٥- أسباب علو الهمة.
 - أ- العلم والبصيرة.
 - ب- الإخلاص وإرادة الآخرة.
 - ج- كثرة ذكر الموت.
 - د- اليقين بالله سبحانه.
 - هـ- وضوح الهدف والغاية.
 - و- الدعاء واللجوء إلى الله تعالى.
 - ز- الابتعاد عن مهبطات الأعمال.
 - ح- صحبة أولي الهمم العالية.

علو الهمة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فإن من محاب الله ومحاسن الأخلاق وطيب السجايا علو الهمة.

فكبير الهمة من يتحرى الفضائل، ومصالح العباد، شاكراً بذلك نعمة الله، وطالباً به مرضاته، غير مكترث بقلة مصاحبيه، فإنه إذا عظم المطلوب قلّ المساعد، وطُرق العلياء قليلة الإيناس، قليل سالكه لكن الله نبه فيه إلى الرفيق لإزالة الوحشة فقال: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: 69].

وقال سفيان بن عيينة: "اسلكوا سبيل الحق، ولا تستوحشوا من قلة أهلها".

وقال عمر رضي الله عنه: "لا تصغرن همتك فإني لم أر أقعد بالرحل من سقوط همته".

إذا قامرت في أمر عظيم فلا ترضى بما دون النجوم

إن كبير الهمة لا يزال يخلق في سماء المعالي، ولا ينتهي تحليقة دون عليين، فهي غايته العظمى وهمه الأسمى، حيث لا نقص ولا كدر، ولا تعب ولا نصب، ولا هم ولا غم ولا حزن، وإنما هي نور يتلأأ، ويريحانه تهنتر، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وفاكهة نضيحة، وزوجه حسناء جميلة، وحلل كثيرة، في مقام أبدي، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا} [الكهف: ١٠٧، ١٠٨]. وقال سبحانه: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: ١٠، ١١].

كما أن عالي الهمة يعرف قدر نفسه في غير كبر ولا غرور، قد صانها عن الرذائل، وحفظها من أن تهان، ونزهها عن دنيا الأمور، وجنبها مواطن الذل، بأن يحمّلها ما لا تطيق أو يضعها فيما لا يليق بقدرها، فتبقى نفسه في حصن حصين وعز منيع، لا تعطى الدنية ولا ترضى بالنقص ولا تقنع بالدون.

فلا ترضى المعايب فهو عار عظيم يورث المحبوب مقتا

عباد الله: إن أعلى الناس همة هم الأنبياء وقد تجلت همتهم في مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل.

وقد أثنى الله عليهم وفي طليعتهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: ٣٠].

وقال له ربه: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ} [الشرح: ٧] فانتصب داعياً إلى ربه حتى لحق بربه.

ولما ذهب ﷺ يدعو أهل الطائف إلى الله سلطوا سفهاءهم لإيذائه ورجموه بالحجارة، فأرسل الله تعالى إليه ملك الجبال، فقال مرني يا محمد أطبق عليهم الأحشيبين (جبلين في مكة) فقال ﷺ إني لأرجوا الله أن يخرج من أصلاهم من يقول لا إله إلا الله. إنه ﷺ لعلو همته منتظر للأجيال القادمة ليبلغهم دعوة الله.

قال الإمام ابن القيم: كمال الإنسان بهمة ترقبه وعلم يبصره ويهديه.
 قال تعالى: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: ١٤٨]، وقال: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ} [الحديد: ٢١]، وقال: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصفات: ٦١]، وقال: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [المطففين: ٢٦].

عباد الله: إن الخواص في كل وقت يقل عددهم ولكن يجلب قدرهم، حتى إذا ماتوا فهم أحياء فكم من أناس موتى تحيا القلوب بذكرهم وأناس أحياء تموت القلوب برؤيتهم.

ففز بعلم تعش حياً به أبداً الناس موتى وأهل العلم أحياء
 أخي الكريم: إذا هممت فبادر، وإن عزمت فثابر، واعلم أنه لا يدرك المنافر من رضي بالصف الآخر:

أسرعكم إلى الصلاة أسرعكم إلى الجنة، وشر صفوف الرجال آخرها.
 وقد كان رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من العجز والكسل، وعلمنا علو الهمة كما ورد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة) رواه البخاري.

وكما عند مسلم من حديث ربيعة بن كعب قال: كنت أبيت مع رسول الله فأتيته بوضوءه وحاجته، فقال لي: (سلي)، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: (أو غير ذلك؟) قلت: هو ذلك، قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود).

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل عاصفة سكون
 وإن ولدت نياقك فاحتلبها فما تدري الفصيل لمن يكون
 وقد فقه سلفنا الصالح عن الله أمره، وتدبروا في حقيقة الدنيا ومصيرها، فاستوحشوا من فتنها وتجاهت جنوبهم عن مضاجعها وتناءت قلوبهم من مطامعها،

فلا تراهم إلا صوامين قوامين، باكين واليهين، ولقد حفلت تراجمهم بأخبار زاخرة تشهد بعلو هممتهم.

فعن وكيع قال: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة، فما رأته يقضي ركعة. قال البخاري رحمه الله: "ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد".

وروي عن الرازي أنه قال: "أول ما رحلت أقيمت سبع سنين ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ ثم تركت العدد، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة، ثم إلى طرسوس، ولي عشرون سنة".

وقال أبو زرعة: "كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث"، وقال: "حفظت مائتي ألف حديث كما يحفظ الإنسان: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: ١]". وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: "إن لي نفساً تواقفة، لم تنزل تتوق إلى الإمارة، فلما نلتها تاققت إلى الخلافة، فلما نلتها تاققت إلى الجنة".

قال ابن القيم (أي في علو الهمة): وفيه تتفاوت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد، فقد ورد في صحيح مسلم «الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيهم راحلة». وورد عنه عليه السلام: «صوت أبي طلحة في المعركة خير من ألف رجل» صححه الألباني في الجامع الكبير.

يقول أحد رؤساء الهند: "إن كل حضارة تبني بثلاثة أجيال، جيل يبتكر وجيل يقلد وجيل يطور لكن المسلمين حرقوا هذه القاعدة فكان الجيل الذي ابتكر هو الجيل الذي قلد وطور".

أولئك آباءني فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

أما خامل الهمة كلما أراد أن يسمو إلى المعالي ختم الشيطان على قلبه: عليك ليل طويل فارقد، وكلما سعى في إقالة عشرته والارتقاء بهمته عاجلته جيوش

التسوية والبطالة، وإن نازعته نفسه إلى طلب المعالي والارتقاء بجمته، واقتحام الأهوال والتخلي عن البطالة والعجز والكسل، زجرها ونهاها.

وقد قص الله علينا من قول موسى عليه السلام لقومه: {أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ} [البقرة: ٦١].

وقال تعالى: {وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَكَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وقال في ذم المنافقين: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} [التوبة: ٨٧]، وشجع عز وجل على الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، ويجعلونها أكبر همهم، فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، ونفعنا بهدي سيد المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من النفاق والارتياب، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله والأصحاب.

أما بعد:

فإن من أسباب علو الهمة العلم والبصيرة، فالعلم يرفع صاحبه عن الدنيا، ويلزمه معالي الأمور، ويتقي فضول المباحات.

ومنها: الإخلاص وإرادة الآخرة، كما قال سبحانه: {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٩].

وقال ﷺ: «من كانت همه الآخرة، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة». لكن من جعل الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له.

ومن أسباب علو الهمة: كثرة ذكر الموت؛ لأنه يدفع إلى العمل للآخرة، والتحافي عن دار الغرور، ومحاسبة النفس، وتحديد التوبة.

ومن الأسباب: اليقين بالله سبحانه، فالله هو القوي القاهر لكل مخلوق، وهو الرزاق المنان الذي لا يملك أحد أن يحول دون منه.

{ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده } وقال ﷺ: «واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطأك وما أخطأك لم يكن ليصيبك»

ومنها: الجد الدائم في أخذ الأمور بقوة والعزيمة الصادقة، كما قال سبحانه: {يا يحيى خذ الكتاب بقوة}

ومنها: إرضاء الله بكل عمل وقصد، فكلما أَرْضَىٰ المؤمن ربه على قدره وارتفعت همته وأرضاه الله، قال سبحانه: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [المائدة: ١٥ - ١٦].

ومنها: وضوح الهدف، فمن عرف قدر مطلوبه سهل عليه بذل مجهوده وبقدر الغاية التي يراد تحقيقها تهون الصعاب ويتجدد العزم وتعلو الهمة.

قال ﷺ: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها»

ومنها: معرفة قدر الأجر. فكلما كان الأجر كبيراً بذلت في سبيله الجهود والنفوس «ألا وإن سلعة الله غالية ألا وإن سلعة الله الجنة» هل من مشمرٍ إليها؟ هي ورب الكعبة نور يتلأأ، وريحانة تهتز ونهر مطرد وقصر مشيد وزوجة حسناء جميلة في أبد الأبدین {إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى} [طه: ۱۱۸-۱۱۹].

ومنها: الدعاء واللجوء إلى الله، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، وكلما أعلن المسلم ضعفه وعجزه بين يدي خالقه وسيده ومولاه، ولزم باب طاعته أسدل عليه ستره وأعاناه ويسر أمره، ونور جوارحه ووقفه للأعمال الصالحات، كما في حديث الولي عند البخاري «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مم افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه».

ومنها الابتعاد عن مهبطات الهمم: كالجلوس مع الكسالى واليائسين والاشتغال بسفاسف الأمور. فالصاحب ساحب إما إلى علو الهمة وإما إلى دنوها، فمثل المجلس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير

من لم يذق مر التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

ومنها صحبة أولي الهمم العالية، ومطالعة أخبارهم. وعلى رأسهم الأنبياء

فينبغي قراءة قصصهم والرجوع إلى التفاسير كما ينبغي مطالعة سير الصحابة

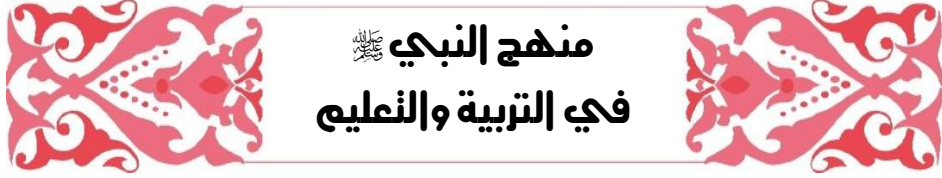
والتابعين لهم بإحسان ورحم الله الإمام الشافعي حيث يقول:
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً ولئن مت لست أعدم قبراً
همتي همت الملوك وعزمي عزم حر يرى المذلة كفراً

ومنها الاهتمام والعناية بتربية الابن على معالي الأمور ومحاسن الأخلاق منذ نعومة أظفاره، وعدم تجاهله واحتقاره، فهذا أسامة بن زيد يقود جيش المسلمين في حروب الردة وفيهم أبو بكر وعمر وعمره ثماني عشرة سنة، ويقول الشافعي رحمه الله: "كنت يتيماً في حجر أُمِّي فدفعني إلى الكتاب".

وهذا سفيان الثوري تقول له أمه: "يا بني، اطلب العلم، وأنا أكفيك بمغزلي"
وهذا الأوزاعي: نشأ يتيماً في حجر أمه، وتنقلت به من بلد إلى بلد، حتى استُفتي وله ثلاث عشرة سنة.

فما بال بعض شبابنا، قد صرفوا عن المعالي، وغيبوا عن الفضائل وأبعدوا عن كريم السمائل، ورضوا بسبل الرذائل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
ومرافقة الأنبياء،

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا بأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحييتنا واجعله اللهم الوارث منا ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.



ملخص الخطبة:

- ١- حال العرب قبل الإسلام .
- ٢- نعمة إرسال الرسول ﷺ .
- ٣- تربىة النبى ﷺ لأصحابه الكرام رضى الله عنهم .
- ٤- دعوة لدراسة منهج النبى فى التربىة والتعلیم .
- ٥- من سمات منهجه ﷺ فى التربىة والتعلیم .
 - أ- تعبىء الناس لله تعالى.
 - ب- تربىة الناس على تصحىح وتصفىة المقاصد.
 - ت- ربط العلم بالعمل.
 - ث- مراعاة القدرات والمستوىات.
 - ج- استمرارية العملية التعلیمیة.
 - ح- إحیاء العلم بنشره وبذله.
 - خ- توظیف جمیع الطاقات وبث روح المشاركة.
- ٦- التربىة والتعلیم مسؤولىة الجمیع .

منهج النبي في التربية والتعليم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن من أهم ركائز بناء الأمم والمجتمعات هي التربية والتعليم، إذ بهما تصاغ الأمم والأجيال، وعليهما تقام الحضارات وتبنى المجتمعات، وتقوم الأخلاق وتزكى النفوس، وتوضح الأهداف وتجنى الغايات، وقد كانت الأمة قبل مبعث النبي ﷺ تعيش في دياجير الجهالة والظلمات، وتسودها الخرافة والشقاوات، ليس لها غاية ولا هدف.

أمة ضائعة غائبة في جاهلية جهلاء، تطحنها العصبية، وتمزقها النعرات والحميات، وتعشعش فيها الخزعبلات والوثنيات وتسحقها الطبقيات والعنصريات، ليس لها في واقع الأمم تأثير ولا أثر، ممقوتة من الله خالق البشر، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب» رواه مسلم.

فبعث الله برحمته وفضله النعمة المسداة محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

فجاء مزكياً مريباً ومعلماً ومصلحاً، فجاهد لتحقيق هذه الغاية أعظم الجهاد، وبذل النفس والنفيس حتى تحقق له ما يريد، فربى أصحابه رضي الله عنهم أكمل التربية، وعلمهم أحسن التعليم فكانوا جيلاً فريداً لا نظير له ولا مثيل، قال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران: ١١٠].

وغدوا سادة الأمم وأئمة العالم وصنّاع القرار فيه، فدانت لهم الممالك الكبار وأذعنت، في فترة وجيزة من التاريخ فاهتدّ ملك كسرى، وانثلم ملك قيصر، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

أيها المؤمنون، إن هذا التحول الكبير والنجاح العظيم الذي حققه في صناعة الأمم والأجيال حتى ارتفعت الأمة من السفوح إلى قمم الجبال كان نتيجة منهج تربوي تعليمي دعوي رصين، له معالمه وسماته، وهو بلسم ودواء أصيل لما نزل بالأمّة من انحدار وانكسار وذلة وهوانٍ.

فعلى الدعاة وأهل التربية والتعليم أن يتأملوا منهج النبي ﷺ وطريقته في تربيته وتعليمه ودعوته، ويدرسوا هذا المنهج دراسة متأنية متفحصة لتحديد معالمه، واستنباط سماته وخصائصه؛ فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

وإليكم — أيها الإخوة — هذه المعالم والسمات:

فمن سمات هذا المنهج الرباني:

١- تعبيدُ الناسِ لله تعالى، وتحريرُهُم من كل ما يخذش عبوديتهم لله سبحانه، وهذه سمةٌ مشتركة بين الرسل جميعاً، قال الله تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] [النحل: ٣٦]، فلبَّ دعوة الرسل جميعاً تعبيدُ الخلق لله تعالى، وهذه السمة تحقق الغاية من الخلق وتبلي نداء الفطرة، قال الله تعالى: [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ] [الذريات: ٥٦]، وقال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» متفق عليه.

الفطرة هي توحيد الله تعالى بالعبادة، وغياب هذه السمة من المناهج التعليمية والتربوية يؤدي إلى اختلال الموازين واضطراب المفاهيم وتحطيم الطاقات البشرية ومصادمة الفطر الإنسانية وذهاب الفضائل والمثل والقيم. ومن سمات هذا المنهج النبوي:

٢- تربيةُ الناسِ على تصحيح وتصفية المقاصد، خاصة إذا كان العلم علماً شرعياً دينياً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم علماً ينتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة» أي: ريجها. أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما بسند جيد وقال الألباني حديث صحيح.

أما العلوم الدنيوية فإن استحضار النية الصالحة والقصد الحسن من سدّ حوائج الأمة سببٌ يحصل به الأجرُ من الله تعالى والتوفيق؛ إذ النية الصالحة من الإحسان وقد قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

ولا يستوي هذا مع من جعل التربية والتعليم سلماً يرتقى به إلى المناصب أو المراكز الاجتماعية، أو جعلها طريقاً لبناء الأجداد الشخصية والمكاسب الذاتية. فلا شك أن هذه النيات الرخيصة تؤثر على العمل التربوي والتعليمي تأثيراً بالغ السوء، فليس الخليلي كالشجي.

ومن سمات المنهج الرباني:

٣- ربط العلم بالعمل، فالعلمُ شجرة والعملُ ثمرة، وقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه العلم والعمل، فالعلم بلا عمل حجة على صاحبه.

إذا لم يزد علمُ الفتى قلبه هدىً وسيرته عدلاً وأخلاقه حسناً
فبشره أن الله أولاه نعمة يساء بها مثل الذي عبد الوثناً

أيها المؤمنون إن مما يجذر انفصام العلم عن العمل ويؤصله هذا التناقض الذي يعيشه كثير من المتعلمين؛ حيث إن ما يتلقونه يخالف ويضاد كثيراً مما يلمسونه ويرونه، بل ويعايشونه ويمارسونه في الحياة الاجتماعية، ومن أمثله ذلك أن دور العلم وصروحه تُعلم بأن الكذب رذيلة وإثم،

ثم إننا نسمع من بعض وسائل الإعلام أن الكذب ألوان وأشكال يختلف حكمه باختلاف لونه وشكله، ونتعلم أيضاً أن لا سبيل للاتصال بين الذكور والإناث إلا من خلال النكاح الشرعي، ثم نسمع ونشاهد هنا وهناك أن من العلاقة بين الجنسين ما يسمى صداقة أو زمالة،

ومنها ما يسمى حباً بريئاً شريفاً نزيهاً، وغير ذلك من المسميات التي تذكرنا بقوله: «يشرب أناس من أمي الخمر يسمونها بغير اسمها» رواه النسائي وابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

ولا غرو أن هذا التناقض بين وسائل التوجيه في المجتمع له آثارٌ سيئةٌ على الأمم والمجتمعات، أهونها ترسيخ الفصل بين العلم والعمل والانشطار الفكري وتعميق الاضطراب النفسي؛ إذ إن من المعلوم أن اليد العليا في نهاية المطاف لما تفرضه المجتمعات، لا للمثل والنظريات التي تدرس في الكتب والمقررات.

ومن سمات هذا المنهج الرباني:

٤- مراعاة القدرات والمستويات؛ فيعطى كلُّ ما يناسبه ويُلبي حاجاته. ومن هذا نعلم خطأ ما تمارسه بعضُ دور التعليم من المساواة التامة بين الذكور والإناث في المناهج والمقررات والمراحل والمستويات، بل ويبلغ الخطأ منتهاه عند خلط الذكور بالإناث في المدارس والكليات، ولا شك أن هذا خطأ كبير ما زالت الأمة تجني ويلاته وتحصد حسرته في كثير من بلاد المسلمين، كيف لا وقد قال العليم الخبير سبحانه وتعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى} [آل عمران: ٣٦].

فمن رام تسوية الذكور بالإناث فقد ضاد الله تعالى في خلقه وشرعه، فالواجب الفصلُ بين الجنسين في جميع مراحل التعليم، وإعطاء كلِّ ما يناسبه ويلائمه ويحتاجه من العلوم والمعارف.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذِّكر الحكيم، ونفَعنا بهدي سيِّد المرسلين وبقوله القويم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم .

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقَدَّر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريعُ الحساب. أحمد ربِّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً مبرأةً من النفاق والارتياح، وأشهد أن نبينا وبيِّنا وسيِّدنا محمداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله والأصحاب.

أما بعد: فمن سمات المنهج النبوي في التعليم والتربية:

٥- استمرارية العملية التعليمية وعدم حدِّها بمرحلة تنتهي عندها فالنبي ﷺ حثَّ الأمة على تعاهد القرآن الذي هو أصل العلوم ومنبع المعارف الدينية الشرعية،

قال ﷺ: «تعاهدوا هذا القرآن؛ فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها» متفق عليه .

وقال أحد العلماء: "لا تزال عالماً متعلماً فإذا استغنيت كنت جاهلاً"، فالعلم عندنا من المحبرة إلى المقبرة. لكن لما غاب هذا الفهم عن كثير من متعلمينا رأينا من حملة الشهادات من كان آخرُ عهده بالقراءة والاطلاع والبحث تسلم أوراق تخرجه، ولا مرية أن هذا مما يضعف العلم ويذهبه، فالعلم بالعلم يكثر وينمو ويثبت كما قال الأول:

فاليومَ شيءٌ وغداً مثله من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرءُ بها حكمة وإنما السيل اجتماع النقط

ومن سمات هذا المنهج النبوي:

٦- إحياء العلم بنشره وبذله وتوسيع دائرة المنتفعين به، قال النبي ﷺ: «نضر الله امرأً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح.

وعن أبي أمامة الباهلي قال: "ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" ثم قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير" رواه الترمذي وقال حسن غريب وقال الألباني في مشكاة المصابيح حديث حسن.

فبذل العلم ونشره باب من أبواب البر التي يُتقرب بها إلى الله تعالى، فعلى حملة العلم بشتى فروعهِ وصنوفهِ أن ينشروا علومهم ويثوها بين الناس، وليكن الواحد منا: كالبحر يهدي للقريب جواهرًا جودًا ويبعث للبعيد سحائبًا
ومن سمات المنهج النبوي في التربية والتعليم:

٧- توظيفُ جميع الطاقات وبت روح المشاركة والعطاء والبناء في أبناء الأمة وتربيتهم على تحمل الأعباء والقيام بالمسؤوليات.

فلمحة سريعة في سيرة النبي ﷺ تجلّي هذه السمة المهمة، فمن الذي قتل أبا جهل فرعون هذه الأمة، أليسا ابني عفراء الغلامين الحداثين؟! ألم يعقد النبي ﷺ لأسامة بن زيد الراية لقتال الروم ولم يكن قد بلغ العشرين سنة؟! ألم تكن الصحابييات رضي الله عنهن يخرجن مع النبي ﷺ في غزواته يداوين المرضى ويسقين الجرحى؟! بلى، كل هذا قد كان.

فعلى التربويين والمعلمين وأولياء الأمور أن يوظفوا جميع طاقات الأمة في خدمة الإسلام ونصر قضاياها، حتى الضعفاء والمساكين بهم تنصر الأمة، قال النبي ﷺ: «ابغوني ضعفاءكم، فهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!» رواه أبو داود بسند جيد وقال الألباني حديث صحيح، وفي رواية «بصلاهم ودعائهم».

أيها المؤمنون، هذه بعض سمات المنهج الرباني النبوي في إصلاح الأمم وبناء الأجيال، وقد آتت هذه المعالم ثمارها، فأخرج الله بها خير أمة أخرجت للناس، فكانت ملء سمع العالم وبصره وفؤاده فترة طويلة من الزمن، فلما انحرفت الأمة عن هذه المعالم وتخلّت عن هذه الخصائص خلّف هذا صدعاً كبيراً في الأمة، ومزجاً في التربية والتعليم، وسبب كثيراً من النكسات والنكبات، ولا سبيل للخروج من هذه النازلة والتخلص من هذه المعضلة إلا لزوم المنهج النبوي في الدعوة والتعليم والتربية والتوجيه.

وعلينا جميعاً مسؤولية إصلاح هذه الانحرافات كل حسب طاقته وقدرته؛ فالأب عليه أن يصلح تربية أولاده ويكملَ النقص الذي في الجهات التربوية الأخرى، ودور التعليم ومؤسساته عليها مراجعةً مناهجها وطرائق التدريس فيها، وعلى المجتمع أن يسخر كل قدراته ووسائل التأثير فيه لتحقيق الهدف المنشود من

صناعة الأجيال وبناء الرجال، فإن الثروة الحقيقية التي تمتلكها الأمم هي أبنائها ورجالها، ولا يظن غالط أن التربية والتعليم مسؤولية جهة معينة فقط، بل كلنا مسؤول، قال النبي ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

النكافل الاجتماعى

ملخص الخطبة:

- ١- غىاب مبدأ التكافل فى هذا العصر.
- ٢- الحث على التكافل الاجتماعى وبيان فضله.
- ٣- دعوة الإسلام إلى مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع المسلم.
- ٤- ثناء الله على من يتصفون بخلق التكافل.
- ٥- قصة الأشعريين.
- ٦- بيان ثواب التكافل فى الدنيا والآخرة.
- ٧- من صور التكافل فى حياة النبى ﷺ .
- ٨- غىاب التكافل الاجتماعى سبب فى انتشار الرذائل فى المجتمع.
- ٩- بعض مواقف السلف فى التكافل الاجتماعى.

التكافل الاجتماعي

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المسلمون ، نتكلم اليوم بإذن الله عن أمرٍ عظيم من أمور الإسلام، أمر حثَّ عليه الله سبحانه في كتابه العزيز وأرشد إليه رسولنا الكريم في الكثير من أقواله وأفعاله، إنه مبدأ التكافل الاجتماعي، مبدأ تكاتف المسلمين بعضهم مع بعض، مبدأ تفقد المسلمين بعضهم لبعض، مبدأ إعانة المسلمين بعضهم بعضاً.

هذا المبدأ الذي كان من المفترض أن يتعامل به المسلم مع أخيه المسلم مهما ابتعدت بينهما الأجناس والأرحام أصبح وللأسف غائباً حتى بين من تربطهم الرحم والقرباة ؛ فلا يدري بعضهم عن بعض شيئاً، بل قد ترى إنساناً يكاد يتفجر من الغنى والأموال وأقرب الناس إليه تحت خط الفقر ولا يشعر نحوه بشيء فالله المستعان.

والتكافل يا عباد الله في اللغة: من الكفل والكفالة، والكفالة معناها الضمان، تقول: تكفلت بالشيء أي: ضمنته، يقول سبحانه: {وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل: ٩١]، أي: شهيداً وضامناً.

ويقول عز وجل: {وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيماً} [آل عمران: ٤٤]، أي: يحضنها، فالكفالة إذاً هي ضمان الشيء وتحمله.

ويتمثل التكافل الاجتماعي في التعاون بين المسلمين وتناصحهم وموالة بعضهم لبعض ،

ويتمثل في مساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين بأن يساهم المسلمون في توفير حاجاتهم وتخفيف معاناتهم،

ويتمثل أيضاً في مساعدة الأيتام وكفالتهم، وفي مساعدة الأرامل وتوفير احتياجاتهن، إلى غير ذلك، يقول تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٧١].

ولقد أمرنا الله سبحانه في كثير من آياته بهذا المبدأ العظيم مبدأ التكافل، وحشنا على الإحسان إلى كل من يحتاج إلى ذلك، يقول سبحانه: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً} [النساء: ٣٦].

ويقول سبحانه: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} [البقرة: ١٧٧] إلى

غير ذلك من الآيات الكريمة التي توجهنا إلى هذا المبدأ العظيم وهذا الخلق الكريم الذي يحفظ كيان المجتمع وكرامة أفراده.

وحت أيضا رسول الله ﷺ على هذا الأمر المهم، وكان أول العاملين به، فهو القائل فيما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه: «أنا أولى بكل مسلم من نفسه، من ترك مالا فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ».

وأرشد الأمة إلى هذا المبدأ مبيناً لمكانته العظيمة من دين الله عز وجل يقول: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له» أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

وهذا تحريك لشعور المسلمين وأحاسيسهم حتى يتضامنوا ويتعاونوا على البر والتقوى، وحتى يحس من عنده شيء من فضل الله بمعاونة وشعور من ليس عنده فيعطيه مما عنده، يقول النووي في شرح هذا الحديث: "في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم أصحابه بمواساة المحتاج".

ويقول رضي الله عنه: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة» رواه البخاري.

فهذا حثٌ على أن يقف المسلم بجانب أخيه إذا احتاج إليه، وله في ذلك الجزاء الحسن من رب العالمين.

ولا يكتفي بهذا، بل يصور لنا المجتمع الإسلامي الحقيقي المتكافل المتكاتف تصويراً جميلاً غايةً في التماسك، فيشبهه بالجسد الواحد الذي يربط أعضائه نسيج واحد، فلا يصاب فيه عضوٌ إلا أحست به سائر الأعضاء وتأثرت بسبب النسيج الذي يربط بينهم، لما ورد عن النعمان بن بشير قال: قال النبي ﷺ: «مثل المؤمنين

في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم.

فالمسلمون أيضا لهم نسيج يربط بينهم ويجعلهم يحسون بمعاناة بعضهم، هذا النسيج هو وحدة العقيدة وآصرة الأخوة في الله سبحانه، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يجمع بيننا هذا النسيج ثم لا يحس بعضنا بمعاناة بعض، ولا يسعى بعضنا إلى مساعدة بعض، لا يمكن أن يكون هذا إلا إذا كان في أنفسنا خلل والعياذ بالله. ولقد أثنى رسول الله ﷺ على من يتصفون بخلق التكافل ويحققون مبدأه ويحرصون عليه، أثنى عليهم واعتبر نفسه منهم وهم منه، وهؤلاء هم الأشعريون قوم أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل رضي الله عنه يقول: قال النبي ﷺ: «إن الأشعريين إذا أرملوا — أي: إذا قارب زادهم على النفاذ — في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم» متفق عليه.

فانظروا إلى هذا التوحد في إحساس هؤلاء القوم ببعضهم، حتى صار من يملك شيئاً يقتسمه مع من لا يملك بكامل الرضا والسماحة، وانظروا إلى الشرف العظيم الذي نالوه بهذا الصنيع، وأي شرف أكبر من أن يقول عنهم رسول الله ﷺ: «فهم مني وأنا منهم»؟! هذه - إخوة الإيمان - لا بد أن نعطي هذا الأمر حقه، ولا بد أن نسعى في أن نكون متكافلين متعاونين في ظل تعاليم ديننا.

أما عن ثواب هذا التكافل - يا عباد الله - فإنه ثواب عظيم في الدنيا والآخرة فلقد عدّه رسول الله ﷺ كالجهد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام، يقول: «الساعي على الأرملة والمسكين كالجهد في سبيل الله» متفق عليه. فهل نعجز عن تحصيل ثواب هذا الجهد بمثل هذا العمل الذي قد يكون أيسر على كثير منا من الجهد بالنفس؟!!

بل ويرفع رسول الله ﷺ هذا المبدأ ويشجع عليه حتى يجعل من يقوم به رفيقاً له في الجنة، فيقول: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما» متفق عليه. فمن ذا الذي يرغب عن مصاحبة رسول الله ﷺ في الجنة؟! ومن ذا الذي يزهّد في هذا الفضل العظيم؟!

هذا هو التكافل الاجتماعي الذي نادى به الإسلام قبل أن تنادي به النظريات الاجتماعية الوضعية، وحث أتباعه عليه، وكان قدوة الناس في هذا، شاعراً بمعاناة المسلمين، يعيشها معهم بكل جوارحه، ولم يكن محجوباً عنهم متعالياً عليهم، كان يجوع إذا جاعوا، ويأكل إذا أكلوا، بل قد يأكلون ولا يأكل، كل ذلك ليعلم الأمة أهمية أن يشعر بعضهم بهموم بعض، وأن يساعد بعضهم بعضاً. فاسعوا-عباد الله- في هذا السبيل العظيم الموصل إلى مرضاة رب العالمين، ولا يدفعنكم التكاثر في الأموال والأولاد والتسابق على الاستزادة من متاع الحياة الدنيا إلى نسيان الفقراء واليتامى والأرامل والمعوزين، فقد يكون هذا التكاثر في الأموال وبالاً عليكم في الآخرة، لما ورد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الأكثرون هم الأسفلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا أو كسبه من طيب» أخرجه ابن ماجه.

يا عباد الله هذا الحديث يبين أن الأكثرين ممن يملكون الأموال في هذه الحياة الدنيا ويتكاثرون فيها سيكونون أقل الناس حظاً وفوزاً يوم القيامة إلا من كسب أمواله من حلال وقال بالمال هكذا وهكذا أي: أنفق من هذا المال في سبيل الخير وفي مصالح المسلمين وفي مساعدة الفقراء والمحتاجين، فمن فعل هذا كان المال بالنسبة له نعمةً ينال ثمرتها يوم القيامة.

فاتقوا الله عباد الله، وتعاونوا وتأزروا وتناصحوا، ولا يقل كل واحد منا: نفسي نفسي؛ لأنه لا غنى لمسلمٍ عن إخوانه.

أسأل الله أن يوفقنا إلى العمل بمرضاته، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر. أقول قولي هذا، وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلّم تسليمًا كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد:

إخوة الإيمان، إن قوة أيّ مجتمع وسلامته إنما هي في قوة العلاقة والترابط بين أفرادها، فإذا كانت علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض علاقة حبّ وتعاون على الخير ازدهرت حياة المجتمع واستقرت أموره.

وإذا كانت العلاقة علاقة مصالح محضة وأناية فإن هذا يعود على المجتمع بالتفريق وذهاب الريح، يقول تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» متفق عليه.

عباد الله: إن التكافل الاجتماعي مما أمرنا بإحيائه والعمل به لاسباب هي:

أولاً: إرضاء ربنا وما يترتب على هذا من ثواب عظيم في الدنيا والآخرة.

ثانياً: لحفظ أنفسنا وإخواننا ومجتمعاتنا من التمزق وانتشار الرذائل والجرائم؛ لأن الناظر في الانحرافات والجرائم المنتشرة في المجتمع يرى أن العامل الأساسي المشترك بينها هو غياب التكافل الاجتماعي وغياب إحساس المسلمين بعضهم ببعض، لهذا حثنا ﷺ عليه فقال: «فكوا العاني وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائع وعودوا المريض» أخرجه أحمد وأصله في البخاري.

واعلموا- إخوة الإيمان- أنه لا يشترط في التكافل أن يكون بالمال والطعام وحسب، بل إن الزيارة في الله، والنصيحة، والكلمة الطيبة كلها من التكافل.

فسارعوا- عباد الله- إلى إحياء هذا المبدأ العظيم في أسركم وجيرانكم وإخوانكم المسلمين، واقتدوا بسلفكم الصالح الذين عرفوا هذا الأمر وقاموا به حق القيام فقد كان رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم يتفقدون ذوي الحاجات ويعينونهم، وجاء من بعدهم من المسلمين فحرصوا على هذا أشد الحرص، فقاموا به جماعات وأفراداً، يتبعون رضوان الله.

يذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء أن القاضي محمد بن علي المروزي عُرف بالخياط؛ لأنه كان في الليل وفي وقت فراغه يخيط الثياب للأيتام والضعفاء، ويذكر أيضاً أن أبا العباس الرفاعي- وكان فقيهاً شافعيًا- كان يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرملة ويملاً لهم الماء بالجرة، فأين نحن من سيرة سلفنا الصالح!؟

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اجعلنا أغنى خلقك بك، وأفقر عبادك إليك. اللهم أغننا عن أغنيته عنا، اللهم لا تجعل بيننا وبينك في رزقنا أحداً سواك يا ذا الجلال والإكرام.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

الإسراء والمعراج

ملخص الخطبة:

- ١- معنى الإسراء والمعراج.
- ٢- كيفية الإسراء والمعراج وموقف المؤمن منه.
- ٣- بعض ما رآه النبي في رحلة المعراج.
- ٤- من دروس المعراج والإسراء وحدة الدين.
- ٥- من دروس المعراج والإسراء تبليغ الأمانة والعلم.
- ٦- معية الله للمؤمنين ونصرته لهم.
- ٧- درس في وجوب التضحية والعمل لدين الله.

الإسراء والمعراج

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المؤمنون: يقول رب العزة سبحانه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1].

شاء الله الذي لا راد لمشيئته سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيء أن يمن على حبيبه المصطفى ﷺ برحلة مباركة طيبة هي الإسراء والمعراج.

فما الإسراء والمعراج؟ وما صفته؟ وما الدروس المستفادة منه؟

أما الإسراء: فهي رحلة أرضية تمت بقدرته الله لرسوله من مكة إلى بيت المقدس.

أما المعراج: فهي رحلة سماوية تمت بقدرته الله عز وجل لرسول الله ﷺ من بيت المقدس إلى السماوات العلا ثم إلى سدره المنتهى ثم اللقاء بجبار السماوات والأرض سبحانه.

وينبغي أن نعلم: أن الإسراء والمعراج كان بالجسد والروح معه واستدل العلماء على ذلك بقول رب العزة: {سبحان الذي أسرى بعبده} والتسبيح هو تزيه الله عن النقص والعجز، وهذه لا يتأتى إلا بالعظام ولو كان الأمر مناما لما كان مستعظما ثم بقوله "بعبده" والعبد: هو مجموع الجسد والروح.

إن المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء وهو مؤمن بقدره الله القادر المقدر: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: ٨٢، ٨٣].

المؤمن الجاد في إيمانه لا ينكر أبدا إمكانية الإسراء والمعراج وهو يقرأ في كتاب الله عز وجل أن الله تعالى أنزل عبيد من عباده من السماء إلى الأرض ورفع عبدا من عبده من الأرض إلى السماء أنزل آدم وزوجه: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا} [البقرة: ٣٨]. ورفع عيسى عليه السلام: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصُّلْبَ مِنْهُ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [آل عمران: ٥٥]. فكيف نستكثر على النبي ﷺ أن يعرج به مولاه؟

المؤمن يقرأ في كتاب الله عز وجل أن الله تعالى وهب عبداً من عباده القدرة على نقل عرش ملكة سبأ من جنوب اليمن إلى أرض فلسطين في غمضة عين: {قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ} * قَالَ عِفْرِيْتُ مِنَ الْجَنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ} [النمل: ٣٨ - ٤٠].

فإذا كانت هذه قدرة عبد فكيف بخالقه وإذا كانت هذه إمكانية موهوب فكيف بالواهب سبحانه؟

إن من الحقائق العلمية أن القوة تتناسب تناسباً عكسياً مع الزمن فكلما زادت القوة قل الزمن فكيف إذا كانت القوة هنا هي قوة الحق سبحانه؟

لذا جاء في الروايات أن النبي ﷺ أُسري به وعرج وعاد وفراشه لم يزل دافئا.
 أما صفة الإسراء والمعراج: فآلة الركوب كانت هي البراق، (أتاه به جبريل
 فكانت تضع حافرها عند منتهى طرفها، صلى النبي ﷺ بالأنبياء إماما في بيت
 المقدس ثم صعد إلى السماوات العلا فاطلع على أهل الجنة واطلع على أهل النار،
 فأري رجالا يزرعون يوما ويحصدون يوما كلما حصدوا عاد الزرع كما كان
 قال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله يخلف الله عليهم ما
 أنفقوا) رواه البيهقي، {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ: ٣٩].

ويقول ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان يتزلان من السماء يقول
 أحدهما: (اللهم أعط ممسكا تلفا) ويقول الآخر: (اللهم أعط منفقًا خلفا) متفق عليه.
 وأمتنا عندما تركت الجهاد وضنت على الله عز وجل بما لها وبأنفسها سلط
 الله عليها ذلا وجعل أراذل خلق الله عز وجل يسوقونها: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ
 يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام: ٦٥].
 قال ابن كثير: "من فوقكم أي الصواعق ومن تحت أرجلكم أي أن يسلط
 عليكم أراذلكم" مختصر ابن كثير مجلد ص ٥٨٧.

رأى النبي ﷺ رجالا وأقواما ترضخ رؤوسهم بالحجارة قال: من هؤلاء يا
 جبريل؟ قال: «هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة» البيهقي.
 العقول والرؤوس التي كانت تحترم كل موعد بشري يزيد من رصيدها
 ويزيد من مالها تخرج مبكرة وتعود في آخر ساعات الليل ولكنها تنسي مواعدها مع
 الله عز وجل في موقف بين يدي الله في خمس صلوات مثل هذه الرؤوس لا وزن لها
 ولا كرامة لها عند الله وتستحق يوم القيامة الرمي بالحجارة، ورأى النبي ﷺ أقواما
 يسرحون كما تسرح الأنعام طعامهم الضريح (نبت ذو شوك) قال: من هؤلاء يا
 جبريل؟ قال: «هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم» البيهقي.

وأى درك حيواني يبلغه الغني عندما يفتقد مشاعر الأخوة والرحمة والرأفة بالضعيف والفقير، ومثل هذا يستحق أن يحشر يوم القيامة على صورة الحيوان. ورأى النبي ﷺ رجالا يأكلون لحما نتنا خبيثا وبين أيديهم اللحم الطيب النضج قال: «من هؤلاء يا جبريل؟» قال: هؤلاء رجال من أمتك تكون عند أحدهم المرأة بالحلال فيدعها ويبيت عند امرأة خبيثة حتى يصبح» رواه البيهقي. المؤمن ينأى بمائه أن يضعه إلا في الموضع الكريم الطاهر. أما النفس الهابطة العفنة فإنها لا تبالي أن يكون الفراش طاهراً أم نجساً:

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب ولغن فيه

ورأى النبي ﷺ نساءً معلقات من أثدائهن قال: «من هؤلاء يا جبريل؟» قال: هؤلاء اللواتي يدخلن على أزواجهن من ليس من أولادهن» البيهقي، أجمل ما في الرجل غيرته، وأجمل ما في المرأة حياؤها، ولكن من علامات قرب الساعة زوال ذلك كما جاء في الأثر: "إذا كان آخر الزمان رفع الله أربعة أشياء من الأرض رفع البركة من الأرض والعدل من الحكام والحياء من النساء والغيرة من رؤوس الرجال" جيل المستقبل المظلم الذي نعيشه في واقعنا والذي أصبح شغله الشاغل في ليله ونهاره أن يظفر بالنظرة الحرام وباللمسة الحرام وبالمتعة الحرام جيل سبق الجاهلية في جاهليتها عنتره الجاهلي يصف عفته فيقول:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يوارى جارتي مأواها

وعندما بايع النبي ﷺ نساء مكة على ألا يزينن ولا يسرقن غطت هند بنت عتبة وجهها وقالت أو تزني الحرة يا رسول الله؟ استكثرت أن تبايع على هذا الأمر الذي تستقبحه المرأة الحرة فضلا عن أن تكون امرأة مسلمة. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العزيز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدر المقادير، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو سريع الحساب. أحمد ربّي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مبرأة من النفاق والارتياب، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله المنعم عليه بأفضل كتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله والأصحاب. أما بعد:

فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، فإن طاعته أقوم وأقوى، وتزودوا بهذه التقوى لداركم الآخرة، فإنها دار القرار، نعيمها أبدي، وعذابها سرمدي، واشكروا نعم الله عليكم بطلب رضوانه وملازمة طاعته والبعد عن معصيته.

أيها المؤمنون إن ثمة دروس مستفادة من حادثة الإسراء والمعراج هي:

١- صلاة النبي ﷺ بالأنبياء إماماً له دلالتان:

الأولى: وحدة الأنبياء في دعوتهم فالكل جاء بالتوحيد الخالص من عند الله. والأنبياء إخوة ودينهم واحد: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء: ٢٥].

وما جرى في اليهودية والنصرانية من الانحراف إنما هو بفعل أيديهم كما قال تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } [التوبة: ٣٠].

الثانية: صلاة النبي ﷺ بالأنبياء لها دلالة أن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبوة بعد رسول الله ﷺ ولا رسالة: { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } [الأحزاب: ٤٠].

٢- درس للدعاة إلى الله تعالى وهو عندما عاد النبي ﷺ من رحلته الميمونة المباركة أراد أن يخرج للناس حتى يبلغهم فتشبتت به أم هانيء بنت أبي طالب تقول له: يا رسول الله إني أخشى أن يكذبك قومك فقال ﷺ: «والله لأحدثهموه» البداية والنهاية لابن كثير ص ١١٠ عن ابن اسحاق.

٣- درس للدعاة إلى الله عز وجل أن يبلغوا أمانة الله تعالى رضي الناس أم غضبوا، لقوله ﷺ: «من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس» ابن حبان في صحيحه.

وإذا كان الأنبياء يتهمون بالكذب والسحر والجنون فليس في ذلك غرابة بعد ذلك أن يتهم الدعاة إلى الله في واقعنا بالتطرف بالإرهاب والرجعية والتأخر.

٤- درس في بناء الرجال من خلال المواقف عندما تحدث النبي ﷺ بأمر الإسراء والمعراج طفق القوم بين مصفق وبين واضع يده على رأسه تعجبا يقول ابن كثير: "وارتد ناس ممن آمن بالنبي ﷺ" تهذيب سيرة ابن هشام ص ٩٤.

فالأمر يحتاج إلى يقين، يقين بقدرة الله ويقين بصدق المصطفى ﷺ فالحنة تفرز حقائق الرجال أفرزت هذا النموذج الذي لم يستطع أن يستوعب الأمر لضعف إيمانه وأفرزت رجالا كأبي بكر الصديق: "جاءته قريش يقولون له انظر ما قاله صاحبك إنه يدعي أنه أتى في بيت المقدس وعاد في ليلة ونحن نضرب إليه أكباد الإبل شهراً ذهاباً وشهراً إياباً فقال أبو بكر: وهو قال ذلك، قالوا نعم، قال: إن كان قد قال فقد صدق" فقه السيرة للبوطي ص ١٤٧.

إيمان ثابت لا تعبت به الدنيا ولا تزلزله الجبال، إيمان قد استقام على حقيقة منهج الله عز وجل.

٥- درس في معية الله لأنبيائه وأوليائه: طلبت قريش من النبي ﷺ أن يصف لها بيت المقدس ورسول الله ﷺ قد جاءه ليلا ولم يكن قد رآه من قبل يقول ﷺ:

«فأصابني كرب لم أصب بمثله قط» أي أن النبي ﷺ سوف يتهم بالكذب ولكن حاشا لله أن يترك أنبياءه، يقول ﷺ: «فجلى الله لي بيت المقدس فصرت أنظر إليه وأصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً» فقه السيرة ص ١٤٧، {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١].

٦- درس لكل صاحب هم لكل صاحب قلب مكلوم ألا يلتفت قلبه إلا إلى الله عز وجل فهذا رسول الله ﷺ رجل واحد يحمل هم الدنيا كلها رجل واحد يحمل أمانة تنوء بها الجبال ماتت زوجته خديجة التي كان يأوي إليها عند تعبته مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه كان يبحث عن رجال صدق يعينونه في تبليغ أمر دعوة الله عز وجل ذهب إلى ثقيف ولكنها ردت رداً سيئاً وأغرقت به السفهاء فضربوه بالحجارة حتى أدميت قدماه الشريفتان لجأ النبي ﷺ إلى حائط وأخذ يناجي رب العزة سبحانه: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس إلهي أنت رب المستضعفين أنت ربي إلى من تكلمي إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن يتزل علي غضبك أو أن تحل بي عقوبتك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله» تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٠٢.

يبرأ النبي ﷺ من حوله وقوته إلى حول الله قوته ويأتي حادث الإسراء والمعراج إيناساً للمصطفى ﷺ وإعلاماً للنبي ﷺ ولسان الحال يقول:

إن كان أهل الأرض لم يعرفوا قدرك فإن أهل السماء قد عرفوك فأنت إمام المرسلين وأنت حبيب رب العالمين.

٧- درس في الجهاد رأى النبي ﷺ البيت المعمور وهو بمنزلة الكعبة في السماء تحججه الملائكة هناك «رأى النبي ﷺ جند الله عز وجل من الملائكة يدخلون البيت المعمور في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة» رواه أحمد.

فلماذا إذاً فرض الله علينا الجهاد؟ وهو القادر بكلمة كن فيمكن أن يبدل الحال غير الحال والله عز وجل جنود الأرض والسماء؟

يريد الله تعالى ألا يتزل نصره على قوم كسالى يبخلون على الله بأنفسهم إن الله تعالى يحب أن يرى الدماء تسيل لأجله ويجب الله تعالى أن يرى الأموال تبذل لأجله، قال ﷺ: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» رواه مسلم. فنسأل الله الشهادة.

٨- درس في الصحوة الإسلامية: الربط بين إسرائ النبي ﷺ من مكة البيت الحرام إلى بيت المقدس فذكروا أن مكة هي رمز للإسلام لدين الله عز وجل وبيت المقدس هو رمز لحال المسلمين فما يجري في تلك الأرض هي علامة صحوة المسلمين أو غفلتهم وجدوة الجهاد التي انطلقت من هناك دليل على أن أمر الغيرة ما زال في الأمة وأنه مازال فيها جيل وأن مازالت فيها الرغبة في أن تعود إلى الله عز وجل،

أن تعود إلى زعامة محمد بن عبد الله ﷺ وبيت الله عز وجل لا يتحرر إلا على أيد متوضأة طاهرة كريمة. أما الأيدي التي يحمل أصحابها أفكارا منحرفة وعقائد فاسدة وعلمانية كافرة مثل هذه الأيدي لا يبارك الله فيها وحاشى لله أن يكتب لها النصر والتأييد مصداقا لقول النبي ﷺ: «لتقاتلن اليهود فيختبأ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله» رواه مسلم.

نسأل الله أن يردنا إليه ردا جميلا، وأن يعجل بنصر المسلمين في كل مكان إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. اللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء والحشر مع الأتقياء ومرافقة الأنبياء.

اللهم إنا نسألك من الخير كله ..عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحيينا.

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ملخص الخطبة:

- ١- فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٢- فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٣- عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٤- وقفات مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.

أما بعد:

أيها المؤمنون، اشكروا نعمة الله عليكم بالانتساب إلى الإسلام، الذي هو دين الله، وبأن جعلكم من خير أمة أخرجت للناس، فإن هذه أجل النعم وأعظمها. أيها المؤمنون، إن خيرية هذه الأمة على سائر الأمم ليست نابعة عن مجاملة أو محاباة أو اختصاص بلا مسوغ، بل هي منبثقة عما ذكره الله تعالى عنها في كتابه حيث قال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} [آل عمران: ١١٠].

فمناط الخيرية في أمة الإسلام- يا عباد الله- موصول العرى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المنبثق من الإيمان بالله ورسوله، فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات تحققت فيه الخيرية، وإلا فلا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قرأ هذه الآية: "من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها".

أبها المؤمنون: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم للدين، وهو الذي من أجله بعث الله المرسلين، وهو مهمة ووظيفة خاتم النبيين، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} [الأعراف: ١٥٧].

فالله تعالى بعث محمداً داعياً إلى المعروف ناهياً عن المنكر، على هدى وبصيرة.

عباد الله: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة دينية، أمر الله بها المؤمنين، فقال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

وقد قال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن

لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

أبها المؤمنون: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز صفات المؤمنين قال سبحانه: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [التوبة: ٧١].

ولقد لعن الله على لسان رسله قوماً تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة: ٧٨، ٧٩].

عباد الله: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الشرعية والشعائر الدينية، قال ابن تيمية: "إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها عند الله". أبها المؤمنون إن هذه المترلة العالية التي جعلها الله للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما هي لأجل ما يحصل به من الفوائد الكبار والمصالح العظام التي تعود على الأمر والنهي، بل يعود خيرها على الأمة بأسرها.

فمن أبرز فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- القيام بما أمر الله سبحانه وتعالى به، فإن الله سبحانه أمر به كما قال جل ذكره: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع بلسانه، فإن لم يستطع فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تقوم الحجة على الخلق والشهادة عليهم، فإن الله بعث الرسل مبشرين ومنذرين، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال الإمام مالك رحمه الله: "وينبغي للناس أن يأمروا بطاعة الله، فإن عصوا كانوا شهوداً على من عصاهم". و من الفوائد

٢- إقامة الملة والشريعة وحفظ الدين والشعائر، قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٢٥١]، فبالأمر بالمعروف تقوم الشريعة، وبالنهي عن المنكر تندثر الرذيلة.

٣- أن الله جعله سبباً لدفع العقوبات العامة ورفعها، فإن ترك هذه الشعيرة العظيمة من أهم أسباب وقوع العقوبات، فالأمر بالمعروف سياج الإيمان، والعاصم من وقوع غضب الله الواحد الديان، قال تعالى: {فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ} [هود: ١١٦] وقال: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ} [هود: ١١٧]

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم» رواه أحمد والترمذي وقال الألباني في المشكاة حديث حسن.

قال ابن العربي رحمه الله: "وهذا فقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل به إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات وركوب الذل من الظلمة للخلق".

وهذا يبين - يا عباد الله - سنة من سنن الله تعالى في الأمم والمجتمعات، فإن الأمة التي يقع فيها الظلم والفساد فينهض لهما من يدفعهما وينكرهما هي أمة ناجية، لا يأخذها الله بالعذاب والتدمير.

أما الأمة التي يظلم فيها المستبدون، ويفسد فيها المفسدون، فلا يكون فيها من ينكر المنكر ويجابه الفساد، فهي أمة مهددة بالدمار والعقاب العام، فالأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمان وسبب نجاة. ومن الفوائد:

٤ - انقمار الفساد وأهله وانخاس الشيطان وجنده، واندحار الشر وحزبه، فكلما نشط الخير ضعف الباطل، وكلما أشرع المعروف أعلامه طوى الشر والفساد شرعه.

قال الغزالي رحمه الله في بيان سوء عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: "ولو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الحرق وخربت البلاد وهلك العباد".

فاتقوا الله عباد الله، فإن الأمر بالمعروف عز لأهل الإيمان، وذل لحزب الشيطان، قال سفيان الثوري: "إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق". وذلك أن أهل الفساد يجبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، قال عثمان بن عفان: (ودت الزانية لو زنت النساء كلهن).

فظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحاصر به الرذيلة وتنقمع به المعصية، ويقع الرعب والخوف في قلوب أرباب الفساد والمعاصي، وهذا مشاهد

ملموس، فهیئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر علی ما هی علیه إلا أن لها من الهیبة والرهبۃ فی صدور المفسدین ما یعرفه المجربون المطلعون.

بارک الله لی ولکم فی القرآن العظیم، ونفعنی وإیاکم بما فیہ من الآیاتِ والذکر الحکیم، ونفعنا بهدی سید المرسلین وبقوله القوم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظیم لی ولکم ولسائر المسلمین من کلّ ذنب، فاستغفروه إثم هو الغفور الرحیم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله العزیز الوهاب، الذي خلق الأسباب، وقدّر المقادیر، فما شاء الله كان، وما لم یسأ لم یکن، لا إله إلا هو سریع الحساب. أحمد ربّي وأشکره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له شهادة مبرأة من النفاق والارتیاب، وأشهد أن نبینا وسیدنا محمدًا عبده ورسوله المنعم علیه بأفضل کتاب، اللهم صلّ وسلّم وبارک علی عبدک ورسولک محمد وعلی آله والأصحاب. أمّا بعد:

فاتّقوا الله تعالی وأطیعوه، فإنّ طاعته أقوم وأقوی، وتزوّدوا بهذه التّقوی لدارکم الأخری، فإنّها دار القرار، نعیّمها أبديّ، وعذاها سرمدیّ، واشکروا نعم الله علیکم بطلب رضوانه وملازمة طاعته والبعد عن معصيته.

أیها المؤمنون ومن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر وفضائله، ولنا مع هذه الشعيرة عدد من الوقفات:

الأولی: الأمر بالمعروف والنهي عن المنکر وظیفة دینیة اجتماعیة، قال شیخ الإسلام ابن تیمیة: "وکل بشر علی وجه الأرض فلا بد له من أمر ونهي، لو أنه وحده لكان یأمر نفسه وینهاها؛ إما بمعروف وإما بمنکر".

ومن هذا يتضح أن هذه الشعيرة يحتاجها كل أحد؛ يحتاجها المرء مع نفسه، والرجل مع أولاده وأهله، والمدرس مع طلابه، والأمير مع رعيته، والرعية مع حكامها، ويحتاجها كل صاحب مسؤولية في مسؤوليته، أعاننا الله وإياكم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الثانية: إن هذه الشعيرة لما كانت تحول بين الناس وشهواتهم ورغباتهم التي يزينها لهم شياطين الإنس والجن، فإنها تلقى من كثير من الناس تنقصاً وهمزاً ولمزاً، ونقداً مجحفاً أو باطلاً، ينصب غالباً على الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر. وهؤلاء الناقدون والمتكلمون في الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر أحد صنفين:

الصنف الأول: مردت قلوبهم على الذنوب والمعاصي وعششت الشهوات في قلوبهم، وأشربت حب الفساد، فهم سماسة الفساد وأربابه، لا يعيشون إلا به، فهؤلاء لا غرابة في حقدهم وحنقهم، ووقيعتهم في الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، فإنهم نكد عيشتهم فهم يتربصون بأهل الحسبة الدوائر يلتقطون السقطة ويضخمون الهفوة، ويجعلون من الحبة قبة، فهؤلاء لا حيلة لنا فيهم إلا أن نقول كما قال الله تعالى لأسلافهم: {قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ} [آل عمران: ١١٩].

الصنف الثاني: قوم فيهم خير وصلاح، وحب لأهل الإصلاح، إلا أنهم يصغون لتشويه أهل الريب والفساد، وينصتون لوقيعه أهل المعصية والنفاق، وما ينشرون عن أهل الإيمان - الآمرون بالمعروف والناهيون عن المنكر - من الإشاعات والمبالغات، كما قال الله تعالى: {وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ} [التوبة: ٤٧].

فهؤلاء ليس لنا معهم قضية، إلا أننا نذكرهم بالله الذي رضوا به رباً، وبرسوله نبياً، وبإسلامه ديناً، ونقول لهم: أيها المؤمنون، إياكم أن تكونوا أعواناً لأهل الفساد والنفاق على إخوانكم.

ولا تنسوا في غمرة ذلك حاجة الأمة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك من محاسن القوم.

فوالله إنهم لما يحفظ الله به العباد والبلاد، فكم من شر قد ردوه، وكم من عرض حفظوه، وكم من شباب عن الضلال حجبه، وكم من مفسد مخرب قد فضحوه وكشفوه.

فالآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر حراس الدين وحماته، عن الدين ينافحون ودونه يجاهدون، ينفون فساد المفسدين، ويطلقون سعي المخربين، فجزاهم الله خير ما جرى عباده المؤمنين، وقد أجاد من قال:

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكمو من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدوا
أولئك هم خير وأهدى لأنهم عن الحق ما ضلوا وعن ضده صدوا

الوقفة الأخيرة: هي مع الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، قال الله تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَيَّ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [لقمان: ١٧].

فعلى كل أمر ونه أن يصبر على ما يلقاه، وأن يوطن نفسه على ذلك، وليوقن بثواب الله تعالى، فإنه من يثق بالثواب من الله لا يجد مس الأذى.

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

اللهم إنا نسألك عيش السعداء .. وموت الشهداء .. والحشر مع الأتقياء ..
ومرافقة الأنبياء .. اللهم إنا نسألك من الخير كله .. عاجله وآجله ونستعيذك من الشر كله عاجله وآجله

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا أبدأ ما أحيتنا

ألا وصلوا وسلموا على خير خلق الله محمد بن عبد الله فقد أمرتم بذلك في كتاب الله حيث قال سبحانه: {إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً}،

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد، وارض اللهم عن خلفائه الأربعة وعن سائر الآل والصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم واتبع سبيلهم إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين.
والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	الرقم التسلسلي
٣	الإخلاص	١
١٣	الصَّبر	٢
٢٢	خلقُ العَفْوِ والصَّفْحِ	٣
٣١	الأمانة	٤
٤٠	عواقب الذنوب والمعاصي	٥
٤٩	عوامل القوة في حياة المسلمين	٦
٦٢	السعادة المنشودة	٧
٧١	النار أهلها وأهوالها	٨
٨٢	صفة الجنة	٩
٩٨	الجهاد في فلسطين	١٠
١١٠	فضل الشهادة في سبيل الله	١١
١٢٠	إلا رسول الله ﷺ	١٢
١٢٨	سنريهم آياتنا في الآفاق	١٣
١٣٨	قَصَصٌ وَعِبْرٌ مَنْ سَخِرَ بِسَيِّدِ الْبَشَرِ	١٤
١٤٩	النبوة ومفاهيم حول المولد النبوي	١٥
١٥٨	مولد النبي ﷺ بين الاتباع والابتداع	١٦
١٦٧	حرب المفاهيم	١٧
١٧٧	الإجازة الصيفية	١٨
١٨٦	فوائد الإجازة الصيفية	١٩
١٩٤	التوبة	٢٠

٢٠٤	في استقبال رمضان	٢١
٢١٦	أهمية التوبة في رمضان	٢٢
٢٢٦	بعض خصائص رمضان	٢٣
٢٣٧	روح الصيام	٢٤
٢٤٦	رمضان و القرآن	٢٥
٢٥٧	الصوم والعادات السيئة في رمضان	٢٦
٢٧٠	صوموا لعلكم تتقون	٢٧
٢٧٩	فضائل العشر الأواخر من رمضان	٢٨
٢٨٨	صور من حياة عمر بن الخطاب	٢٩
٣٠٢	وظيفة المسجد في الإسلام	٣٠
٣١٦	نعمة الأمن	٣١
٣٢٧	صنائع المعروف	٣٢
٣٣٦	أسباب صلاح الأمة	٣٣
٣٤٤	علو الهمة	٣٤
٣٥٣	منهج النبي ﷺ في التربية والتعليم	٣٥
٣٦٢	التكافل الاجتماعي	٣٦
٣٧٠	الإسراء والمعراج	٣٧
٣٨٠	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٣٨
٣٨٩	الفهرس	